وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة الإسلامية
بغداد

كلية أصول الدين

العبودية لله تعالى

وأثرها في سلوك المسلم

رسالة تقدم بها الطالب

مؤيد محمود حسن المشهداني

إلى مجلس كلية أصول الدين

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير (أصول الدين)

باشراف الأستاذ الدكتور

شاكر محمود عبد المنعم الهيتي

1427هـ 2006م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾

صدق الله العظيم

[سورة آل عمران/ الآية 51]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾

صدق الله العظيم

[سورة البينة/ الآية 5]

الإهداء

إلى قدوة السالكين وإمام المتقين

ورسول رب العالمين

وسيد الأولين والآخرين والمجاهدين المرابطين قرة عيني ومهجة فؤادي

والى سويداء قلبي ونور طريقي

رسول الله محمد ﷺ

والى آلِهِ وأصحابه الطاهرين

وإلى كل من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين

وإلى من ربياني صغيراً بحر الحنان الزاخر أبي وأمي الحنون.

وإلى المجاهدين الذين كان جُلّ وقتهم في رباطٍ في سبيل الله في العراق وفلسطين وأفغانستان والشيشان.

وإلى أستاذي ومرشدي

الدكتور الفاضل شاكر محمود عبد المنعم الهيتي.

وإلى إخوتي الأعزاء

وإلى كل إخوتي في الله

والى كل طلاب العلم وشباب المسلمين

أُهدي بحثي هذا

الشكر والعرفان

بعد حمد الله وشكره على فضله ومنته على عبده الفقير إلى الله الذي أمدني بعلم ما لم أعلم.

أتقدم بالشكر الجزيل والفضل الكبير إلى أستاذي الفاضل ومرشدي ومشرفي **الدكتور شاكر محمود عبد المنعم الهيتي**، وذلك لما بذله معي من جهد علمي كبير، إذ قام بتهذيب ما كتبتُ، وإصلاح ما سطرت، وتذليل عقبات البحث، فله من الله الأجر العظيم ومني وافر التقدير والامتنان.

ولا يفوتني أن اشكر **لجنة المناقشة** الذين لهم الفضل والمنة في تسديد البحث وتقويمه.

والى **أساتذتي في كلية أصول الدين** الذين كان لهم عليّ الكثير من الفضل والإحسان.

وفي مجال تهيئة المصادر أشكر المسؤولين عن إدارة **المكتبات الإسلامية جميعاً**.

والى كل من منحني الكثير من وقته مع ملاحظاته النافعة والقيمة وتوجيهاته السديدة التي لها الأثر الكبير في إخراج الرسالة بهذا الشكل.

وإلى كل من أرشدني من أصحابي وزملائي ومنهم **الأخ الداعية عقيل نجم عبد الجبار** الذين كان لهم من الإحسان والفضل في تقديم يد العون لي في هذه الرسالة ... والله ولي التوفيق.

الباحث

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	
الشكر والعرفان	
فهرست المحتويات	أ
المقدمة	4-1
الفصل الأول: مفهوم العبودية لله في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال أهل العلم	**111-5**
المبحث الأول: العبادة والعبودية لغة واصطلاحا	6
نظرة في المعاجم	8
العبادة والعبودية شرعاً	10
المبحث الثاني: العبودية لله تعالى في الكتاب والسنة وأقوال أهــل العلم	**19**
المطلب الأول: العبودية لله تعالى في القرآن الكريم	**19**
الأنموذج الأول	21
الأنموذج الثاني	25
الأنموذج الثالث	31
الأنموذج الرابع	37
الأنموذج الخامس	42
الأنموذج السادس	47
الأنموذج السابع	50
الأنموذج الثامن	54

الموضوع	رقم الصفحة
الأنموذج التاسع	58
الأنموذج العاشر	61
المطلب الثاني: العبودية لله تعالى في السنة النبوية	62
الحديث الأول	62
الحديث الثاني	64
الحديث الثالث	66
الحديث الرابع	68
الحديث الخامس	69
الحديث السادس	70
الحديث السابع	72
الحديث الثامن	76
الحديث التاسع	77
الحديث العاشر	79
الحديث الحادي عشر	81
الحديث الثاني عشر	83
الحديث الثالث عشر	84
الحديث الرابع عشر	86
الحديث الخامس عشر	88
المطلب الثالث: العبودية لله تعالى عند العلماء	90
أنواع العبودية وقواعدها ومدارها	94
العبودية عند أهل العلم	95
الإخلاص في العبودية لله تعالى	103
التعبد لله بالأعمال الصالحة	106

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الثاني: شروط تحقيق العبودية وأركانها	**112-204**
المبحث الأول: شروط العبودية	113
المطلب الأول: توحيد الله تعالى	113
التوحيد لغةً واصطلاحاً	113
أقسام التوحيد:	121
1. توحيد الربوبية	126
2. توحيد الإلوهية	128
3. توحيد الأسماء والصفات	130
المطلب الثاني: طاعة الرسول الكريم ﷺ	133
الطاعة لغةً وشرعاً	133
آثار طاعة الله ورسوله في الحياة الدنيا وفي الآخرة	143
آثار طاعة الله ورسوله في الحياة الآخرة	145
تمييز الطائع من الكاذب	154
المبحث الثاني: أركان العبودية	156
المطلب الأول: الحب	156
تعريف الحب لغةً واصطلاحاً	156
منزلة الحب	158
أصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة	160
المحبة هي التي تحرك المحبوب في طلب محبوبه	164
مدار كتاب الله على حب الله وحده ولوازمها	166
المحبة والأسباب الجالبة لها	174
ثمرات محبة الله تعالى	175
المطلب الثاني: الخوف	180
الخوف لغةً	180

الموضوع	رقم الصفحة
الخوف اصطلاحاً	181
درجات الخوف	188
أقسام الخوف	189
المطلب الثالث: الرجاء	190
الرجاء لغةً واصطلاحاً	190
الرجاء اضعف منازل المريدين	195
آثار الرجاء في الدنيا والآخرة	196
آثار الرجاء في الدنيا	197
فوائد تفيد العبد في آخرته	200
ثمار الرجاء في الآخرة	203
الفصل الثالث: آثار العبودية لله تعالى في سلوك المسلم	205-224
المبحث الأول: مقومات الإيمان ودوافعه	206
الإيمان لغةً	206
الإيمان شرعاً	208
قول السلف في تعريف الإيمان	210
أقسام الإيمان	212
المطلب الثاني: مقومات الإيمان ودوافعه	213
الإيمان بالله تعالى	214
الإيمان بوجود الله تعالى	214
دلالة الفطرة على وجود الله تعالى	214
دلالة العقل على وجود الله تعالى	216
دلالة الشرع على وجود الله تعالى	218

الموضوع	رقم الصفحة
دلالة الحس على وجود الله تعالى	219
الإيمان بربوبيته	220
الإيمان بإلوهيته	222
الإيمان بأسماء الله وصفاته	224
أثر الإيمان بالله ﷻ وثمراته	228
الإيمان بالملائكة	230
صفات الملائكة الخلقية	232
علاقة الملائكة بالله تعالى	233
اثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان	235
الإيمان بكتب الله ﷻ المنزلة	237
الإيمان بالرسل (عليهم الصلاة والسلام)	243
الأنبياء والرسل المذكورون في القرآن	243
أولو العزم من الرسل	244
موضوع الرسالة	244
الواجب علينا نحو الرسل	245
واجبنا تجاه نبينا محمد ﷺ	247
الإيمان باليوم الآخر	250
الإيمان بالقدر خيره وشره	258
معنى الإيمان بالقدر في حياة المسلم	260
احتجاج الكفار بالقدر	262
المبحث الثاني: العبودية في مظاهر الإسلام وأثرها في سلوك المسلم	265
التمهيد	265
تفسير الإسلام	266
المطلب الأول: الركن الأول: الشهادتان	268

رقم الصفحة	الموضوع
270	شهادة أن محمداً رسول الله
270	مع المصطفى ﷺ
271	أولاً: تعظيمه ﷺ
271	ثانياً: مع المصطفى ﷺ سيرةً وخلقاً
273	ثالثاً: تصديقه ﷺ والإيمان به وأتباع سنته وطاعته
273	رابعاً: محبته ﷺ اكبر من المال والوالد والولد والناس أجمعين
274	خامساً: الصلاة والسلام عليه
275	**المطلب الثاني: الركن الثاني: الصلاة**
276	مشروعية الصلاة
277	منزلة الصلاة في الإسلام
281	المشهد الأول: الإخلاص
281	المشهد الثاني: مشهد الصدق والنصح
282	المشهد الثالث: مشهد المتابعة والاقتداء
282	المشهد الرابع: مشهد المراقبة
282	المشهد الخامس: شهود المنة
283	المشهد السادس: رؤية التقصير
286	**المطلب الثالث: الركن الثالث: الصيام**
287	صيامنا في رمضان
287	التقوى في رمضان
288	التربية على الصبر وقوة الإرادة في رمضان
289	وجوب صيام رمضان وحقيقته وفضله
291	صيام العارفين هو الخضوع والاستسلام لله رب العالمين والخوف منه
292	عبادة الصوم هي لم شعث القلوب وكاسرة الشهوات
293	تعليق الناس الصيام بالتروك فقط

الموضوع	رقم الصفحة
آثار المعاصي في الصيام	295
الأعمال القلبية للصائم في رمضان	297
ازدياد التنقل والعبادة في شهر رمضان	298
المطلب الرابع: الركن الرابع: الزكاة	300
مفهوم الزكاة وشمولها	303
فضائل الزكاة وأثرها	309
المطلب الخامس: الركن الخامس:الحج	311
أحوال النبي ﷺ مع ربه في الحج	314
أحوال النبي ﷺ مع أمته في الحج	317
أحوال النبي ﷺ مع أهله في الحج	322
الخاتمة	325
المصادر والمراجع	332

المقدمة

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 1].

الحمد لله الذي بين لنا طريق الحق وأمرنا باتباعه، وبين لنا طريق الباطل وأمرنا باجتنابه وقال ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام، الآية 153]، ورضي لنا الإسلام ديناً وأتم علينا نعمته، وأوضح لنا السبيل إلى معرفته حقاً ويقيناً، وأمرنا ان نستهديه صراطه المستقيم صراط الذي أنعم عليهم غير المغضوب عليهم من اليهود ولا الضالين من النصارى، وأمرنا بالتمسك بدعائمه وأركانه والاعتصام بعراه وأسبابه فهو دينه الذي ارتضاه لنفسه وملائكته وأنبيائه ورسله فبه اهتدى المهتدون واليه دعا الأنبياء والمرسلون، قال تعالى ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [سورة آل عمران، الآية 83]، فلا يقبل الله من أحدٍ ديناً سواه، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية 85]، ونهانا الله تعالى عن تولي الذين كفروا فقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية 51].

فوالله لولا الله يسعد عبده   بتوفيقه والله بالعبد أرحم[1]

اما بعد :- فاشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له,

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين.

إن من الأصول العظيمة التي بني عليها ديننا الحنيف عبادة الله وطاعته وتوحيده وإخلاص العبودية له دون ما سواه وإقامة شرائع الإسلام وأركان الإيمان التي هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله...

ومن الأسباب التي دعتني ووجهتني إلى اختيار هذا الموضوع هي:-

1. رغبتي في خدمة القرآن الكريم ولبيان إعجازه ومعرفة ما فيه .
2. قلة الباحثين به وعنه وتغافلهم عن البحث في هذه المواضيع ولذلك نجد أكثر علمائنا القدماء الأجلاء كانوا يؤكدون على عبادة الله وطاعته وعبودية العبد الخاصة التي نجدها تبدو عليه في كل مجالات حياته إذ لا يقدم على أمر من الأمور أو عمل من الأعمال حتى يتيقن من شرعيته وموافقته للكتاب والسنة وأقوال أهل العلم وحتى يربطه بعبوديته لله لأنه قد يخل ببعض جوانب العبادة التي أمرنا الشرع الحكيم على السير على خطاها.
3. وأيضاً مما شجعني على كتابتها والسير بها هو أستاذي الفاضل الدكتور(شاكر محمود عبد المنعم الهيتي) الذي كان له الفضل والمنة في إتمام الرسالة بهذا الشكل.وأما المنهج الذي سرت عليه في كتابة هذه الرسالة هو:

أني ارتأيت أن ابحث معنى العبودية لله وعلاقتها الوثيقة بالعبادة والتي أساسها التوحيد في القرآن الكريم عموماً وخصصت العبودية لله تعالى دون غيرها من عبادات المشركين والكافرين إلا قليلاً من الآيات والأحاديث التي بينت فيها نزراً يسيراً من عدم جواز وكفر من عبد مع الله غيره،

وقد سميت هذه الرسالة بـــ ((العبودية لله تعالى وأثرها في سلوك المسلم)) :

وقد قسمت هذه الرسالة على ثلاثة فصول:-

- **الفصل الأول: يشتمل على مبحثين:-**

---

(1) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، المعروف بابن القيم الجوزية، اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، دار المعرفة، بيروت، ج2/ ص164.

المبحث الأول: العبودية لله تعالى لغة واصطلاحا.

المبحث الثاني: العبودية لله تعالى في الكتاب والسنة وأقوال اهل العلم.

- ❖ **الفصل الثاني: شروط العبودية وأركانها ويشتمل على مبحثين**

المبحث الأول: شروط العبودية وفيه مطلبان:

المطلب الأول: توحيد الله تعالى

المطلب الثاني: طاعة رسوله ﷺ

المبحث الثاني: أركان العبودية وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الحب

المطلب الثاني: الخوف

المطلب الثالث: الرجاء

- ❖ **الفصل الثالث: أركان الإسلام ويشتمل على خمسة مطالب:**

المطلب الأول: الشهادتين

المطلب الثاني: الصلاة

المطلب الثالث: الصيام

المطلب الرابع: الزكاة

المطلب الخامس: الحج

ومن الصعوبات والمعوقات التي جابهت البحث هي قلة المصادر وصعوبة أخذها والمحافظة عليها لحين إرجاعها وبسبب الوضع المتردي في منطقتنا (منطقة الطارمية) إذ حوصرت عدة مرات وتعرضت للقصف في الأشهر القليلة الماضية.

ومن المصادر التي اعتمدت عليها كثيراً هي كتب شروح العقائد النسفية وشروح العقيدة الطحاوية وكتب ابن القيم ومن أبرزها كتاب مدارج السالكين إذ كان له الأثر البارز في تبيين المنهجية في هذه الرسالة وكذلك مجموع الفتاوى لابن تيمية إذ كان مذللاً كل العقبات التي بحثت عنها في كتابتي هذه الرسالة، وكذلك استعنت برسالة ماجستير وهي (نماذج من العبودية في القرآن الكريم) وهي للباحث عمار يونس عبد الرحمن في كلية الإمام الأعظم وكذلك أكثر من رسالتين عن العقيدة والإيمان، ورسالة عن الخوف

والرجاء، واعتمدت على مجموعة من المقالات والأبحاث ومصادر ومراجع كثيرة سيجدها القارئ في قائمة المصادر.

وبعد ... فما كان في هذا من سداد فمن الله ﷻ وحده، وما كان فيه من نقص فمن نفسي ومن الشيطان،

وأسال الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير، قال تعالى ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾ [سورة الزمر/ الآية 14]،

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين.

الباحث

مؤيد محمود حسن

الفصل

مفهوم العبودية لله في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال أهل العلم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: العبادة والعبودية لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: العبودية لله تعالى في الكتاب والسنة النبوية وأقوال أهل العلم.

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العبودية في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: العبودية في السنة النبوية.

المطلب الثالث: العبودية عند أهل العلم.

المبحث الأول
العبادة والعبودية لغةً واصطلاحاً

العبادة والعبودية لغة:

قبل أن نتحدث عن معاني العبادة والعبودية واطلاقاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، ومراد الله تعالى، وما يتعلق بتلك المصطلحات يجدر بنا أن نعرفها باصطلاح اللغويين والمناسبة التي جاءت من اجلها هذه الكلمات.

فالعبودية: لغة: **(هي من رقّ الرِقُ بالكسر من الملك وهو العبودية، والرّق بالكسر هو ما يكتب وهو جلد رقيق ومنه أرق، وهو ضد أعتقه، والرقيق المملوك)**(١).

ويقول ابن سيدة: **(وأصل العبادة في اللغة التذليل، والعبادة والخضوع والتذلل، والاستكانة قرائب في المعاني)**(٢).

قال الراغب الأصفهاني: **(العبودية إظهار التذلل، والعبادة ابلغ منها، لأنها غاية التذلل ولا يستحقها إلا من له غاية الافضال وهو الله تعالى، قال تعالى:** ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء/ الآية 23](٣).

ويقول الفيروز ابادي: **(العبدية، والعبودية والعبودة والعبادة بمعنى الطاعة)**(١). **(وأصل العبودية: الخضوع والذل، والتعبيد: التذلل يقال الطريق معبد**

---

(١) محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (ت 666ه) مختار الصحاح، مكتبة لبنان سنة 1415هـ-1995م، ص106.

(٢) علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي المعروف بابن سيدة (ت 458هـ) المخصص، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق، بيروت، ج4: ص96.

(٣) الحسين بن محمد المسمى بالراغب الأصفهاني (ت 502ه), المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، ص319.

أي مذلل، والتعبيد أيضاً: الاستعباد: وهو اتخاذ الشخص عبداً، ويقال تعبده أي اتخذه عبداً، والعبادة: الطاعة، والتعبد: التنسك)(٢).

والعبودة والعبودية مصدر، والطاعة لله والاسترقاق للأسياد، وقيل العبادة أن يعمل العبد بما يرضي الله تعالى، وهي لعوام المؤمنين، كما أن العبودية لخواصهم وهي أن ترضى بما يفعل ربك(٣).

ويتضح لنا من ذلك أن العبودية: وهي التذلل والخضوع والانكسار والافتقار والطاعة لمن يعبده أو لما يتوجه إليه ويقصده كأن يكون رباً أو شخصاً أو صنماً أو هوى أو أي شيء آخر.

(وعَبَد الله) عبادةً وعبوديةً انقاد له وخضع وذل. ويقال ما عبدك عني: أي ما حبسك. ومن مشتقات العبودية ما يأتي:

(عَبُدَ) عبوداً وعبوديةً: أي ملك هو وآباؤه من قبل،

و(أعبَد) فلاناً: استعبده، وفلاناً عبداً أي ملكه إياه،

و(عبّده): ذلله وفلاناً اتخذه عبداً، وفي التنزيل ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [سورة الشعراء/ الآية 22](٤).

(تعَبّدَ): انفرد بالعبادة، وفلاناً اتخذه عبداً ودعاه للطاعة،

و (إعتبده): اتخذه عبداً،

و(العابد): الموحد، (العبابيد): من الخيل والناس، المتفرقون: الذاهبون في كل وجهة، ويقال: تفرقوا عبابيد، و(العبادة): الخضوع للإله على وجه التعظيم(٥).

---

(١) مجد الدين محمد بن يعقوب المسمى (الفيروز أبادي) (ت 817ه)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ص578-579.

(٢) الرازي، مختار الصحاح / ص172.

(٣) بطرس البستاني، كتاب محيط المحيط، بغداد، ط2 سنة 1973م، ج2: ص1335-1336.

(٤) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الامواج، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بيروت ط38، ج1: ص579.

(٥) المرجع نفسه/ ج1: ص579.

التحقيق اللغوي لبعض المعاني التي تتعلق بالعبودية:

ربما يظن القاريء الفطن عند قراءته لهذه المعاني التي سبقت أن تأله وتنسك هو خروج عن المعنى الذي ذكرناه للعبادة والعبودية والأمر ليس كما يظن القارئ.

ولذلك يجب أن نبين بعض المعاني التي تتعلق بمعنى العبادة والعبودية:

فمثلا جاء في كتاب مختار الصحاح بعض هذه المعاني مثل (إله يأله بالفتح فيهما الآهة أي عبَدَ– ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: (ويذرك وآلهتك)، بكسر الهمزة: أي وعبادتك، والتأليه: التعبيد، والتأله: التنسك والتعبد)(١).

النسك: العبادة، والناسك: العابد، وتنَسّك: تعَبّد)(٢). وقد يكون من معاني العبودية: الغضب والأنفة.

ومن المحتمل جدا أيضاً أن نرجع معنى الغضب إلى معنى الطاعة والانقياد والخضوع والتذلل، فان الغاضب يطيع غالباً دواعي الغضب وينقاد لها ويخضع، وربما أداه ذلك إلى التذلل. وكذلك في الانفة: أي إنه يأنف من عبادة التذلل والخضوع إلا لذلك الذي يراه ويعتقده ويراه في تصوره أنه مستحق لهذه العبودية.

نظرة في المعاجم

بالرجوع إلى الجذر الثلاثي في المعاجم للجذر (عبَدَ) يتبين أنه يدل على معنى التذلل والخضوع وغيرها يقول الجوهري : **(نقول عبد بين العبودة والعبودية، وأصل العبودية الخضوع والذل)**(٣).

(والعبد بالتحريك يعني الغضب والأنف وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَانِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [سورة الزخرف، الآية 81])، أي انا أول الأنفين من أن يكون له ولد، كذلك يأتي بمعنى الندامة ويأتي بمعنى الحزب كما في قوله تعالى:

---

(١) الرازي، مختار الصحاح، ص22–23.

(٢) المصدر نفسه: ص 22–23.

(٣) إسماعيل بن حماد الجوهري (ت539هـ)، الصحاح، دار العلم ط 2–1979م، القاهرة ج 2: ص503، مادة (عبَدَ): ج2: ص503، وينظر تاج العروس ج2: ص410.

﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [سورة الفجر، الآية 29] أي في حزبي وانتظمي في سلك عبادي الصالحين)(١).

(والعبد بخلاف الحر)(٢). ويتبين أن قول ابن منظور اقرب إلى معنى العبد لأن العبد الإنسان حراً كان أو رقيقاً يذهب بذلك إلى أنه مربوب لباريه)(٣).

المعاني القريبة والبعيدة عن معنى الطاعة

إن بعض هذه المعاني خارج عن المعنى اللغوي كما صرح بذلك صاحب شرح القاموس بقوله: (**العبودة هي الرضا بما يفعل الرب، والعبادة فعل ما يرضى به الرب، والأول أقوى واشق، ولذا قيل: تسقط العبادة في الآخرة لا العبودة، لأن العبودة أن لا يرى متصرفاً في الدارين في الحقيقة إلا الله**) (٤)، يتبين للباحث أن تفسير العبادة هو الرضا، والعبودة بفعل ما يرضي الرب بقطع النظر عن المتعلق فهو داخل في المعنى اللغوي لهذه المعاني، وهو الطاعة والانقياد والرضا. ويمكن تقسيم المعاني في المعاجم على قسمين:

الأول:- المعاني البعيدة عن معنى الطاعة.

الثاني:- معانٍ قريبة من المعنى الأول ولا تتأباه(٥).

أولاً:- المعاني البعيدة عن الطاعة وهي كما يلي:

يتبين لنا إن هذه المعاني موضوع كل واحد منها بوضع خاص، سواء قلنا بتعدد الواضع، أو اتحاد الواضع(٦): نضرب هنا بعض الأمثلة على ذلك:

(العبد: بفتح وسكون: نبات طيب الرائحة،

العبد: النصل القصير العريض،

العبد: جبل لبني أسد ولغيرهم،

---

(١)فالمصدر السابق،الصحاح, ص402-405.

(٢) الفيروزي أبادي، القاموس المحيط، ج4: ص8.

(٣) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت 711ه)، لسان العرب دار صادر، ج4: ص664-665.

(٤) محمد مرتضى الزبيدي (ت817ه)، تاج العروس شرح القاموس، ج2: ص407.

(٥) محمد نمر عبد الفتاح الخطيب (العبادة والعباد)، مجلة كلية الإمام الأعظم، العدد الرابع، مطبعة الإرشاد 1987/ ص467.

(٦) المصدر نفسه، ص468.

العبدة: محركة: القوة أو السمن،

العبد: يدل على معنى البقاء أو النقاء)[١].

يظهر لنا مما سبق ذكره أن معنى العبودية هو: الطاعة والتذلل والخضوع، ويلاحظ التباعد بينها وبين المعاني التي سبقتها.

ثانياً:- معانٍ قريبة من المعنى الأول ولا تتأباه، ولا تعارضه ولا تختلف معه:-

ومن أمثلة هذه المعاني ما يأتي:

(العبد بالتحريك: الغضب، والعبد: الجرب وقيل الجرب الشديد، العبد بمعنى الندامة، والعبدة: الانفة، والحمية مما يستحيا أو يستنكف)[٢].

وكذلك الحبس، والندم، والغضب واللوم، والحرص والضرب والاستعباد والتملك حتى موت الراحلة، وتعبيد الطريق، والراحلة والسفينة)[٣].

إذن معنى العبودية قائمة على أصلين هما (المحبة والذل) كما دلت عليه كتب اللغة.

ومن أجل أن نبرز معنى العبودية بشكل أوسع في هذا الموضوع يشير بطرس البستاني بقوله **(عبَدَ الله تعالى يعبده عبودةً وعبوديةً وعبادة طاعَ له وخضع وذلّ، وخدمه والتزم شرائع دينه ووحده)**[٤] وهذا يبين لنا أبرز معنى قد جمع كل معاني العبودية مـــن التوحيد والطاعة والخضوع والانقياد والتزام أوامر الله تعالى وشرعه ودينه.

ويقال فلان اعتبده الطمع واستعبده أي اتخذه عبداً والطاعة كالعبودية، وقيل العبودة عند بعض السالكين هي العبادة لله تعالى إجلالاً وهيبةً وحياءً منه ومحبة له، وهي أعلى من العبودية، وهي أعلى من العبادة، فالعبادة محلها البدن وهي إقامة الأمر، والعبودية محلها الروح وهي الرضا بالحكم، والعبودة محلها السر[٥].

العبادة والعبودية شرعاً:

العبودية: هي كمال الذل والحب والخضوع والتعظيم[٦].

---

(١) الزبيدي، تاج العروس، ج2: ص413-414.

(٢) المصدرنفسه, ج2: ص413-414.

(٣) إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، ج2: ص579.

(٤) بطرس البستاني، 1883م محيط المحيط ج2: ص1335-1336.

(٥) المرجع نفسه، ج2: ص1335-1336.

(٦) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم الجوزية (ت 751)، الطب النبوي، دار الفكر بيروت ج1/ 213.

والعبودية: الوفاء بالعهود وحفظ الحدود والرضا بالموجود، والصبر على المفقود [(١)].
وأشار القرطبي في تفسيره إلى معنى العبودية في قوله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [سورة الذاريات الآية 56]. أي إلا ليذلوا ويخضعوا ويعبدوا، ما أريد منهم من صلة أي رزقاً، بل أنا الرزاق المعطي[(٢)].

(وحقيقة العبودية: هي كمال محبته وكمال الذل له)[(٣)].

وكل خضوع ليس فوقه خضوع فهو عبادة، طاعة كان للمعبود أو غير طاعة، وكل طاعة لله على جهة الخضوع والتذلل فهي عبادة، والعبادة نوع من الخضوع، ولا يستحقه إلا المنعم بأعلى أجناس النعم، كالحياة والسمع والبصر والفهم .. الخ.

والشكر والعبادة لا تستحق إلا بالنعمة، إلا أن العبادة تنفرد بأعلى أجناس النعم، لان اقل شيء من العبادة يكبر عن أن يستحقه إلا من كان له أعلى جنس من النعمة وهو الله تعالى الذي لا يستحق أن تصرف العبادة إلى من سواه، فلذلك لا يستحق حقاً إلا الله[(٤)].

ويتضح لنا من معاني العبودية هذه أن نعرف معنى العبادة ليتسنى لنا تعريف العبودية بشكل أدق وأوسع، يقول ابن تيمية: (العبادة: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. ومن الأعمال الظاهرة كالصلاة والصيام والزكاة والحج والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وصلة الأرحام، وصدق الحديث وأداء الأمانة، والوفاء بالعهود وبر الوالدين، والإحسان إلى اليتامى والمساكين. ومن الأعمال الباطنة حب الله ورسوله وخشيته والإنابة إليه، والرضا

---

(١) الشريف الجرجاني: علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الجرجاني (ت826هـ)، التعريفات، دار الفكر ، ط1/ ص105.

(٢) محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله، تفسير القرطبي (671هـ)، ط2، 1372، تحقيق احمد عبد العليم البردوني، ج13/ ص56.

(٣) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي بن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، دار العاصمة الرياض ج4/ ص149.

(٤) محمد نمر عبد الفتاح الخطيب (العبادة والعباد)، العدد الرابع، ص469.

بقضائه، والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف لعذابه، والاستعانة والاستغاثة وغير ذلك(١).

والعبادة: وهي غاية التذلل ونهاية الخضوع، والانقياد والاستسلام وأقصى الطاعة، للإله الحق، وهو الله تعالى وحده(٢).

والعبادة بمعنى الطاعة كما جاءت هذه الكلمة في كثير من الآيات، يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة يس/ الآية 60].

إن المناسبة التي نزلت فيها هذه الآية الظاهر أن لا يتأله أحد للشيطان في هذه الدنيا بل الكل يلعنه ويطرده من نفسه، لذلك فإن الجريمة التي يصم (٣) بها الله تعالى بني آدم ليس تألههم للشيطان في الحياة الدنيا، بل إطاعتهم لأمره، وإتباعهم لحكمه، وتسرعهم إلى السبل التي أراهم إياها(٤).

وكذلك شبّه الله الاحبار والرهبان بالأرباب من دون الله حينما أطاعهم الناس من دونه فحللوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم فسماهم الله أرباباً، قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [سورة التوبة/ الآية 31].

والعبادة هنا جاءت بمعنى الطاعة لأنهم أطاعوا ساداتهم وكبرائهم فيما أمروهم وتركوا عبادة الله وطاعة رسوله فسمى الله أفعالهم هذه عبادة.

(والعبادة: هي القيام بالفعل المطلوب شرعاً وهي ممدوحة ومطلوبة)(٥).

وهنا يتبين لنا أن العبادة جاءت بمعنى الطاعة وأن القيام بالأعمال التي فرضها على عبادة مثل أركان الإسلام وأركان الإيمان والجهاد في سبيل الله، والموالاة في الله

---

(١) محمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية الحراني (ت 728هـ)/ العبودية: دار الكتب العلمية، بيروت ط1/ 1981/ ص4.

(٢) الخطيب، (العبادة والعباد)، العدد الرابع ص469.

(٣) يصم: يحاسب عليه أو يقيم عليه الحجة (ابن قيم الجوزية,اغلثةاللهفان,ج2:ص164).

(٤) المودودي، أبو الأعلى، المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم، دمشق، 1955/ ص101-102.

(٥) أبو القاسم عبد الكريم بن القاسم القشيري، (ت 465هـ)، الرسالة القشيرية في علم التصوف، نيسابور، دار التربية 1981/ ص155.

والمعاداة فيه فهذه الأعمال يجب على العباد الذين هم عبيد الله حقيقةً يجب أن يطيعوا ربهم الذي أوجب عليهم هذه الفرائض وطاعته والالتزام بشرعه. وإذا تبين هذا فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله، وكلما ازداد العبد تحقيقاً ازداد كماله وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه أو إن الخروج عنها أكمل فهو من أجهل الخلق وأضلهم(١)، قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾ [سورة الأنبياء/ الآيات 26-28] وقال: ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا ﴾ [سورة/ مريم الآية: 93].

وقد وصف الله أكابر مخلوقاته بالعبودية وذم من خرج عن ذلك، وهذا كثير في القرآن، وقد أخبر سبحانه أنه بعث جميع الرسل بهذا الأمر العظيم الذي هو عبوديتهُ وتوحيده، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِي ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية 25]،﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل/ الآية 36]، وقوله:﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [سورة هود/ الآية 84]. ومما تقدم ذكره يتضح لنا أن قوام العبودية قائم على أصلين (الحب) و(الذل):

العبادة: أصل معناها الذل، لكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى (الذل) ومعنى (الحب) فهي تتضمن غاية الذل لله مع غاية المحبة له.

ويشير ابن تيمية إلى هذا المعنى بقوله: (ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له، كما قد يحب الرجل ولده وصديقه ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله)(٢)، بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عنده من كل شيء، بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله.

---

(١) أبو الفضل عبد السلام بن محمد بن عبد الكريم (جمع وترتيب)، الدين والعبودية لابن تيمية، المكتبة الإسلامية، ط4، 2002/ ص51.

(٢) المصدر نفسه/ ص52.

وكل من أحب لغير الله فمحبته فاسدة، وما عظم بغير أمر الله كان تعظيمه باطلاً، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة التوبة/ الآية 24].

(والعبادة: ظاهرة تذلل وحقيقتها تعزز وتجمل)(١).

يتبين لنا مما تقدم أن العبادة في ظاهرها تذلل وخضوع وافتقار وانكسار إلا أنها في الحقيقة عزة المؤمنين وجمالاً لأرواحهم ونوراً لقلوبهم، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة المنافقون/ الآية 8].

إن العبودية تأتي بمعنى الاجبار أي تكون ملكاً للغير كأن تكون عبداً لسيدك، وأما العبادة فتكون اختياراً إلا أننا نريد أن نبين هنا العبودية الخالصة لله.

والعبودية تنقسم على قسمين:

القسم الأول: العبودية العامة: عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، فهذه عبودية القهر والملك، قال تعالى: ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا ﴾ [سورة مريم/ الآية 93]، فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ [سورة الفرقان/ الآية 17]، فسماهم عباده مع ضلالهم لكنها تسمية مقيدة بالإشارة، قال تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة الزمر/ الآية 46]، وقال: ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴾ [سورة غافر الآية 31]، فهذا يتناول العبودية العامة والخاصة.

(١) أبو القاسم عبد الكريم بن قاسم القشيري (ت 465)/ تفسير لطائف الإشارات، دار الكتاب العربي، القاهرة/ ج1/ ص60.

القسم الثاني: العبودية الخاصة: وهي عبودية الطاعة والمحبة واتباع الأمر، قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴾ [سورة الزخرف/ الآية 68]، وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِي* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ [سورة الزمر/ الآية 17-18]، قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [سورة ص/ الآية 82-83]، فالخلق كلهم عبيد ربوبيته، **(**وأهل طاعته وولا يته هم عبيد الهيته**)**(١).

وإنما انقسمت العبودية على عامة وخاصة لأن اصل معنى اللفظة الذل والخضوع.. وفلانٌ عبده الحب إذا ذلّ له لكن أولياءه خضعوا له وذلوا طوعاً واختياراً وانقياداً لأمره ونهيه وأعداؤه خضعوا له قهراً ورغماً(٢).

يتضح لنا مما تقدم إن هناك عبوديتين عبودية القهر والملك التي تشترك فيها أهل السماوات والأرض، ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا ﴾ [سورة مريم/ الآية 93]، والعبودية الثانية هي عبودية التوحيد والاذعان لأوامر الله ونواهيه ومحبته وطاعته وحفظ حدوده وإخلاص العبادة له والتقرب إليه وذلك بأن لا يعبد إلا الله، وأن لا يعبد إلا بما شرع.

والعبد في القرآن له معانٍ منها:

الأول: عبد بحكم الشرع وهو الإنسان الذي يصح بيعه وابتياعه، نحو قوله تعالى: ﴿والعبدبالعبد﴾[سورة البقرة/ الآية 178].وقوله تعالى﴿ عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ [سورة النحل/ الآية 75].

الثاني: عبد بالإيجاد ذلك ليس إلا لله، وإياه قصد بقوله تعالى ﴿ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا ﴾ [سورة مريم/ الآية 93].

والثالث: عبد بالعبادة والخدمة، والناس في هذا ضربان(٣):

---

(١) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي بن القيم الجوزية، (ت 751) مدراج السالكين، ط 2، 1973، ج1/ ص105.

(٢) المصدر نفسه، ج1، ص106.

(٣) عمار يونس عبد الرحمن، نماذج من العبودية في القرآن الكريم، بحث مقدم إلى كلية الإمام الأعظم، كلية الأئمة والخطباء، رمضان 1421هـ، 2000م/ ص8.

أ. عبد لله مخلصاً وهو بقوله تعالى ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾ [سورة ص/ الآية 41].

ب. عبد الدنيا وأغراضها، وهو المعتكف على خدمتها ومراعاتها، وإياه قصد النبي ﷺ بقوله: (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة [١]، تعس عبد الخميصة[٢]، تعس وانتكس، وإذا شك فلا انتقش [٣]، إذا أعطي رضي، وإذا منع سخط)[٤].

وهذا حال (من إذا أصابه شر لم يخرج منه، ولم يفلح بكونه تعس وانتكس، فلا نال المطلوب وخلص من المكروه) [٥] وعلى هذا النحو فلا يصح أن يقال: ليس كل إنسان عبداً لله، فإن العبد على هذا بمعنى العابد، لكن العبد أبلغ من العابد، والناس كلهم عباد الله، بل الأشياء كلها كذلك، لكن بعضها بالتخيير وبعضها بالاختيار[٦].

ولقد فرق ابن منظور بين التعبد والعبادة بقوله : **(والتعبد: التنسك، والعبادة: الطاعة)**[٧] وبهذا القول يظهر للتنسك معنىً خاصاً، تختص به العبادة فنقول نسك الحج ونسك الصوم، وهكذا لغيرها من المناسك، وأما العبادة فهي في كل شيء لأنه بها

---

(١) القطيفة: كساء له خمل: أي الذي يعمل بها ويهتم بتحصيلها، أو هي دثار مخمل، والجمع قطائف، وقطف مثل (صحيفة وصحف) ومنه القطائف التي تأكل، ينظر لسان العرب مادة (قطف): ج 3/ ص122.

(٢) الخميصة: كساء اسود مربع له علمان، ولا تسمى خميصة، إلا أن تكون سوداء معلمة، وكانت من لباس الناس قديماً، وجمعها (خمائص). لسان العرب مادة (خمص): 1/ 904.

(٣) إنتقش: (النقش النقاش ينقشه نقشاً وإنتقشه: نمنمه فهو منقوش .. والمنقوشة: الشجة التي ينقش منها العظام أي تستخرج .. ونقش الشوكة ينقشها نقشاً، وانتقشها أخرجها من موضع (ينظر لسان العرب ج3/ 704).

(٤) محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي البخاري (ت 256)، الجامع الصحيح، ج 3/ص1057, حديث رقم 1057، 2730، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، حديث رقم 2364، وحديث رقم (6071)، باب ما يتقى من فتنة المال.

(٥) ابن تيمية: العبودية/ ص22.

(٦) الراغب الأصفهاني، المفردات مادة (عبَد) ج2: ص479.

(٧) ابن منظور، لسان العرب/ ج2/ ص665.

يحصل التقرب إلى الله ﷻ وللعبادة في العبودية مراتب جعلها ابن تيمية في ثلاثة أصناف:

الأول: مرتبة الكاملين من الأنبياء والمرسلين.

الثاني: مرتبة القاصدين من الأولياء والصالحين.

الثالث: مرتبة المنافقين والملحدين(١).

وقد ذكر ابن تيمية **(أن العبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم، ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد)** (٢).

وقال إن التعبد له أصلين هما:

الأول: أن لا يعبد إلا الله.

والثاني: أن يعبده بما أمر وشرع، لا غير ذلك حين قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف/ الآية 110](٣).

ومن هنا يتبين لنا أن ما ذهب إليه ابن تيمية وقصده أي أن كمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله تعالى، وأنه كلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله وعلت درجته ومكانته، وأن من توهم أن المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه فهو من أجهل الخلق وأضلهم(٤)، قال تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ* يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء/ الآيات 26-28].

ويذكر الدكتور محمد سيد طنطاوي مشيرا إلى معنى العبادة إلى أنها الطاعة البالغة حد النهاية في خضوعه وتعظيمه لله ﷻ فيقول: (والعبادة لها معنى آخر هي

---

(١) احمد بن عبد الحليم تقي الدين المعروف بابن تيمية (ت 728 هـ)، العبادة وحقيقة العبودية، مكتبة تعز للنشر، بغداد، ص63-67.

(٢) العبودية، ص17.

(٣) المصدر نفسه، ص17.

(٤) المصدر نفسه: ص19.

الطاعة البالغة حد النهاية في الخضوع والخشوع والتعظيم، والعبادة الصحيحة تأتي للمسلم بتحقيق أمرين:

1. إخلاصها لله تعالى.
2. موافقتها لما جاء به النبي ﷺ[1].

---

(١) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (تفسير سورتي الفاتحة والبقرة) منشورات جامعة بن غازي ط1، سنة 1394هـ - 1974م، ج1/ ص26.

المبحث الثاني
العبودية لله تعالى في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال أهل العلم

المطلب الأول .. العبودية لله تعالى في القرآن الكريم

إن عبودية الله تعالى هي الغاية التي خلق الله من أجلها الخلق وبعث الرسل وأنزل الكتب وهي معرفة الله وتوحيده وهي المبدأ الأول كما وصفها يوسف القرضاوي: (إنها المبدأ الأول الذي أنزل الله كتبه وبعث رسله لدعوة الناس إليه، وتذكيرهم به إذا نسوه أو ضلوا عنه ولهذا خاطب الله تعالى خاتم رسله محمداً ﷺ بقوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية 25]، وكانت الصيحة[١] الأولى في كل رسالة، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل/ الآية 36]، ولما ختم الله كتبه بالقرآن، وختم رسالاته بالإسلام، وختم النبيين بمحمد ﷺ أكد هذه الحقيقة وأعلن في كتابه: إن الغاية من خلق المكلفين أن يعرفوا الله ربهم ويعبدوه فهذا سر خلق هذا الجنس الناطق المفكر المريد في هذا العالم قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات/ الآية 56]، وقوله ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 59]، بيد أن الناس حتى بعض المسلمين أنفسهم ظلموا العبادة وحرفوها عن وجهتها وعن حقيقتها وعن مكانها فهماً وأسلوباً ونظراً وتطبيقاً)[٢].

وفي هذا المبحث سوف نبين معاني العبودية الخالصة لله تعالى دون غيره التي تتضمن الكثير من المعاني كالدعاء والاستعانة والاستغاثة والتوكل والإنابة والتوبة

---

(١) إنها لم تكن صيحة كما وصفها الدكتور القرضاوي وإنما كانت إنذار ودعوة للناس إلى عبادة الله وإن الصيحة لم تأتِ إلا بمعنى العذاب، قال تعالى ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ (سورة الحجر/ الآية 83).

(٢) الدكتور يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، مكتبة وهبة، ط5 سنة 1985/ ص6.

والإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وغيرها، وهذه كلها من الأعمال القلبية الباطنية، والأعمال الظاهرة التي أمرنا الله بها كالصلاة والصيام والزكاة والحج، ولكن الغاية العظمى هي إفراد ه بالعبادة وهو توحيده وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر، ونبين مجمل الآيات القرآنية التي وردت بوجوب العبودية لله تعالى وإخلاص العبودية، وأن لا يعبد إلا هو سبحانه وعدم الاستكبار عن العبودية، وتشريف النبي ﷺ بهذه العبودية وإرساله بها ومن أجلها وحصول البشرى للمؤمنين بها في الدنيا والآخرة وهي كما في الجدول الأتي: (كما في ملحق رقم (1)):

بعد الدراسة المتأنية والبحث المتفحص، والجمع المستقصى للآيات القرآنية دللنا ورشحنا في هذا البحث بعضاً من الآيات كنماذج من القرآن الكريم التي وتؤكد وجوب العبودية لله تعالى وعدم الإشراك به سبحانه ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ [سورة الرعد/ الآية 36]، وقضاء الرب ﷻ أن لا تصرف العبودية إلا لله وحده والانابه إليه وعدم الاستنكاف عن عبادته لأنها الفرض الأعظم الذي أوجبه الله وفرضه على عباده وخلقهم من أجله، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات/ الآية 56]، وأن الله لن يترك العبد سدىً وهملاً بل خلق الخلق ليبعدوه وبالألوهية يفردوه، قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة المؤمنون/ الآية 115]، وأن الله ما خلق الخلق وبعث الرسل وانزل الكتب إلا لعبوديته سبحانه ومعرفته وتوحيده وسنقتصر على بعض الآيات القرآنية التي توضح لنا العبودية لله تعالى وكما هو مبين في الجدول التالي:

رقم الآية	اسم السورة	الآيات القرآنية	ت
21	البقرة	﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	1.
133	البقرة	﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾	2.
36	الرعد	﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾	3.
99	الحجر	﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾	4.
1	الإسراء	﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾	5.
23	الإسراء	﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾	6.
33	مريم	﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾	7.
17	الزمر	﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾	08
56	الذاريت	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	.9
5	البينة	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾	10

❖ الأنموذج الأول:

قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات/ الآية 56]

يخبرنا الله ﷻ من خلال هذه الآية عن خلقه الذين كلفهم بالتكاليف الشرعية بعد أن يوحدوه ويؤمنوا به وبكتبه ورسله والمكلفين من الجن والإنس وأنه خلقهم وهيأ لهم معيشتهم في الحياة الدنيا واسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، قال تعالى ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [سورة لقمان/ الآية 20]، وقال تعالى ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النحل/ الآية 18]، وما أراد منهم وما طلب منهم إلا ما هو حق الله تعالى وهي العبادة بكل معانيها والتي أكملها وأشرفها وأتمها صفة العبودية له سبحانه مبينا لهم أن هذا هو المطلب الأساسي والجوهري دون غيره، فلا يريد منهم غير ذلك لأن الله غني عنهم ولا يحتاج حتى إلى عبادتهم فتكفل الله لهم بالرزق ووسائل الكسب بكل ما يكون من وسائله وأسبابه من مأكل وملبس ومسكن وغير ذلك من متطلبات الحياة.

ولهذا كانت الدعوة القرآنية للتوحيد واضحة (إن التوحيد وعلى رأسه توحيد العبادة، وهو الغاية من خلق الجن والإنس، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات/ الآية 56])(١).

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)، فقال بعضهم معنى ذلك(وما خلقت السعداء من الجن والأنس إلا لعبادتي والأشقياء منهم لمعصيتي .. وعن زيد بن أسلم قال: ما جبلوا عليه من الشقاء والسعادة ,(وعن ابن عباس قوله وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون إلا ليقروا بالعبادة طوعاً وكرهاً) (٢)، والعبودة كما عرفناها (الرضا بما فعل الرب)(٣).

لذلك يشير ابن كثير في تفسيره إلى معنى ﴿**إلا ليعبدون**﴾ أي (إلا ليعرفون)(٤)، أي إشارة هنا إلى أن تفسير العبادة بالمعرفة بالله تعالى وصفاته وأسمائه الحسنى حتى يوحده. ويذكر صاحب تفسير الجلالين في قوله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [سورة المؤمنون/ الآية 115]، أي لا لحكمة .. لا بل لنعبدكم بالأمر والنهي ترجعوا إلينا ونجازي على ذلك(٥).

ومعنى الآية أنه خلق الخلق ليعبدوه ويوحدوه ولا يشركوا به شيئاً، فإن من أطاعه جعل جزاءه أتم الجزاء وهي الجنة والنعيم الدائم في الآخرة كما أخبر تعالى في كتابه ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة/ الآية 17]، والعبادة التي أرادها الله العبادة الصادقة الخالصة ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [سورة البينة/ الآية 5]، إن هذه العبادة قد فرضها الله ﷻ على الثقلين الذين هم الجن

---

(١) خالد محمد حامد وآخرون، دمعة على التوحيد، ط3، 2002/ ص12.

(٢) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل القرآن، دار الفكر، بيروت، ج27/ ص12.

(٣) الزبيدي، تاج العروس (شرح القاموس)، ج2/ ص407.

(٤) إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء (ت 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت 1401هـ، ج4/ 239.

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكر المحلي وجلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تفسير الجلالين، دار الحديث القاهرة ط1/ ص456.

والإنس وهم المؤمنون الذين خضعوا لله تعالى بالعبودية الحقة وأنه لا يريد منهم إلا هذه العبادة التي أمروا بها وهو أن يعرفوا الله ويفردوه بالعبادة.

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ***[إن الله تعالى يقول يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنىً وأسد فقرك وألا تفعل ملئت يديك شغلا ولم أسد فقرك]***(١).

أي تفرغ عن مهماتك لطاعتي أملأ صدرك غنى أي قلبك لأن الغنى هو غنى القلب وأسد فقرك أي تفرغ عن مهماتك لعبادتي أقضي مهماتك وأغنيك عن خلقي، وأن لا تفعل ملأت يديك شغلاً، ولم أسد فقرك أي إن لم تتفرغ لذلك واشتغلت بغيري ولم أسد فقرك لإن الخلق فقراء على الإطلاق فتزيد فقراً على فقرك)(٢).

ويذكر ابن عاشور معنى آخر في توجيه الخلق وبيان غايتهم وحقيقة عمل المكلفين بقوله: (أي أنه ما خلقهم إلا لينتظم أمرهم بوقوفهم عند حدود التكاليف التشريعية من الأوامر والنواهي، فعبادة الإنسان ربه لا تخرج عن كونه محققة للمقصد من خلقه وعلة لحصوله عادة)(٣).

(وهناك من القراء من قرأ هذه الآية كأبي بن كعب، وابن مسعود قال تعالى : **(وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلا ليعبدون)** . فقيل المراد إلا ليعرفوني، والمعرفة هي معرفة الله تعالى بالخلق لعباده من الجن والإنس حتى يوحدوه بالعبودية والعبادة، لأنه لو لم يخلقهم لما عرفوا وجوده وتوحيده)(٤).

وهنا تتبين لنا فائدة: تقديم الجن في الذكر على الإنس في الوجود، كما قال تعالى ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [سورة الحجر/ الآية 27]، فلذلك قيل المراد من يقابلون بهم الملائكة (عليهم السلام) ولم يذكر هؤلاء، قيل: (لأن (إلا) فيهم مسلم، أو لأن الآية

---

(١) رواه الترمذي: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (ت 279ه) سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب صفة القيامة، باب منه، حديث رقم (2466)، وابن ماجه، كتاب الزهد باب الهم بالدنيا حديث رقم (4107)، ج2/ ص1376.

(٢) المباركفوري، أبي العلاء بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم (ت 1353ه) تحفة الاحوذي شرح جامع الترمذي، بيروت ط1، 1998، ج7/ ص210.

(٣) الشيخ محمد الطاهر المعروف بابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية ط 2 1973، ج27/ ص25.

(٤) أبو الطيب صديق بن حسن بن علي القنوجي، (ت 1250ه) فتح البيان في مقاصد القرآن، دار الفكر بيروت، 1981، ج3/ ص212.

سيقت لبيان صنيع المكذبين إذ تركوا عبادة الله تعالى وقد خلقوا لها، وهذا الترك مما لا يكون فيهم بل هم عباد مكرمون لا يستكبرون عن عبادته ﷻ)(١).

والى ذلك أشار الزمخشري في تفسيره (**إنما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين إليها لأنه خلقهم ممكنين، فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريداً لها ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم**)(٢).

وكذلك أشار الزمخشري إلى هذا المعنى بقوله: (**أي وما خلقت الجن والإنس إلا لأجل العبادة، ولم أرد من جميعهم إلا إياها .. إنما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين**)(٣).

ويظهر مما سبق ذكره أن الله ما خلق الخلق إلا ليعبدوه ويفردوه بالعبادة وأن الله ما خلقهم ورزقهم وخلق لهم كل ما في الكون إلا لأجل عبادته وتوحيده، فمنهم أي من العباد من آمن وعبد الله على وجه ما أراد منه ومن العباد من كفر وضل عن الطريق المستقيم.

وأنه سبحانه هيأ لهم سبيل الهداية والرشاد والفلاح، وسبيل الكفر والضلال والخسران، قال تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [سورة الإنسان/الآية 3].

فيتضح لنا أن الله خير العباد بين من أراد طريق الإيمان والبر والخير لكل من أراده واختاره ووفقه له، وبين من أراد من طريق الكفر والضلال واختاره، قال تعالى ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [سورة الكهف/ الآية 29]، بعد أن بين لهمﷻ عواقب كل طريق سلكوه وأن الله لم يجبر أحداً من خلقه على عبادته إلا أنه جعلهم يقرون بهذه العبودية حتى يثبت عليهم الحجة وأشهدهم على أنفسهم لئلا يتحججوا عليه يوم القيامة أنهم كانوا غافلين أو غير غافلين بهذا الأمر العظيم الذي خلقهم الله من أجله، قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا

---

(١) أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الالوسي (ت 1270هـ) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت 1978، ج9/ ص20.

(٢) أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت 538هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الفكر، بيروت، ط1/ 1995، ج171/3.

(٣) المصدر نفسه: ج4/ 396.

﴿بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 172-173].

❖ الأنموذج الثاني:

قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الإسراء/ الآية 23].

يبين الله ﷻ في هذه الآية الكريمة ويدعو بحكمه وفي شيء قضاه مخاطبا نبيه ﷺ وأمته، وجزمه بحيث لا ينسخ هذا الأمر الذي قضاه الله تعالى الذي هو العبادة والمراد منها توحيد الله وطاعته وعدم الإشراك به ﷻ والتمرد عليه في أوامره ونواهيه، ومن تلك الأوامر التي جاءت بعد تخصيص الله بالعبودية هي الوصية بالوالدين إحسانا وبيان فضلهما وما لهما من حقوق قرنت مع عبودية الله تعالى وعبادته، والى ذلك أشار الرازي في تفسيره الآية السابقة: القضاء معناه الحكم الجزم الثبت الذي لا يقبل النسخ ولفظ القضاء في أصل اللغة **(يدل على إحكام الأمر وإتقانه وانفاذه لجهته.. والقضاء الحكم .. ولذا سمي القاضي قاضياً)**[١]، فأشار الرازي هنا إلى أن دلالة الآية (وجوب عبادة الله تعالى وتدل على المنع عن عبادة غير الله تعالى وهذا هو الحق، وذلك لأن العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم، ونهاية التعظيم لا تليق إلا بمن يصدر عنه نهاية الأنعام)[٢]، فيدل هذا القول على وجوب عبادة الله تعالى دون عبادة غيره، وهذا هو الحق الذي يجب أن يصرف له غاية التعظيم ونهايته.

ودل هذا القول على أن السبب الحقيقي في وجود الإنسان هو تخليق الله تعالى وإيجاده له، ولكن السبب الظاهري هو الأبوان، فأمر الله ﷻ بتعظيم السبب الحقيقي ثم اتبعه بأمر تعظيم السبب الظاهري من أصل العبودية وتوحيد الله وتعالى لذلك على العبد أن يظهر الشفقة لخلق الله تعالى، وأحق الخلق الذين خلقهم سبحانه، هما الوالدان، لذا وجب صرف هذه الشفقة لهما لكثرة إنعامهما وفضلهما على الإنسان، وأشار بقوله

---

(١) أبو الحسن احمد بن فارس (ت 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، مصر 1979، ج5/ص99.

(٢) الرازي فخر الدين الرازي (ت 606هـ)، التفسير الكبير مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث، بيروت، ط1 1995، ج10/ ص185.

﴿وقضى ربك إلا تعبدوا إلا إياه﴾ إلى تعظيم لأمر الله وقوله ﴿وبالوالدين إحسانا﴾ إشارة إلى الشفقة على خلق الله الذين هما الأبوان(١).

وتمام عبودية العبد لربه موافقته لما أمره به وما نهاه عنه، يقول ابن القيم: **(وتمام العبودية أن يوافق الرسول في مقصوده وقصده وطريقه فمقصوده الله وحده، وقصده تنفيذ أوامره في نفسه وفي خلقه وطريقة إتباع ما أوحي إليه)** (٢)، وأن الكمال في هذه العبودية التي ارتضاها الله أن لا يعبد إلا إياه هو **(إن الكمال أن تشهد العبودية وقيامك بها وتشهد أنها من عين المنة والفضل وتشهد المعبود فلا تغيب بشهوده وشهود أمره عن شهود فضله ومنته وتوفيقه وشهود فقرك وفاقتك وأنك به لا بك)**(٣).

ويتضح لنا مما تقدم أن تمام العبودية في موافقة العبد لله ورسوله ﷺ في كل ما أمر ونهى وبين وشرع وأن تقوم بهذه العبودية التي أمرك الله بها أفضل قيام، وشهودك بأن هذه العبادة التي تقوم بها من فضل الله عليك أن منّ عليك بالهداية لهذه العبادة، قال تعالى ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [سورة يونس/ الآية 57-58]، ويجب أن تشهد فقرك وحاجتك إلي ربك واستعانتك به وتوكلك عليه، قال تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة/ الآية 5]، أي نخصك ربنا بالعبادة والطاعة ونستعين بك عليها، وتأويل قوله ﴿اياك نعبد واياك نستعين﴾ لك اللهم نخشع ونذل ونستكين إقراراً لك يا ربنا بالربوبية لا لغيرك .. وعن ابن عباس قال: قال جبريل لمحمد ﷺ قل يا محمد ﴿إياك نعبد﴾ - أي إياك نوحد ونخاف ونرجو يا ربنا لا غيرك، وفي أمر الله عباده أن يقولوا إياك نعبد وإياك نستعين بمعنى مسألتهم إياه المعونة على العبادة، ويسترسل فيقول إياك نعبد وحدك لا شريك لك مخلصين لك العبادة دون ما سواك من الآلهة والأوثان فأعنا على عبادتك ووفقنا لما وفقت له من أنعمت عليه من أنبيائك وأهل طاعتك من السبيل والمنهاج(٤).

---

(١) التفسير الكبير: المصدر السابق ج10/ ص186.

(٢) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج3/ ص317.

(٣) المصدر نفسه، ج3/ ص503.

(٤) الطبري، جامع البيان، ج1/ ص69-72.

في معنى قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال/ الآية 2]، يشير الزمخشري في هذه الاية (إنما الكاملو الإيمان صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله أولئك هم المؤمنون حقا- ﴿وجلت قلوبهم﴾ فزعت، وعن أم الدرداء الوجل في القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى، قالت فادعوا الله فإن الدعاء يذهبه: يعني فزعت لذكره تعظيماً له وتهيباً من جلاله وعز سلطانه وبطشه .. أي لم يستكمل الإيمان إلا من استكمل شُعَبَهُ ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ أي لا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم، ولا يخشون ولا يرجون إلا إياه وجمع بين من الخشية والإخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة ﴿حقاً﴾ أي أولئك هم المؤمنون إيماناً حقاً(١).

وهذا يبين أن الإيمان الحقيقي والعبودية الخالصة إنما تكون بالقلب والجوارح وأن تصرف كلها لله تعالى وحده لا غيره، يقول تعالى ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة يوسف/ الآية 40]، ﴿إن الحكم﴾ في أمر العبادة والدين ﴿إلا لله﴾، ثم يبين ما حكم به فقال ﴿أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم﴾، الثابت الذي دلت عليه البراهين.

ثم جاء هنا ليبين بشكل أدق وأوضح عبودية القلب والجوارح بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 172]، (وهو أمر وليس بإباحة فإنْ قيل فإن الشكر إما أن يكون بالقلب أو باللسان أو بالجوارح، أما بالقلب فهو العلم بصدور النعمة عن ذلك المنعم أو العزم على تعظيمه باللسان والجوارح، أما ذلك العلم فهو من لوازم كمال العقل، وأما العزم على تعظيمه باللسان والجوارح فذلك العزم القلبي مع الإقرار باللسان والعمل بالجوارح، وأما الشكر باللسان إما يقر بالاعتراف له بكونه منعما أو بالثناء عليه، وأما الشكر بالجوارح والأعضاء فهو أن يأتي بأفعاله دالة على تعظيمه، وجاء بقوله تعالى ﴿ان كنت إياه تعبدون﴾ أي (اشكروا الله) إن كنتم عارفين بالله وبنعمه، فعبر عن معرفة الله تعالى

---

(١) الكشاف ج2/ ص142.

بعبادته إطلاقا لاسم الأثر على المؤثر ومعناه إن كنتم تريدون أن تعبدوا الله فاشكروه، والشكر رأس العبادات ﴿واشكروا الله﴾ الذي رزقكم هذه النعم ﴿إن كنتم إياه تعبدون﴾ أي إن صح أنكم تخصونه بالعبادة)[١].

وهذا من تمام معرفة الله وعبادته وشكره بكل عضو من أعضائه بقلبه ولسانه وجوارحه حتى تتم له العبودية وتخص به دون ما سواه.

ويذكر تعالى في هذه الآية تخصيصه بالعبادة فيقول ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ [سورة النمل/ الآية 91].

يقول الزمخشري (أمر الله رسوله أن يقول ﴿أمرت﴾ أن أخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ شريكاً كما فعلت قريش، وأن أكون من الحنفاء الثابتين على ملة الإسلام) [٢]، قال تعالى ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ [سورة هود/ الآية 2]، وتأويل هذه الآية هو (بأن لاتعبدوا إلا الله وحده لا شريك له وتخلعوا الالهة والانداد) [٣] وجاء في معنى قوله تعالى ﴿أن لا تعبدوا إلا الله﴾، جاءت بنفس هذا المعنى (أي أن لا تعبدوا أيها الناس الآلهة والأوثان، واشركها في عبادته، وافردوا الله بالتوحيد، واخلصوا له العبادة فانه لا شريك له في خلقه ﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم اليم﴾، يقول إني أيها القوم إن لم تخلصوا الله في العبادة وتفردوه بالتوحيد وتخلعوا ما دونه من الأنداد والأوثان، أخاف عليكم من الله عذاب يوم مؤلم عقابه وعذابه لمن عذب فيه[٤]، وفي معنى قوله تعالى على اختصاصه يقول تعالى في سورة هود ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة هود/ الآية 61]، أي (اعبدوا الله وحده لا شريك له واخلصوا له بالعبادة دون ما سواه من الآلهة، فما لكم من اله غيره يستوجب عليكم العبادة، ولا تجوز الألوهية إلا له)[٥].

---

(١) الرازي، التفسير الكبير ج5/ ص191.

(٢) الكشاف: ج3/ 163.

(٣) الطبري: تفسير الطبري: ج11/ 180.

(٤) المصدر نفسه: ج12/ 26.

(٥) المصدر نفسه: ج12/ 62.

وجاء في معنى قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة فصلت/ الآية 6]، إن إلهكم اله واحد فاستوو إليه بالتوحيد وإخلاص العبادة غير ذاهبين يميناً ولا شمالاً ولا ملتفتين إلى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الأولياء والشفعاء وتوبوا إليه مما سيق من الشرك[١]. وجاء في تفسير قوله تعالى ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ [سورة الأحقاف/ الآية 21]، (وذكروا إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم)[٢].

وفي معنى قوله تعالى ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الزمر/ الآية 66]، يشير الزمخشري إلى أنه (رد لما أمروه به من استلام بعض الهتكم كأنه قال: لا تعبدوا ما أمروك به، بل إن كنت عاقلاً فاعبد الله)[٣]، ويدعو القرآن الكريم بالإقرار إلى الله بالعبادة والطاعة وإن كان الذي يريد أن يفر من شيء يبتعد عنه ويتجنبه قدر ما يستطيع وأنه لا مفر من الله إلا إليه ولأن العاصي إذا أراد أن يفر من الله لا يستطيع ولا يقدر على ذلك الفرار ولذلك يقول تعالى ﴿وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة/ الآية 118]، أي وأن العاصين والظالمين والطغاة لا يجدون ملجأ من الله إلا إليه ثم يتوبون إلى الله فيتوب عليهم وعلى هذا النحو يكون معنى قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [سورة الذاريات/ الآية 51]، (أي طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به شيئا وكرر قوله ﴿إني لكم منه نذير مبين﴾ – كما جاء في الآية السابقة– عند الأمر بالطاعة والنهي عن الشرك، ليعلم أن الإيمان لا ينفع إلا مع العمل، كما إن العمل لا ينفع إلا مع الإيمان، وإنه لا يفوز عند الله إلا الجامع بينهما)[٤].

ومن هنا يتضح مما تقدم إن الله قضى بالتقدير الشرعي والفطري ان لا يعبد العباد إلا الله وان يخصوه بالعبادة دون ما سواه وأمر بعبادته وإخلاص العبودية له دون

---

(١) الزمخشري: الكشاف: ج4/ 181.

(٢) م.ن: ج4/ 137.

(٣) م.ن: ج4/ 137.

(٤) م.ن: ج4/ 395.

ما سواه وان تعبد ما أمرك الله به لا ما أمرك به الأسياد والزعماء والآباء، يقول تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 172-173].

فلا عجب أن يكون المقصود الأعظم من بعثة النبيين وإرسال المرسلين وإنزال الكتب المقدسة هو تذكير الناس بهذا العهد القديم، وإزالة ما تراكم على معدن الفطرة من غبار الغفلة أو الوثنية أو التقليد)(١).

ولا عجب أن يكون النداء الأول لكل رسول ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 59]، وبهذا دعا قومه نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب (عليهم السلام) وكل رسول بعث إلى قوم فكذبوه، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل/ الآية 36]، وقال تعالى بعد سرد قصص عدد من الأنبياء (عليهم السلام) قال بعدها ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية 92]، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [سورة المؤمنون/ الآية 52])(٢).

والذي يراد من الآية التي أخذناها سابقاً أن العبودية تختص بالله دون غيره، لأنه هو المستحق للعبادة دون غيره من الأنداد، ولأن العبودية بكل جوانبها يجب أن تصرف له الحب والخوف والرجاء والتوكل والاستعانة والدعاء وغير ذلك من العبادات التي هي أوامر الله ونواهيه والتي من خيرها وأفضلها بعد التوحيد هو بر الوالدين والإحسان إليهما إحسانا، والذي يتبين لنا الذين خلقهم الله سبحانه هما الوالدان، لذا وجب صرف الشفقة إليهما لكثرة إنعامهما وفضلهما على الإنسان وأشار بقوله ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء/الآية 23]، إلى تعظيم أمر الله، وقوله -بالوالدين إحسانا- إشارة إلى الشفقة على خلق الله الذين هما الأبوان(٣).

---

(١) القرضاوي: العبادة في الإسلام/ ص20-22.
(٢) المصدر نفسه/ ص20-22.
(٣) الرازي، التفسير الكبير، ج10: ص186.

يتضح لنا مما سبق ذكره أن المراد من الآية هو أن يشتغل الإنسان بعبادة الله ويتحرز عن عبادة غير الله سبحانه وأن لا يعبد إلا إياه وأنْ تحسنوا بالوالدين إحسانا، والإحسان إليهما يكون في حياتهما وبعد موتهما لما دل عليه قوله ﷺ: ***((إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))***(١).

يشير النووي هنا إلى أن عمل الميت ينقطع بموته وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الثلاث لكونه كان سببها فإنّ الولد من كسبه ..وفيه فضيلة لرجاء ولد صالح.. وفيه أن الدعاء يصل إلى الميت(٢).

وهذه من حق الوالدين على الولد لما لهما من الشأن والتعظيم لحقهما على أبنهما حتى أمر تعالى أن لا يؤذيهما ولو بكلمة صغيرة وهي كلمة ﴿**أف**﴾ بقوله –ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما– وكذلك نهاه عن سائر أنواع الأذى أي لا تزجرهما عما يريدان منك أو مما لا تريد أنت أو مما لا يعجبك، وأوجب عليك أن تكلمهما أحسن الكلام وألينهُ وأفضله وأطيبه بقوله –وقل لهما قولا كريما– وكل هذا فرض. لذلك (فالخطاب في الظاهر للنبي ﷺ لبيان أهمية الخبر وخطورته والمعنى أنه –وقضى ربك– وحكم حكماً لا نقض فيه ولا رجوع ألا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له، إذ إن الله هو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير)(٣).

❖ الأنموذج الثالث

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 21].

---

(١) رواه مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت 261هـ)صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم (3084).

(٢) محيي الدين يحيى النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، دار القلم، بيروت لبنان، ط سنة 1987، ج11/ص85.

(٣) محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، دار الكتاب العربي ط10، سنة 1982م، ج1/ ص564.

يدعو الله تعالى في هذه الآية الكريمة الناس جميعا إلى العبودية التي دلّ عليها قوله ﴿**اعبدوا**﴾، والخطاب هنا عام الى جميع الناس من البشرية والى الجن لأنه تعالى قال في آية أخرى ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [سورة الذاريات/ الآية 56]، وهنا دلت هذه الآية على العبودية الحقة له سبحانه، والمقصود بها طاعة أوامر الله تعالى والانتهاء عما نهى عنه من الزواجر والآثام، وأساس ذلك هو التوحيد الذي يوصل الناس المؤمنين والجن إلى عبوديته وترك كل ما سواه من الأوثان والأصنام التي عبدت من دونه من الأمم السالفة بعد أن تردت معتقداتهم وتوحيدهم بالله مما جعل الشيطان يستحوذ عليهم ويلعب بعقولهم وأزهم إلى عبادة تلك الأوثان والأصنام والمعتقدات البالية الفاسدة والتي سيطرت على عقولهم[١]. يقول تعالى ﴿**أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا**﴾ [سورة مريم/ الآية 83]، مما جعلهم يحكمون أهواءهم وشهواتهم وما تميل إليه نفوسهم من الغي والطغيان فعبدوا تلك الأصنام وجعلوا لها الأسماء والمكانة في نفوسهم وآبائهم وغير ذلك من عقائد الإشراك التي نراها اليوم في بلاد المسلمين في تعظيم الأموات وتقديسهم والتوسل إليهم والاستغاثة بهم واعتقاد الضر والنفع بهم وفي طلب الحوائج منهم ومما لا يقدر على فعلها إلا الله ﷻ، يقول تعالى ﴿ **أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾ [سورة الزمر/ الآية36]، وهذه الأعمال التي تصرف إلى غير الله لا نجد عشراً من هذه الأعمال تصرف لله بالوجه الحقيقي الذي يجب أن يصرف لله لأنها من مكملات العبودية الحقة والإيمان الصادق الذي يصرف لله تعالى وجاء في المراد من قوله تعالى ﴿**اعبدوا ربكم**﴾ أي صححوا نسبة العبادة لله وذلك بأن يعرف نفسه بالإمكان ليعرف ربه بالوجوب[٢]. وقد جعل الرازي في تفسير العبادة ثلاث مراتب لقوله (مراتب العبادة ثلاث):

الأولى:- أن يعبد الله طمعاً في الثواب وخوفاً من العقاب.

---

(١) عمار يونس عبد الرحمن، نماذج من العبودية ص21.

(٢) النيسابوري نظام الدين الحسن بن محمد حسين القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، مطبوع ضمن تفسير (جامع البيان في تفسير القرآن للطبري) دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط2، 1392هـ - 1972م.

الثانية:- أن يعبد الله لأجل أن يتشرف بعبادته والانتساب اليه بقبول تكاليفه.
الثالثة:- أن يعبد الله لكونه إلهاً حقاً مستحقاً وكونه هو عبداً له وهذه أعلى المقامات وهو المسمى بالعبودية[١].

ونريد أن نبين هنا معنى كفاية الله عبده واعتصامه به من كل خوف وأذى قد يحصل له بعد أن بينا شرف العبودية التي يتشرف بها العبد عند القيام بها لربه وخالقه وباريه، يقول الزمخشري (أليس الله بكافٍ نبيه من أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف، وفي هذا تهكم بهم، لأنهم خوفوه مما لا يقدر على نفع ولا ضر)[٢]، أي أن الله بين كفاية نبيه محمد ﷺ وحمايته وعصمته من كل أمر سوء سواء في الدين والأخلاق والتصرفات أو كل أنواع الأذى التي قد تصيبه فيكون الله حافظه وحاميه، ويقول تعالى في آية أخرى في تبيين أن العبودية لا ينبغي أن تصرف إلا لله، يقول تعالى ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة المائدة/ الآية 117].

وهذا إخبار من الله تعالى ذكره عن قول عيسى عليه السلام يقول (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به من القول أن أقوله وهو أن قلت لهم اعبدوا الله ربي وربكم، ويقول وكنت على ما يفعلونه وأنا بين أظهرهم شاهدا عليهم، وعلى أفعالهم وأقوالهم، فلما توفيتني يقول فلما قبضتني إليك كنت أنت الرقيب أي الحفيظ عليهم دوني، لأني شهدت من أعمالهم ما عملوه، وأنا بين أظهرهم)[٣]، وقوله في آية أخرى ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 102]، يقول عز وجل لهم (أيها الجاهلون إنه لا شيء له الألوهية والعبادة الا الذي خلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم، فإنه لا ينبغي أن تكون عبادتكم وعبادة جميع من في السماوات والأرض إلا له خالصة بغير شريك تشركونه فيها، فإنه خالق كل شيء وبارئه

(١) الرازي، التفسير الكبير ج2/ ص53.
(٢) الكشاف، ج4/ ص124.
(٣) الطبري، جامع البيان ج7/ ص139.

وصانعه، وحق على المصنوع أن يفرد صانعه بالعبادة، فاعبدوه يقول فذلوا له بالطاعة والعبادة والخدمة، واخضعوا له بذلك)(١).

وأشار ابن عاشور في قوله ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾ [سورة المائدة/ الآية 72]، بقوله (فيجوز أن تكون هذه الجملة حكاية لكلام صدر من عيسى عليه السلام فتكون تعليلاً للأمر بعبادة الله)(٢).

ويشير ابن عاشور في آية أخرى الى هذا المعنى فيقول ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة يونس/ الآية 104]، واقعة موقع جواب شرط دال عليه في المعنى فتقدير الجواب: فأنا على يقين في فساد دينكم فلا أتبعه، فلا أعبد الذين تعبدونهم ولكن أعبد الله(٣).

يتضح لنا مما تقدم أن العبودية الخالصة إنما تكون لله وحده لا شريك وأن لا تصرف لغيره من الأنداد(*) والأوثان(*) والفرق بين الوثن والصنم كما عبر عنه أهل اللغة هو أن الصنم قد يطلق على الوثن ولكن الوثن لا يطلق على الصنم، وهنا يجب أن تصرف العبودية بكل أشكالها ومعانيها ومقاصدها لله وحده.

لقد كان ابن عباس رضي الله عنهما فيما روي عنه يقول في تفسير قوله تعالى ﴿أعبدوا ربكم﴾: **(أي: وحدوه أي أفردوه بالطاعة والعبادة لربكم دون سائر خلقه)**(٤).

وقد أشار الزركشي إلى علة تقديم المخاطبين على من قبلهم في قوله ﴿الذي خلقكم والذين من قبلكم) بأنهم أقرب منهم ولذلك قدموا(٥)، (ولأنهم المواجهون بالأمر بالعبادة فتنبيههم أولا على أنفسهم أكد وأهم)(٦).

---

(١) الطبري: ج7/ ص299.
(٢) التحرير والتنوير ج6/ ص280.
(٣) التحرير والتنوير، ج11/ ص301.
(*) الند بالكسر هو المثل والنظير والجمع أنداد، والأنداد جمع ند وهو مثل الشيء الذي يضاده في أمور ويخالفه ويريد بها ما كانوا يتخذونه من دون الله. ابن منظور، لسان العرب، ج3/ ص420.
(*) الوثن: الصنم والجمع وثنٌ وأوثان مثل أسدٌ وأساد، (مختار الصحاح)، ج1/ ص295.
(٤) ابن جرير الطبري: جامع البيان، ج1/ 152.
(٥) الزركشي: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ)، البرهان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية/ بيروت–لبنان، ط1 1998م، ج3/ص311.
(٦) الآلوسي: روح المعاني، ج1/ 185.

وحينما قال لهم نبي الله عيسى عليه السلام بقوله تعالى ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ ﴾ [سورة المائدة/ الآية 72]، فإني مثلكم مربوب فوحدوا الله واعبدوه فانه خالقي وخالقكم ﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة﴾ أي في عبادته سبحانه، أو فيما يختص به سبحانه، أو فيما يختص به من الصفات والأفعال)[1].

وأشار ابن عادل في تفسيره هنا ﴿اعبدوا ربكم﴾ فهي دعوته تبارك وتعالى إلى خلقه جميعا ولقد دلت العبادة في الآية على توحيد الله والالتزام بطاعته وأوامره فمن ذلك أن ابن عباس رضي الله عنه قال: كلما ورد في القرآن من العبادة فهو التوحيد[2].

وهنا يطرح سؤال هل الناس جميعاً مطالبون بالعبادة في قوله تعالى ﴿يا أيها الناس اعبدوا ربكم﴾ أي أنه يتناول جميع الناس الموجودين في ذلك العصر وهل يتناول الذين سيوجدون بعد ذلك. والجواب في ذلك كما بينه ابن عادل بقوله: (ولو لم يوجد دليل منفصل لكان الأمر كذلك إلا اننا عرفنا في التواتر من دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن تلك الخطابات ثابتة في حق من سيوجد بعد ذلك إلى قيام الساعة فلهذه الدلالة وجب العموم)[3].

يذكر الدكتور نعمان السامرائي في مسألة العبادة وهو يطرح قضية دعوة الرسل إلى العبودية التي أمروا بتبليغها وبعثوا من أجلها فيقول (إن الأنبياء بعثوا لدعوة البشر للتوحيد وليقولوا بالتوحيد وليقولوا: لا اله إلا الله، ولم يؤمروا أن يسوقوا الأدلة على أن لهذا العالم اله، فان ذلك مجبول في فطرة عقولهم منذ نشأتهم، وعنفوان شبابهم. ولذا قال تعالى ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [سورة لقمان/ الآية 25])[4].

---

(١) الآلوسي: روح المعاني، ج6/ 207.

(٢) أبي حفص/ عمر بن علي بن عادل ا لحنبلي (ت 880هـ) اللباب في علوم الكتاب، بيروت، ط1 1989م، ج1/ ص408.

(٣) المصدر نفسه: ج1/ص409.

(٤) الدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي -كتاب الإسلام- ط1 1425هـ 2004م/ 19.

أي أن جميع الناس مقرون بربوبية الله تعالى وخلقه لهم وتدبير كل ما في الكون لأجلهم وخلقهم لأجله ولذلك يقول تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل/ الآية 36].

جاء في هذا المعنى كما أشار الزمخشري **(ولقد أمر إبطال قدر السوء ومشئه الشر بأنه ما من أمة إلا وقد بعث فيهم رسولاً يأمرهم بالخير الذي هو الإيمان وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت)**(١).

وجاء في معنى الطاغوت انه **(العجل الذي عبده اليهود، وعن ابن عباس والحسن (رضي الله عنهما) انه الشيطان)**(٢).

الطاغوت هو كل ما عبد من دون الله من صنم أو شجر أو حجر أو شيطان أو بشر كما قال فرعون لقومه ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ [سورة القصص/ الآية 38]، فلجهلهم وسذاجة عقولهم عبدوه وأطاعوا أمره ونهيه في كل ما يقول حتى قال لهم ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [سورة غافر/ الآية 29]، فعلى هذا كان طاغوتاً يعبد من دون الله.

فلذلك أمر الله بعبادته وحده لا شريك له دون غيره من الطواغيت والأنداد والشركاء والأوثان وغيرها.

ولذلك كان الإسلام وما زال إذا دخل قلباً طرد كل ما عدا من تقاليد وتعاليم بحكم قوته وسيطرته وروحانية مبادئه وسمو شرائعه وحسن توجيهه وإنارته للبصائر(٣).

وأشار الزمخشري إلى معنى ﴿**اعبدوا**﴾ فقال: لا يخلوا الأمر بالعبادة من أن يكون متوجهاً إلى المؤمنين أو الكافرين جميعاً أو الى كفار مكة(٤).

ثم بين أن المراد بـــ ﴿**عباده المؤمنين**﴾ هو ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها، وأما عبادة الكفار فمشروط فيها فيما لابد له منها وهو الإقرار، (وما لابد منه فهو

---

(١) الزمخشري: الكشاف، ج2/ ص409.

(٢) الآلوسي: روح المعاني، ج6/ ص157.

(٣) عبد الرحمن العيسوى: كتاب لماذا أنا مسلم ط4/ 1989 بيروت/ ص84.

(٤) الزمخشري: الكشاف ج1/ ص174.

مندرج تحت الأمر به وإنْ لم يذكر حيث لم ينفعل وكان من لوازمه أن مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به لقوله تعالى ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الزخرف/ الآية 9])، والى ذلك أشار الزمخشري فقال (إنما أراد منهم أن يعبدوه مختارين العبادة لا مضطرين إليها لأنه خلقهم ممكنين واختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريداً لها ولو أرادها على القسر والإ لجاء لوجدت من جميعهم[١]).

يتبين للباحث من قوله تعالى ﴿اعبدوا ربكم﴾ فيه دعوة صريحة إلى العبادة والمراد منها التوحيد والطاعة والتذلل لله ﷻ.

فلو أريد غير الله فقيل اعبدوا أربابكم فلا جرم إنْ كان قوله تعالى ﴿اعبدوا ربكم﴾ في أنه دعوة إلى توحيد الله[٢].

يذكر ابن عاشور في معنى آخر في توجيه وبيان الغاية من الخلق وحقيقة عمل المكلفين أي (أنه ما خلقهم إلا لينتظم أمرهم بوقوفهم عند حدود التكاليف التشريعية في الأوامر والنواهي فعبادة الإنسان ربه لا تخرج عن كونها محققة للمقصد في خلقه وعلة لحصوله عالة[٣]).

وفي هذا النداء تكريم للمخاطبين في بيان ما خلق الله ﷻ بما يسقون به من قدرة على التمييز وتحمل التكاليف الإلهية التي تبين لهم سبيل الهداية وطريق الحق من الباطل[٤].

❖ الأنموذج الرابع

﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ﴾ [سورة الرعد/ الآية 36].

يبين لنا الله ﷻ ويصف نبيه ﷺ بالعبودية الخالصة دون تدنيسها وتخليطها بالشرك الذي قد يشوبها وإخلاص العبودية لله وحده دون غيره من الأوثان.

---

(١) الزمخشري: الكشاف: ج1/ ص173-175.

(٢) التحرير والتنوير:ج1/ ص126.

(٣) المصدر نفسه: ج27/ ص25.

(٤) علي زهران – نداء القرآن الكريم، مطبعة الأهرام التجارية بمصر (د.ت)/ 49.

وقبل أن نشرع في تفسير هذه الآية والمعاني التي قد تتصرف إليها نذكر مهمة الرسل وما يتعلق بعبوديتهم لله تعالى وعلاقة الفطرة بالناس وتوجيهها، يقول يوسف القرضاوي (ولما كانت مهمة الرسل أن يوجهوا الفطرة السليمة وجهةً إلى الله، وأن يحفظوا ذلك الشعور الأصيل من الانحراف، حتى لا يعبد الإنسان إلا الله، ولا يشرك به شيئا، ولا يتخذ بعض المخلوقات أرباباً من دونه، وفي الحقب التي طال فيها الأمد على دعوة الرسل فنسيت أو حرفت، ضل الناس وعبدوا أنواعاً من الآلهة لا يكاد العقل يصدقها، وهذا داء قديم منذ عهد قوم نوح الذين اتخذوا من دون الله (وداً، سواعاً، يغوث، يعوق، نسرا)قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [سورة نوح/ الآية 23، 24]، وقد روى ابن عباس إنها كانت في الأصل صوراً لبعض موتاهم الصالحين اتخذوها لتذكرهم بهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوها[1].

ومن قواعد العبودية والعبادة التوحيد والإيمان بالله ﷻ، فالتوحيد هو القاعدة الأولى في الإسلام التي يجب أن يؤمن بها قلب المسلم، وينطق بها لسانه بقوله (أشهد أن لا إله إلا الله) وكلمة الشهادة وهي نفي لكل إله غير الله واثبات العبادة للمعبود بحق وهو الله ﷻ[2].

وأشار سيد قطب في تفسيره قوله ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [سورة المائدة/ الآية 72]، أنه قام بتحذيرهم ونصحهم إلى توحيد الله، وعدم الإشراك به، ولكنهم وقعوا بعد أن رفعه الله إليه وطهره وأنقذه من الذين كفروا فيما كان قد حذرهم من الوقوع فيه وما أنذرهم به من أنهم يحرمون من الجنة ونعيمها وأن انتهاءهم ومصيرهم جهنم وبئس المصير[3]. ويتضح لنا مما تقدم أن العبودية تكون لله وحده لا شريك له دون غيره من الأصنام والأوثان، وجاء تشريف النبي ﷺ بهذه التسمية وأن العبودية انما تكون للرب الذي خلق ورزق ودبر هذا المخلوق والذي خلقه لعبادته يقول تعالى

---

(١) العبادة في الإسلام/ ص137.

(٢) عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، ط10، بيروت، 1973، ص93.

(٣) سيد قطب (ت 1959)، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ط 7، 1971م، ج1/ص945.

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 164]، ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 140]، وجاء في معنى قوله تعالى (أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبوداً وهو فعل بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها أحداً غيركم لتخصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره، ومعنى الهمزة الإنكار والتعجب من طلبهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله)[١].

وقال الزمخشري في تفسيره معنى قوله تعالى﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ [سورة يونس/ الآية 104]، أي (وإني لا أعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو إلهكم وخالقكم (ولكن اعبدوا الله الذي يتوفاكم) وإنما وصفه بالتوفي ليريهم أنه الحق بأن يخاف ويتقي فيعبدون ما لا يقدر على شيء ﴿وأمرت أن أكون من المؤمنين ﴾ يعني أن الله أمرني بذلك بما ركب في من العقل وبما أوحي إلي من كتابه. وقيل معناه إن كنتم في شك من ديني ومما أنا عليه أثبت عليه أم أتركه وأوفقكم فلا تحدثوا أنفسكم بالمحال، ولا تشكوا في أمري واقطعوا عني أطماعكم، واعلموا أني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله، ولا أختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ [سورة الكافرون/ الآية 1،2][٢].

وأعقبه بقوله تعالى مبينا تعلق العبادة بكل جوانبها بالله تعالى بقوله ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة يونس/ الآية 106]، ومعنى ذلك هو (فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل إيجازاً ﴿فإنك إذاً من الظالمين﴾ إذاً جزاء الشرط وجوب لسؤال مقدر، كأن سائلاً سأل عن تبعه عبادة الأوثان وجعل من الظالمين لأنه لا ظلم أعظم من الشرك ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾، أتبع النهي عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر، إن الله ﷻ هو

---

(١) الزمخشري: الكشاف ج2/ ص110-111.

(٢) المصدر نفسه: ج2/ ص255.

الضار النافع الذي إن يضر لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد، فكيف بالجماد الذي لا شعور به، وكذلك إن أرادك بخير لم يرد أحد ما يريدك به من فضله وإحسانه، فكيف بالأوثان فهو الحق بأن يتوجه إليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ [سورة الزمر/ الآية 38]،[١].

يقول تعالى في إثبات الألوهية له ونفيها عن غيره وان الذين لا يؤمنون بها قلوبهم منكرة لكل ما جاء به الله تعالى ومستكبرون عنها، قال تعالى ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة النحل الآية/ 22].

يعني أنه قد ثبت بما تقدم من ابطال أن تكون الألوهية لغيره أنها له وحده لا شريك له فيها، فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم، وأن قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها، وحينما ذكر المستكبرين التي بعدها قصد المستكبرين عن عبادته فقال الزمخشري: **(**لا حرم حقاً إن الله يعلم سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد ﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾ يجوز أن يريد بالمستكبرين عن التوحيد، المشركين، ويجوز أن يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه**)**[٢].

ومن هنا يتبين لنا حرمة الاستكبار وما أعد الله للمستكبرين عن عبادة الله وتوحيده وطاعته وسوء عاقبتهم، قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر/ الآية 60]، وحسن عاقبة أهل طاعته وتوحيده وما أعد الله لهم في الدنيا والآخرة إذ يقول ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [سورة النور/ الآية 55]، **(**قلت: إن جعلته استئنافا

---

(١) الزمخشري، الكشاف ج2/ ص256.

(٢) المصدر نفسه: ج2/ ص406.

لم يكن له محل كأن قائلاً قال:ما لهم يستخلفون ويؤمنون؟ فقال (يعبدونني)، وإنْ جعلته حالا عن وعدهم: أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم فمحله النصب) [١].

وفي معنى قوله تعالى ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [سورة الصافات/ الآية 84]، أي نظيف سالم من كل أدران الشرك والوثنية والجاهلية وقيل أي سالماً من جميع آفات القلوب، وقيل من الشرك ولا معنى للتخصيص لأنه مطلق، فليس بعض الآفات أولى من بعض فيتناولها كلها. فإن قلت ما معنى المجيء بقلبه ربه؟ قلت معناه: إنه أخلص لله قلبه وعرف ذلك منه فضرب المجيء مثلا لذلك، ثم أعقبها بقوله ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الصافات/ الآية 87]، يعني هو الحقيق بالعبادة لأن من كان رباً للعالمين استحق عليهم أن يعبدوه حتى تركتم عبادته إلى عبادة الاصنام، والمعنى أنه لا يقدر في وهم ولا ظن وما يصد عن عبادته، أو فما ظنكم به – أي شيء من الأشياء– حتى جعلتم الأصنام له أنداداً، أو فما ظنكم به، ماذا يفعل بكم، وكيف يعاقبكم وقد عبدتم غيره [٢]، جاء في معنى التوجه بالعبادة لله وحده دون ما سواه والتبرء ببيان الإيمان الصادق وعقيدته الحقة والتوحيد الخالص والوجه الصحيح، يقول تعالى ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 79]، أي (تبرأ من شركهم وقفى على تلك البراءة ببيان عقيدته الحقة وهو التوحيد الخالص فقال إني وجهت وجهي وقصدي وجعلت توجيهي في عبادتي للرب الخالق الذي فطر السماوات والأرض وابتدأ خلقهما بما فتق من رتق مادتهما وهي دخان وأكمل خلقهن اطواراً في ستة ازمان، فهو خالق هذه الكواكب النيرات، وخالقكم وما تصنعون من هذه الأصنام، من معدن ونبات وتوجيه الوجه هنا بمعنى إسلامه)[٣]، يقول تعالى ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [سورة النساء/ الآية 125].

---

(١) الزمخشري: ج3/ ص74.

(٢) المصدر نفسه: ج3/ ص344.

(٣) السيد محمد رشيد رضا (ت 1935) تفسير القرآن الكريم المشهور بتفسير المنار، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط1، 1999م/ ج7/ ص465.

وقيل (بريء من الإجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها (اني وجهت وجهي للذي فطر..) أي للذي دلت عليه هذه المحدثات مبدئها ومبتدئها)[١].

يتبين لنا مما تقدم أن الله لا يقبل شيء من الشرك وإنْ كان مثقال حبة من خردل وأنه لا يقبل من المشرك صرفاً ولا عدلاً لأنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ولذلك يقول تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف/ الآية 110].

ويشير الزمخشري إلى هذا المعنى فيقول **(والمراد بالنهي عن الإشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به إلا وجه ربه خالصاً لا يخلط به غيره)**[٢]. وجاء في نهاية مطاف العبودية وتخصص الله تعالى بها ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الزمر/ الآية 66]، أي دل على تخصيص الله بالعبادة دون سائر ما تعتقده النفوس والأهواء من الآلهة والأوثان وهذا (رد لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل إنْ كنت عاقلا فأعبد الله، ﴿وكن من الشاكرين﴾ على ما أنعم عليك من أن جعلك سيد ولد آدم)[٣]، وبعد أن سرد الله قصص الكثير من الأنبياء قال ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 88]، فبين أن الأنبياء على جلالة قدرهم ومكانتهم عند الله تعالى وبعثهم الله بتبليغ هذا الدين الحنيف ودعوة الناس إلى توحيده وطاعته إلا أنهم إن أشركوا بالله تعالى يحبط عنهم كل ما عملوا من هذه الأعمال وتكون هباءً منثورا.

❖ الأنموذج الخامس

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [سورة البينة/ الآية 5].

بعد أن أمر الله عباده بالعبودية لله ﷻ ودعاهم إليها وبعث إليهم الرسل وانزل عليهم من أجل هذه العبودية الكتب أمرهم بعدها بإخلاص العبودية له دون غيره من

---

(١) الزمخشري، الكشاف: ج2/ ص31.
(٢) المصدر نفسه: ج2/ ص501.
(٣) الزمخشري، الكشاف: ج3/ ص407-408.

الأنداد وأمر الله بأن يخص الله وحده في عباداته الظاهرة والباطنة، وقد فسر هذه الآية الرازي بقوله (هو أن يكون المراد بقوله ﴿**وما أمروا**﴾ بالتوراة والإنجيل إلا بالدين الحنفي فيكون المراد أنهم كانوا مأمورين بذلك إلا أنه لما أتبعه ﴿**وذلك دين القيمة**﴾ علمنا أن ذلك الحكم كما أنه مشروعاً في حقهم يكون مشروعاً في حقنا بقوله ﴿**إلا ليعبدوا الله**﴾ دقيقة وهي أن هذه اللام لام الغرض فثبت أن المراد ﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين**﴾.

والإخلاص: عبارة عن النية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة، فقد دلت الآية على أن كل مأمور به فلا بد له من أن يكون منوياً .. ثم وجبت العبادة لكونها مفضية إلى ثواب الجنة، أو إلى البعد عن عقاب النار[١].

ويذكر الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسير هذه الآية معنى آخر فيقول (مع أن الكتب كلها جاءت بأصل واحد ودين واحد، فما ﴿**أمروا**﴾ في سائر الشرائع، إلا أن يعبدوا ﴿**الله مخلصين له الدين**﴾، أي قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله وطلب الزلفى لديه، ﴿**حنفاء**﴾، أي معرضين عن سائر الأديان المخالفة لدين التوحيد، وخص الصلاة والزكاة بالذكر مع أنهما داخلان في قوله ﴿**ليعبدوا الله مخلصين له الدين**﴾ لفضلهما وشرفهما وكونهما العبادتين من قام بهما قام بجميع شرائع الدين، ﴿**وذلك**﴾، أي التوحيد والإخلاص في الدين هو ﴿**دين القيمة**﴾، أي الدين المستقيم الموصل إلى جنات النعيم، وما سواه فطرق موصلة إلى الجحيم)[٢].

والحنفاء، أي مستقيمين، والحنف هو الاستقامة، وإنما سمي مائل القدم أحنف على سبيل التفاؤل كقولنا للأعمى بصير، وللمهلكة مفازة، قال أبو قلابة: الحنيف: الذي

---

(١) التفسير الكبير، ج32/ ص241-143.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت 1376هـ)، تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دار ابن الجوزي ط1/ 1425هـ/ ص1099.

آمن بجميع الرسل فمن لم يؤمن بجميع الأنبياء، كيف يكون حنيفاً، وقيل الحنيف هو الذي يعدل عن الأديان إلى الإسلام(١).

ويظهر مما سبق ذكره من كلام المفسرين بيان أهمية الإخلاص وتأكيد هذه العبادة، وأشار العلماء إلى هذه العبادة فعبادة الله هذه عبادة عامة وإخلاص العبادة لله المأمور بها في الآية التي ذكرناها فيها خصوصية إخلاص العبادة لله وحده، وأشار القرضاوي إلى معنى قوله ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف/ الآية 110]، يقول القرضاوي فمن أسلم وجهه لله، ولم يشرك بعبادة ربه أحداً فقد أخلص الدين لله وحده، ولكن ذلك لا يكفي ما لم يفعل ذلك ﴿**وهو محسن**﴾ وما لم يعمل ﴿**عملاً صالحاً**﴾ والإحسان والعمل الصالح أن يتقرب لله بما شرعه الله لا بما وضعه الناس وقد كان عمر ابن الخطاب ﷺ يقول: **(اللهم اجعل عملي صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً)** وقال الفضيل بن عياض مبيناً أهمية الإخلاص وموقعه من العمل ودوره في عمل العبد فيقول: في قوله تعالى ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [سورة الملك/ الآية 1]، مفسراً معنى أحسن العمل قال أخلصه وأصوبه وقالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه، قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، ولا يقبل حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة، يعني الطريقة المشروعة المرضية عند الله ورسوله(٢).

يقول أحد الصالحين **(أعز شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد لإسقاط الرياء من قلبي، وكأنه ينبت على لون آخر)**(٣).

ويتضح لنا مما تقدم أن العبادة الصحيحة التي أمرنا الله بها ودعانا إليها لا تتحقق للمسلم إلا بأمرين هما:-

---

(١) الرازي، التفسير الكبير: ج32/ ص244.

(٢) العبادة في الإسلام بتصرف ص172.

(٣) عبد الملك الشيباني، قصة معاذ بن جبل ﷺ ط1، 1978/ ص43.

1. إخلاصها لله تعالى.

2. موافقتها لما جاء به النبي ﷺ.

وجاء في تفسير الآية السابقة أيضاً معنى أوضح وهو قوله تعالى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف/ الآية 110]، والمراد بالنهي عن الإشراك عن العبادة أن لا يرائي بعمله وأن لا يبتغي به إلا وجه ربه خالصاً لا يخلط به غيره[١].

يقول الله تعالى في آية أخرى مبيناً لنا الأمر بالإخلاص في العبادة فيقول ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة النحل/ الآية 9]. والمعنى هو (القصد: مصدر. بمعنى الفاعل وهو القاصد، يقال سبيل قصد وقاصد: أي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه، ومعنى قوله ﴿وعلى الله قصد السبيل ﴾ أن هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله إن علينا للهدى .. وقرأ عبد الله بن مسعود (ومنكم جائر: يعني ومنكم جائر جار عنه القصد بسوء اختياره والله بريء منه)[٢]، أو أن الله يجير المسلم وينقذه من الطريق غير المستقيم.

أي منهم قصد وأخلص في عبادته لله مع عمله ومنهم من جار وظلم نفسه وقلبته نيته من الإخلاص إلى الرياء، أو من الكفر إلى الإيمان حتى ضل السبيل. وجاء في آية أخرى مبيناً معنى الإخلاص يذكره البيضاوي في تفسيره ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة الزمر/ الآية 11]، بشكل أوضح وتفاصيل أبين فيقول: (وأمر الله نبيه ﷺ أن يقول لهم، إني أمرت أن اعبد الله وحده مخلصاً له ديني، عبادة خالية من الشرك والرياء وحب السمعة)[٣].

---

(١) الزمخشري، الكشاف: ج2/ص501.

(٢) المصدر نفسه: ج2/ ص403.

(٣) البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد (ت 685 هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، بيروت ط1، 1408هـ - 1988م، ج2/ 321-322.

وجاء في تفسير الكشاف قوله تعالى ﴿فَاعْبُدُ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ*أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [سورة الزمر/ الآية 2-3]، ﴿مخلصاً له الدين﴾ ممحضاً له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر، وحقٌّ من رفعه أن يقرأ مخلصاً بفتح اللام كقوله تعالى ﴿وأخلصوا دينهم لله﴾ [سورة النساء/ الآية 146]، حتى يطابق قوله إلا لله الدين الخالص- والخالص والمخلص واحد .. أي هو الذي وجب اختصاصه بان يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لإطلاعه على الغيوب والأسرار، ولأنه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة لها وعن قتادة الدين الخالص: شهادة أن لا اله إلا الله، وعن الحسن: الإسلام(١).

ويتبين مما تقدم ذكره أن الإخلاص في العبودية لله تعالى من الفروض الذي أوجبها الله في كتابه العزيز وحث عباده عليها وأمرهم بالتمسك بها لأنها من الفروض القلبية الواجبة على العباد، وجاء في قوله تعالى ﴿يا أيها الذي آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ [سورة الحج/ الآية 77]، بمعنى (اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله)(٢).

وجاء في معنى الإخلاص لله بالعبادة وحده دون شريك ولا ند، يقول تعالى في معنى الإخلاص ﴿قُلْ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [سورة الزمر/ الآية 14].

يقول الزمخشري في هذه الآيات (قلت هنا ليس بتكرير بالنسبة إلى الآية الأولى لأن الأول وهو قوله تعالى ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدْ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة الزمر/ الآية 2]، وهو إخبار بأنه مأمور من جهة الله بإحداث العبادة والاخلاص، والثاني الذي هو مذكور هنا في الآية الأولى إخبار بأنه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصاً له الدين، ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الأول، فالكلام أولاً واقع في الفعل نفسه وإيجاده، وثانياً فيمن يفعل الفعل لأجله)(٣).

---

(١) الزمخشري، الكشاف ج3/ ص386.
(٢) الزمخشري، الكشاف ج3/ ص24.
(٣) المصدر نفسه، ج3/ ص392.

ويتبين لنا من قوله تعالى ومما قاله المفسرون أن العبودية تختص به وحده دون ما سواه وأن تكون هذه العبادة خالصة لله وحده عن الأنداد والشركاء خالية وصافية من كل شائبة كدر أو اختلاط حتى تقبل عنده تعالى لأن الله تعالى يقول عن الإخلاص والمخلصين ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [سورة النساء/ الآية 146]، (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين).

❖ الأنموذج السادس

قال تعالى ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 133].

كأنه تعالى قال لهم فيما كانوا يزعمون وفيهم من العرب أبناء إسماعيل وعلى الكفار من بني إسرائيل يعني يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليه السلام أن يعقوب حينما حضرته الوفاة سأل بنيه ووصاهم بعبادة الله وحده لا شريك له فقال ﴿ما تعبدون من بعدي﴾، فرد عليه أبناؤه (قالوا نعبد إلهك وإله إبراهيم وإسماعيل واسحق، ونحن عابدون وخاضعون له بالطاعة بكل ما أمرنا به من شريعة وتكاليف وأحكام، ومنتهين عما نهى عنه)(١).

وأشار الله عز وجل وتعالى إلى ما حكى عن إبراهيم عليه السلام أنه أكد الوصية لنبيه في الدين والإسلام، (ذكر عقيبه أن يعقوب وصى بنيه بمثل ذلك تأكيداً للحجة على اليهود والنصارى، مبالغة في البيان) والقول في أن ﴿أم﴾ في هذه الآية متصلة، وطريق ذلك أن يقدر قبلها محذوف، أي كأنه قال (أتدعون على الأنبياء اليهودية، أم كنت شهداء إذ حضر يعقوب الموت، يعني أن أوائلكم من بني إسرائيل كانوا مشاهدين له إذ دعا بنيه إلى ملة الإسلام والتوحيد، وعلمتم ذلك، فما لكم تدعون على الأنبياء ما هم منه براء) فدلت الآية على (أن شفقة الأنبياء -عليهم السلام- على أولادهم كانت في باب الدين ومهمتهم إليه دون غيره)(٢).

---

(١) ابن كثير: ينظر تفسير القرآن العظيم: ج1/ ص186.
(٢) التفسير الكبير: ج2/ ص81-83.

أما قوله تعالى ﴿ما تعبدون من بعدي) أي شيء تعبدون بعدي، فهو اختبار لهم وتثبيت ووصية وتذكير بعبادة الله تعالى وعهدهم إلى الرسل وتنبيه لأمة محمد ﷺ وتعظيم لشأن دينهم، والإيمان بالرسل الكرام (عليهم السلام) ودلت الآية على أن يعقوب عليه السلام دعا إلى توحيد الله بقوله ﴿ما تعبدون من بعدي ﴾ أي توحدونه بالعبادة والعبودية والذلة والخضوع.

وهذا ما أشار إليه (عطاء: إن الله لم يقبض نبياً حتى يخيره بين الموت والحياة، فلما خير يعقوب قال: أنظرني حتى أسأل أولادي وأوصيهم، ففعل ذلك، فجمع ولده وولد ولده، قال لهم: قد حضر أجلي فما تعبدون من بعدي؟ قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون، والعرب تسمي العم أباً كما تسمي الخالة أماً)(١). وهذا ما قاله الطبري في تفسير الآية بقوله (أي شيء تعبدون من بعدي أي من بعد وفاتي، قالوا نعبد إلهك، معبودك الذي تعبده ومعبود آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً أي نخلص له العبادة ونوحد له الربوبية فلا نشرك به شيئا ولا نتخذ دونه ربا)(٢).

وأشار النيسابوري إلى معنى آخر في قوله ﴿ما تعبدون﴾ أن يعقوب سأل عن صفة المعبود كما نقول: ما زيد، أتريد فقيه أم طبيب(٣).

ولقد كان هذا سؤال يعقوب بنيه عن حالهم بعد وفاته أي ما تعبدون من بعد وفاتي وهذا دليل على حثه ما كانوا ويكونون عليه في حال حياته من التوحيد والعبودية (وأخذ الميثاق منه عليهم وليس الاستفهام حقيقاً وكان هذا بعد أن دخل عليه السلام مصر ورأى فيه من يعبد النار فخاف على ولده فحثهم على ما حثهم)(٤).

---

(١) ابن عادل الحنبلي: اللباب في علوم الكتاب: ج2/ص508.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن: ج1/ ص439.

(٣) ينظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان: ج1/ ص422.

(٤) الآلوسي:- روح المعاني: ج1/ ص391، ينظر تفسير الكريم الرحمن/ ص62.

ومن هذه الأقوال في معنى العبودية في قوله تعالى ﴿ما تعبدون من بعدي ﴾ يتبين لمسار البحث أن يعقوب عليه السلام أراد أن يختبر بنيه في الاعتقاد مع علمه أنهم ثابتون على العقيدة الراسخة وهي لا اله إلا الله ولأنهم سيكونون الدعاة إلى الله تعالى وعبادته، أي توحيده والإخلاص له).

وكذلك يتبين للباحث أن سؤال يعقوب موجه إلى بنيه مباشرة مع الحضور مع السياق القرآني الذي جاء قبل ذلك بقوله تعالى ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 133].

والمراد بالشهادة هنا هو الخطاب موجهه لجنس اليهود في زمن النبي ﷺ وهذا ما يشير إليه سبب النزول فقد ذكر الواحدي (أن الآية نزلت في اليهود حيث قالوا للنبي ﷺ الست تعلم أن يعقوب لما مات أوصى بنيه باليهودية؟)(١).

فنزلت الآية الكريمة في توبيخ اليهود في ادعائهم أن يعقوب وأبناءه كانوا على اليهودية، وانتم عالمون بذلك فمالكم تدعون على يعقوب وبنيه خلاف ما علمتم، فبطل قول اليهود حينما أجابه بنوه وقالوا: بقوله تعالى ﴿نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 133].

وتبين أن النبي يعقوب حينما قالوا له في أواخر الآية مما حكاه القرآن الكريم ﴿ونحن له مسلمون ﴾ وإليه أشار الآلوسي في تفسيره أي مذعنون مقرون بالعبودية وقيل خاضعون منقادون مستسلمون لنهيه وأمره قولاً وعقداً، وقيل: (داخلون في الإسلام ثابتون عليه)(٢).

---

(١) أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت 468هـ)، أسباب النزول، بيروت، 1975، ص22.

(٢) الآلوسي: روح المعاني: ج1/ ص391.

وهذا ما يدل عليه أن الأنبياء جميعهم دعوا إلى دين الإسلام (عليهم الصلاة والسلام) فكان ذلك رداً على اليهود الذين قالوا إن يعقوب دعا إلى اليهودية فبطل ذلك)، وفي ذلك يشير سيد قطب في تفسيره (أن هذا المشهد بين يعقوب وبينه في لحظة الموت والاختصار لمشهد عظيم الدلالة، قوي الأحياء وعميق التأثير، فقوله ﴿**ما تعبدون من بعدي**﴾ هذا هو الأمر الذي جمعتكم من أجله. وهذه هي القضية التي أردت الاطمئنان عليها وهذه هي الأمانة والتراث)[1].

وخلاصة ذلك أن معنى الآية على التوحيد والاعتقاد في قوله ﴿**ما تعبدون من بعدي**﴾ لأن جوابهم كان دليلاً على ذلك في ربط المعنى الأول بالمعنى الثاني في قوله تعالى ﴿**نعبد إلهك**﴾ أي نوحده ونخلص له الدين في الخضوع والذلة.

❖ الأنموذج السابع

قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ**﴾ [سورة الزمر/ الآية 17-18].

يبين الله ﷻ في هذه الآية ما أشار إليه الزمخشري في معناها بقوله (وقريء الطواغيت ﴿**أن يعبدوها**﴾ بدل من الطاغوت بدل الاشتمال ﴿**لهم البشرى**﴾ هي البشارة بالثواب كقوله تعالى ﴿**لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾ [سورة يونس/ الآية 164]. والله ﷻ بشرهم بذلك في وحيه على السنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين، وحين يحشرون يقول تعالى ﴿**يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ**﴾ [سورة الحديد/ الآية 12]، وأراد بعباده (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) إذ جاء في معنى هذه الآية على اتباع الأحسن من القول وقوله ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**﴾

---

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن: ج1/ ص116.

[سورة الزخرف/ الآية 61]، أي (واتبعوا هداي وشرعي أو رسلي، وقيل هذا ما أُمِر الرسول أن يقوله -هذا صراط مستقيم- أي هذا الذي أدعوكم إليه[١].

وجاء في هذا المعنى نفسه قوله تعالى ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [سورة الشورى/ الآية 13]، والمراد (إقامة دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلماً، ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسب أحوالها فإنها مختلفة متفاوتة، قال الله تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [سورة المائدة/ الآية 48])[٢].

يقول أبو بكر ﷺ عن معنى الاستقامة (استقاموا فعلاً كما استقاموا قولاً)، وعــن عمر ﷺ، (استقاموا على الطريقة ولم يراوغوا روغان الثعالب)، وعن عثمان ﷺ، (أخلصوا العمل)، وعن علي بن أبي طالب ﷺ، (أي أدوا الفرائض)[٣].

وجاء في معنى الآية التي تدل على التمسك بالتوحيد الذي هو العبودية المحضة التي أُمِرنا بالاستقامة عليها يقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 102]، معناه (استقروا على الإسلام وحافظوا على أعماله حتى الموت فالمراد بالإسلام على هذا هو الدين إيمانه وعمله وجاء في قوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [سور آل عمران/ الآية 103]، وقيل حبل الله هو القرآن وقيل هو الطاعة، روي هذا عن عبد الله بن مسعود ﷺ، وقيل إنه الاسلام، ولا تفرقوا بإتباع السبل غير سبيل الله الذي هو كتابه)[٤].

وبما أن وظيفة العبد الحقيقية هي إطاعة سيده وامتثال أوامره فحتماً يتبعه تصور الإطاعة ثم إذا كان العبد لم يقف به الأمر على أن يكون قد أسلم نفسه لسيده طاعة

---

(١) الزمخشري، الكشاف: ج3/ ص495.

(٢) المصدر نفسه: ج3/ ص464.

(٣) المصدر نفسه: ج3/ ص453.

(٤) محمد رشيد رضا: تفسير المنار: ج4/ ص17-18.

وتذللاً، بل كان مع ذلك يعتقد بعلائه ويعترف بعلو شأنه، وكان قلبه مفعماً بعواطف الشكر والامتنان على نعمه(١).

ويتبين لنا مما سبق أن الله أمر بعبادته وطاعته وتوحيده والتزام شرعه وبين أن الأصل في الدين هو اجتناب الطاغوت الذي هو كل معبود من دون الله سواءً كان شيطاناً أو صنماً أو بشراً، والطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد، قال عمر بن الخطاب ﷺ: الطاغوت الشيطان، وقال مالك بن أنس: (الطاغوت: كل ما عبد من دون الله .. والطاغوت هو ما تجاوز العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع. فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله، فأخبر تعالى في معنى هذه الآية أنه بعث في كل طائفة من الناس رسولاً بهذه الكلمة﴿ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [سورة النحل/ الآية 36]، أي اعبدوا الله واتركوا عبادة ما سواه، وفي معنى قوله تعالى ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [سورة البقرة/ الآية 256]، وهذا معنى (لا إله الا الله) فإنها هي العروة الوثقى)(٢).

ثم نرجع إلى ما علقنا عليه في بداية بحثنا عن العبودية في هذا المبحث عن تخيير الله العبد بين العبودية لله تعالى وبين الكفر به،﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [سورة الكهف/ الآية 29]، فكيف يسوغ لأحد من المشركين بعد هذا أن يقول ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة النحل/ الآية 35]، فمشيئة الله تعالى الشرعية عنهم منفية لأنه نهاهم عن ذلك على السنة رسله، وأما مشيئته الكونية وهي تمكينهم من ذلك قدراً، فلا حجة لهم فيها لأنه تعالى خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة وهو لا يرضى لعباده الكفر وله في ذلك الحجة البالغة والحكمة القاطعة (٣)، في إنذارهم وإرسال الرسل إليهم، ثم أن لا مخالفة هنا بين تخيير الله عباده بالطاعة وأمرهم بها لأن الله أراد من العباد أن يعبدوه باختيارهم وإلا لما كان حكمة في خلق الجنة والنار، وتعذيب هؤلاء وتنعم هؤلاء

---

(١) أبو الأعلى المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم/ ص97.

(٢) الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ/ فتح المجيد كتاب التوحيد (ت 1258هـ)/ ص15.

(٣) المصدر نفسه: فتح المجيد/ ص15-16.

يقول تعالى في هذا المعنى ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [سورة الزمر/ الآية 7]، فهذا هو الفرق بين رضاء الله عن العبد وبين اختيار العبد للعبادة وأمر الله له، أي أن الله أمره بالعبادة ورضي عمن عبده وعدم رضاه عن عمل الكفار الذي عملوا على خلاف ما أراد ورضي.

والله تعالى بعدما أمرنا بعبادته وطاعته أمرنا بالتزام شرعه الذي بينه لنا في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وأمرنا بالوقوف عند حدوده وإتباع أحسن ما انزل إلينا ربنا من القول الذي هو البر الجامع لكل خير وما نهى عنه من المنكر والغي والفحشاء والذي هو الكتاب الذي هدانا الله به إلى الدين الحق الذي هو التوحيد له سبحانه وعدم الإشراك به يقول تعالى ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة النور/ الآية 54].

وما جاء كلام ربنا إلا ليخرج الناس من الظلمات الذي هو الشرك والكفر إلى النور الذي هو التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده واتباع حكم الله في الأرض لإخراج الناس من الباطل الذي هو الحكم بغير ما أنزل الله التي هي تشريعات للبشر إلى الحق والنور الذي هو الحكم بما أنزل الله وطاعة رسوله وأوليائه والسير على طريقهم ونهجهم، قال تعالى ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة المائدة/ الآية 44].

﴿وأنابوا الى الله﴾، بعبادته وإخلاص الدين له فانصرفت دواعيهم من عبادة الأصنام إلى عبادة الملك العلام، ومن الشرك والمعاصي إلى التوحيد والطاعات ﴿لهم البشرى﴾، التي لا يقادر قدرها ولا يعلم وصفها إلا من أكرمهم بها، وهذا شامل للبشرى في الحياة الدنيا بالثناء الحسن والرؤيا الصالحة والعناية الربانية من الله التي يرون من خلالها انه مريد لإكرامهم في الدنيا والآخرة ولهم البشرى في الآخرة عند الموت وفي القبر وفي القيامة وخاتمة البشرى ما يشير به الرب الكريم من دوام رضوانه وبره وإحسانه وحلول أمانِهِ في الجنة، ولما أخبر أن لهم البشرى أمر الله ببشارتهم وذكر الوصف الذي استحقوا به البشارة فقال: فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وهذا جنس

يشمل كل قول، فهم يستمعون جنس القول ليميزوا بين ما ينبغي إيثاره مما ينبغي اجتنابه فلهذا كان من حزمهم وعقلهم انهم يتبعوا أحسنه وأحسنه على الإطلاق كلام الله وكلام رسوله قال تعالى ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا** ﴾ [سورة الزمر/ الآية 23]، يتبعون أحسنه أي لأحسن الأخلاق ﴿**وأولئك هـم أولوا الألباب**﴾ أي العقول الزاكية، وهذا علامة العقل بل لا علامة للعقل سوى ذلك فإن الذي لا يميز بين الأقوال حسنها وقبيحها ليس من أهل العقول الصحيحة، أو الذي يميز لكن غلبت شهوته عقله فبقي عقله تابعاً لشهوته فلم يأثر الأحسن كان ناقص العقل(١).

❖ الأنموذج الثامن

﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى** ﴾ [سورة الإسراء/ الآية1].

ينزه الله ﷻ في هذه الآية نفسه عن كل نقص وعيب ويثني جل جلاله على نفسه ويمجد شأنه ويعظمه، لأنه تعالى قدير لا قدرة لأحد سواه، وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو على كل شيء قدير وهو بكل شيء عليم، فلا إله غيره ولا رب سواه، الذي أسرى بعبده محمد ﷺ في جنح من الليل من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس في فلسطين الذي بناه إبراهيم ﷺ إذ جمع الله تعالى لنبيه محمد ﷺ الأنبياء هناك كلهم، فصلى بهم لأنه هو إمامهم والمقدم عليهم وأنه خاتمهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)(٢).

في المعنى اللغوي للفظة ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده** ﴾ إن السين والباء والحاء أصلان: أحدهما جنس من العبادة، والآخر جنس من السعي، فالأول السبحة: وهي الصلاة ويختص بذلك ما كان نفلاً غير فرض .. والتسبيح هو تنزيه الله جل ثنائه من كل سوء(٣).

---

(١) عبد الرحمن السعدي: تيسير الكريم الرحمن/ ص852.

(٢) ينظر تفسير القرآن العظيم ج2/ ص2.

(٣) الرازي، التفسير الكبير ج20/ ص146، ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ج3/ ص125-126.

وجاء في تفسيرها بمعنى آخر ستفاد من المضاف إليه ﴿**الرحمن**﴾ وهو أن (العبودية للرحمن أعلى صفة للإنسان بل أعطيت لأكرم الرسل وخاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ وانظر إلى قوله تعالى﴿**سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا** [﴾سورة الإسراء/ الآية 1]،﴿**تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ** ﴾ [سورة الفرقان/ الآية 1]، فدل ذلك على أن هذه الصفات المخلوقة لا تعطى إلا للمتمثلين بالعبودية حقاً وإلا فالكل عبد الله[١].

يتضح لنا مما تقدم أن حادثة الاسراء والمعراج جاءت مواساة لعبده محمد ﷺ لما لاقاه من أذى المشركين ووفاة زوجه وعمه، وتنزيه الله عن كل نقص وعيب وسوء وشر في هذا المقام أي ينزه الله سبحانه نفسه عن كل شيء لا يليق بجلاله في هذه المعجزة التي أجراها الله سبحانه لعبده ويشير الرازي بقوله: (وأن المقصود بذلك أيضاً ان الله تعالى هو سميع كما يقولون لرسوله ﷺ في خصوص هذا الأمر، وأنه تعالى البصير بما يعملون في الحادثة)[٢].

فكلمة سبحان بمعنى التسبيح الذي هو التنزيه ومتضمن معنى التعجب وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره، تقديره أسبح الله عن صفات المخلوقين، وقيل كلمة سبحان للتعجب، والتسبيح مفعول مطلق لفعل محذوف، ومثله: عموماً وخصوصاً وفضلاً وشكراً وعفواً وصفحاً وخلافاً ووفاقاً[٣].

وقوله تعالى ﴿**أسرى بعبده**﴾ قال أهل اللغة (ان في لفظ ﴿**أسرى**﴾ لغتين هما: أسرى وسرى، أي الإسراء السير بالليل خاصة كأسرى، وفي معناه أنه أسرى ليلاً، وفي معناه أي أنه سار ليلاً، وفي معناه أن منه السرية لواحدة السرايا إذ إنها تسري في خفية، وأسرى به سيره ليلاً[٤].

واما قوله تعالى (بعبده) فقد أجمع المفسرون على أن المراد والمقصود هو النبي ﷺ.

---

(١) محمد محمود الحجازي، التفسير الواضح ج2/ ص138.

(٢) ينظر التفسير الكبير ج2/ ص148.

(٣) المصدر نفسه ج2/ ص149.

(٤) البروسوي، روح البيان/ ج5/ ص102-103.

وفي معنى قوله تعالى ﴿**أسرى بعبده**﴾ إظهار العبودية للنبي محمد ﷺ وفي أعلى مقامات التشريف عند الله تعالى، وفيه إشارة إلى أن اختيار لفظة (بعبده)، بيان لعبادته وتوحيده لله تعالى وبيان لشخصه الكريم ﷺ والى ذلك أشار الآلوسي بقوله: **(وإيثار لفظة العبد للايذان بتمحضه ﷺ في عبادته سبحانه وبلوغه في ذلك غاية الغايات القاصية ونهاية النهايات النائية حسبما يلوح به مبدأ الإسراء ومنتهاه، والعبودية على ما نص عليه العارفون أشرف الأوصاف وأعلى المراتب وبها يفتخر المحبون)**(١).

ويتبين لنا أن إضافة العبد أو هذا الوصف إلى (ضمير الجلالة) هو تشريف للنبي ﷺ في القرآن وبياناً لعبوديته. ويتبين لنا أيضاً أن الله ﷻ أظهر عبودية نبيه ﷺ في هذه الآية بقوله ﴿**بعبده**﴾ إذ أضافه إلى نفسه تعالى، ولم يقل بنبيه أو برسوله أو سماه باسمه محمداً ﷺ وذلك تشريفاً له ﷺ في هذا المقام.

(لذلك فإن الله ﷻ قد رفع نبيه ﷺ إلى المراتب العليا العلية حينما عرج به إليه وأوحى إليه ما أوحى وشرفه الله ﷻ إلى نفسه بالعبودية وتحقيقها به ﷺ فانزل الله تعالى في محكم كتابه العزيز ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا** ﴾ [سورة الإسراء/ الآية 1](٢).

وحينما عرج الله ﷻ نبيه ﷺ إلى أعلى المقامات والتشريف وأراه الآيات الكبرى (**أي السميع لأقوال عباده مؤمنهم وكافرهم، مصدقهم ومكذبهم، البصير بهم فيعطى كل منهم ما يستحقه في الدنيا والآخرة**) (٣)، (فالذات النبوية المباركة ذلكم الرسول الكريم ﷺ هو الذي أظهر أعلى مراتب العبودية واسماها بالعبودية العظيمة في دينه)(٤)، وكذلك جاء في تفسير هذه الآية معنى آخر ذكره السعدي (وأنه ليلة أُسري به إلى بيت المقدس ورأى الجنة والنار، ورأى الأنبياء على مراتبهم، وفرض عليه الصلوات خمسين ثم ما زال يراجع ربه إشارة من موسى عليه السلام حتى صارت خمساً في

---

(١) روح المعاني، ج15/ ص4.

(٢) الطبري، جامع البيان ج8/ ص4.

(٣) ابن كثير، ينظر تفسير القرآن العظيم ج3/ ص2.

(٤) سعيد النورسي، المعجزات الأحمدية ط2، (1411هـ - 1990م)/ ص197.

الفعل وخمسين في الأجر والثواب وحاز من المفاخر هو وأمته ما لا يعلم مقداره إلا الله ﷻ، وذكره هنا في مقام الإنزال للقرآن مقام التحدي بصفة العبودية لأنه نال هذه المقامات الكبار بتكميله لعبودية ربه)[١].

يتبين لنا مما تقدم أن أشرف مقامات الإنسان وأعلى منازل الدين هو مقام العبودية الذي تشرف به النبي ﷺ في ليلة الإسراء وذكر الله تعالى في تنزيل الكتاب عليه إذ يقول: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ﴾ [سورة الكهف/ الآية 1]، وقوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [سورة الفرقان/ الآية 1]، وجاء في تفسير هذه الآيات ﴿على عبده ﴾ بقوله (عبده الأخلص ونبيه الأخص، وحبيبه الأعلى، وصفيه الأولى محمد ﷺ وفيه تشريف له بالعبودية المطلقة وتفضل بها على جميع الأنبياء فإنه تعالى لم يسمّ أحداً منهم بالعبد مطلقاً ﴿عبده زكريا ﴾ وتنبيه على أن الرسول لا يكون إلا عبداً للمرسل رداً على النصارى ولذا قدم في التشهد عبده على رسوله[٢].

وأعقبه بقوله تعالى ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾ وفيها معنى آخر يخص القرآن الكريم أي (غاية التنزيل أي ليكون العبد منذراً بالقرآن للإنس والجن ممن عاصره أو جاء بعده ومخوفاً من عذاب الله وموجبات سخطه) [٣]، وسميّ فرقاناً لأنه فرق بين الحق والباطل وبين الكفر بإذلال حزبه وبين الإسلام بإعزازه أهله[٤].

وفي تفسير ﴿الحمد لله الذي أنزل على عبده ﴾ ذكر الشيخ عبد الرحمن السعدي بين فيه الثناء على الله ﷻ وأنه أهل للثناء وأهل للحمد (فحمد نفسه وفي ضمنه إرشاد للعباد أي يحمدوه على إرسال الرسول إليهم وإنزال الكتاب عليهم، ثم وصف هذا الكتاب بوصفين وهما نفي العوج عنه واثبات أنه مقيم مستقيم وإشتمال هذا الكتاب على كمال

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسري الكريم الرحمن/ ص520.
(٢) إسماعيل حقي البروسوي، (ت 1137هـ)، روح البيان في تفسير القرآن، بيروت، ج6/ ص188.
(٣) المصدر نفسه، ج2/ ص188.
(٤) الزمخشري، الكشاف ج2/ ص154.

العدل والقسط والإخلاص والعبودية لله رب العالمين لا شريك له. وحقيق بكتاب موصوف بما ذكر أن يحمد الله نفسه على إنزاله، وأن يمتدح إلى عباده به)[١].

ويتبين لنا أن وصف العبودية ومقامها من أشرف المقامات وأفضلها وأنه لا يوجد وصف أفضل منه ولو كان وصفاً أفضل منه لسماه به، يقول الإمام القشيري (سمعت أبي علي الدقاق يقول: ليس شيء أشرف من العبودية ولا اسم أتم للمؤمن من الاسم له بالعبودية ولذلك قال سبحانه في وصف النبي ﷺ ليلة المعراج وكان أشرف أوقاته في الدنيا ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ** ﴾ [سورة الإسراء/ الآية 1]، وقوله ﴿**وأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾ [سورة النجم/ الآية 10]، فلو كان اسم أجل من العبودية لسماه به)[٢].

❖ الأنموذج التاسع

﴿ **قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا** ﴾ [سورة مريم/ الآية 30].

إن الله ابتلى مريم عليها السلام في قصة الاصطفاء وأثبت لها البراءة كما نطق القرآن أن أنطق لها ابنها المسيح طفلاً في المهد، فكان كلامه كما أخبر القرآن﴿**قال إني عبد الله**﴾ أي (أنطقه الله تعالى به أولاً لأنه أول المقامات والرد على من يزعم ربوبيته)[٣].

وأشار ابن كثير في تفسيرها إلى ان (أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى وبرأه عن الولد وأثبت لنفسه العبودية لربه) [٤]، ويشير إلى هذا المعنى الدكتور محمد محمود الحجازي بقوله **(لست ولداً لله ﷻ ولا جزءاً منه بل أنا بشر وعبد له أتاني الكـتاب وهو الإنجيل)**[٥].

---

(١) ينظر تيسير الكريم الرحمن/ ص539.

(٢) الرسالة القشيرية في علم التصوف/ ص156.

(٣) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ج2/ ص30.

(٤) تفسير القرآن العظيم ج3/ ص119.

(٥) التفسير الواضح ج2/ ص8.

وجاء في معنى آخر هنا ذكره البروسوي إذ يقول **(قال الجنيد: أي لست بعبد سوء ولا عبد طمع ولا عبد شهوة، وفيه إشارة إلى أن افضل أسماء البشرية العبودية)**(١).

يتبين لنا مما تقدم أن الله ﷻ قد نزه نفسه عن الصاحبة والولد والابن وأن يكون عيسى عبد الله ورسوله عليه السلام وأن الله أنطقه بأشرف الأسماء والأوصاف على لسانه وهو في المهد إذ قال الله تعالى قبل هذه الآية ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [سورة مريم/ الآية 29-30].

وكل هذا دخل في الخوارق للعادة أو الشيء غير الجاري في حياة الناس وهو أن يتكلم طفل بهذا المنطق المدهش ليقرر حقائق إيمانية ومعجزات وتكاليف شرعية كالصلاة والزكاة التي ذكرها بعد وصف نفسه بالعبودية فهذا إعلان للعبودية لله تعالى، فسبحان الله الذي جعل نطق المسيح عليه السلام في المهد حداً فاصلاً لكل ما قاله قومه على أمه وتبرئته لها من كل عيب وهكذا يعلن عيسى عليه السلام عبوديته لله، فليس هو ابنه كما تدعي فرقة، وليس هو ثالث ثلاثة هم اله واحد وهم ثلاثة كما تدعي فرقة(٢).

وهذا الوصف الذي هو العبودية من أشرف المقامات حيث وصف الله أحب الناس بالعابدين يقول تعالى ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ ﴾ [سورة التوبة/ الآية 112]، ويصف الله سبحانه عباده بالعباد في أحسن الأخلاق واحبها إليه ألا وهو التواضع لله ﷻ وقرن لفظ العباد بأحسن أسمائه وأجملها وهو لفظ الرحمن فيقول ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة الفرقان/الآية 63].

وذكر الله أن عباده كانوا من شدة حرصهم على عبادة الله وإخلاصهم له العبودية وصفهم بوصف العابدين إذ ذكر الزمخشري هذا الوصف بقوله (العابدون: الذين عبدوا

---

(١) تفسير روح البيان ج5/ ص320.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن ج4/ ص2308.

الله وحده واخلصوا له العبادة وحرصوا عليها) [١]، وجاءت بمعنى (المتصفون بالعبودية لله، والاستمرار على طاعته من أداء الواجبات والمستحبات في كل وقت)[٢].

يشير سيد قطب إلى معنى قوله ﴿وعباد الرحمن﴾ فيقول (فكل الصفات منطلقة من الوصف الأعلى في الجمع المضاف ﴿عباد الرحمن﴾ فيزدادون بصفاتهم المتميزة ومقوماتهم الخاصة وكأنهم خلاصة البشرية في نهاية المعركة الطويلة بين الهدى والضلال، بين البشرية الجاحدة المشاقة، والرسل الذين يحملون الهدى لهذه البشرية وهؤلاء الذين يستحقون أن يعبأ بهم الإله في الأرض ويوجه إليهم عنايته)[٣].

وفي قوله تعالى ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ والمعبود الحق ينبغي أن يكون هو الصانع لا المصنوع ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ فهو الصانع الوحيد الذي يستحق أن يكون المعبود، ومن وضوح هذا المنطق وبساطته إلا أن القوم في غفلتهم وفي اندفاعهم لم يستمعوا له[٤].

وأن هناك نوعين من العبيد احدهما عبيد ربوبيته وخلقه الذين تجري عليهم القوانين التي حكم الله بها الكون كله بأفلاكه وسماواته وأرضه وأجرامه التي تجري عليهم أحكام الربوبية وهؤلاء كلهم عبيد ربوبيته، وهناك نوع آخر وهو الذي أراده الله وأمر به وأرسل رسله وأنزل كتبه من أجله فأمرهم ونهاهم وحد لهم الحدود على وفق شريعته وحكمه وهؤلاء هم عبيد الله على الحقيقة الذين ائتمروا بما أمرهم الله وانتهوا عما نهاهم الله عنه وزجرهم وهؤلاء هم أصحاب العبودية الحقة والخالصة الذين أسلموا وجههم لله واخلصوا دينهم له.

---

(١) الكشاف ج2/ ص216.

(٢) تيسير الكريم الرحمن: ص394.

(٣) في ظلال القرآن، ج5/ ص2577.

(٤) م. ن: ج5/ ص2993؛ التحرير والتنوير ج11/ ص403.

❖ الأنموذج العاشر

يقول تعالى ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [سورة الحجر/ الآية 99]

في هذه الآية أمر من الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ بأن يعبده ويداوم على عبادته لما أفده الأمر من الحث على الطاعة لرسوله، فكانت هذه مخاطبة للنبي ﷺ وتشريفاً له في مقام العبودية لله ﷻ وهو أمر لأمته كذلك من خلال هذا الخطاب والأمر القرآني الكريم لذلك فالأمر للاستمرار أي دم يا محمد على عبادتك لله تعالى من التكاليف التي كلفت بها أنت وأمتك من أمور العبادات والمعاملات وأحكامها حتى آخر لحظة من حياتك والتي هي ما قبل الوفاة والموت والتي عبر عنها اللفظ القرآني بـ ﴿اليقين﴾ أي الموت.

والى ذلك أشار الزمخشري في تفسير هذه الآية (أي فافزع فيما نابك إلى الله والفزع إلى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفيك ويكشف عنك الغم، ودم على عبادة ربك ﴿حتى يأتيك اليقين ﴾، أي الموت: أي ما دمت حياً فلا تخل بالعبادة. وعن النبي ﷺ (أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة[١])[٢].

وأشار كذلك ابن عاشور في معنى فعل الأمر في ﴿وكن من الساجدين واعبد ربك﴾ إلى أنهما مستعملان في طلب الدوام[٣]. وقيل أي هي الدوام على عبادة الله تعالى الى غاية وهي قوله ﴿حتى يأتيك اليقين ﴾ لأن الأمر الذي يفيد الاستمرار هنا من جهة ورود ﴿حتى﴾ في النص، فقد يراد باليقين الموت، لأنه متيقن الوقوع والنزول ولا يشك أحد فيه.

وأن المراد بقوله تعالى ﴿واعبد ربك﴾ في جميع زمان حياتك ولا تخل لحظة من

---

(١) احمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (ت 241)، مسند احمد ط2، 1982، ج5/ ص388، حديث رقم (23347).

(٢) الكشاف ج2/ ص399.

(٣) التحرير والتنوير، ج14/ ص10.

لحظات الحياة من العبادة فالمخاطب هو النبي ﷺ. فكان الأمر بإقامة العبادة أبدا ما بقي وما دام حياً كما في قوله تعالى ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [سورة مريم/ الآية 31]، وجاء في تفسير الآلوسي لهذه الآية قوله: **(إنه فسر الأمر بالعبادة والدوام على طاعة الله وعبادته ﷺ وإشعاراً له بالأمر بالعبادة)**(١).

ويقول ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية **أيضاً (استقم على طاعة ربك ﴿واليقين﴾ يعني الموت وهو الموقن)**(٢).

ويتبين لنا في هذه الآية خلاصة العبودية أنها تضمنت مرتبة العبادة في عبودية النبي ﷺ وهي مرتبة الكاملين من الأنبياء والأولياء، فهذه المرتبة كما أشار إليها ابن تيمية في كتابه بقوله (هو الفناء عن إرادة ما سوى الله بحيث لا يحب إلا الله ولا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه)(٣).

المطلب الثاني: العبودية لله في السنة النبوية

بعد أن أتممنا بفضل الله ومنته مبحث العبودية لله تعالى في الكتاب درجنا بعدها لان نبين الباحث العبودية لله تعالى في السنة النبوية وكيف كانت عبودية النبي ﷺ وكيف كان منهجه في تعليم الصحابة الكرام **(رضوان الله عليهم أجمعين)** للعبودية لله تعالى وتثبيتها في صدورهم وقلوبهم وكيف تأثر الصحابة **(رضوان الله عليهم أجمعين)** بهذه العبودية وهي إيمانهم بالله تعالى وحده لا شريك له و تحمل كل الأذى الذي أصابهم من اجله من أذى قريش واعتزالهم من قومهم و مقاطعة قومهم لهم من اجل هذه العبودية وبكل الطرق التي حاولوا بها أن يحولوا بينهم وبين عبوديتهم لله وستستعرض هنا بعض الأحاديث التي تدل على العبودية لله تعالى:

الحديث الأول:

عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: ***((ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبداً***

---

(١) روح المعاني، ج14/ ص87.

(٢) ابن طاهر محمد بن يعقوب الفيروز أبادي (ت 1290هـ)، تنوير المقباس في تفسير ابن عباس ص198.

(٣) ابن تيمية، العبادة وحقيقة العبودية/ ص63.

حلالاً وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم ينزل به سلطانا...)) (١).

يبين لنا النبي ﷺ أن الله خلق عباده على الفطرة السليمة و هي العقيدة الصحيحة التي فطر الله الناس عليها يقول تعالى ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم/ الآية 30] قال ابن كثير في تفسير هذه الآية ((فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم التي هداك الله لها و كملها لك غاية الكمال وأنت مع ذلك فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها فانه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا اله غيره)) (٢).

وفي الحديث المذكور **(إني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم)** وهنا سنذكر الحديث الذي يبين أن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام والتوحيد ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة، عن طريق النشأة والتوجه إلى هذه الأديان التي لا يرتضيها الله تعالى لعباده إلا بخاتمها وأفضلها وهو الإسلام يقول تعالى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 85]، أي أن الله لا يقبل من عباده صرفا ولا عدلاً إن هم غيروا دينهم الذي ارتضاه لهم ومعنى قوله تعالى في الآية التي ذكرناها سابقا فطر خلقه على معرفته وتوحيده وطاعته ثم قال بعدها ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ يقول ابن كثير (قال بعضهم معناه لا تبدلوا خلق الله فتغير الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها ....وقال ابن عباس والنخعي وسعد بن جبير ومجاهد وعكرمة وقتاده والضحاك في قوله ﴿لا تبديل لخلق الله﴾ لدين الله)(٣).

---

(1) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة، حديث رقم (5109).

(2) ابن كثير: تفسير القران العظيم، ج3/ ص487.

(3) المصدر نفسه: ج3/ ص487.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ***((كل مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء))*** (١).

وجاء في معنى هذا الحديث **(كل مولود)** أي من بني آدم صرح به جعفر بن ربيعه عن الأعرج عن أبي هريرة بلفظ **(كل بني آدم يولد على الفطرة واستشكل هذا التركيب بأنه يقتضي أن كل مولود يقتضي التهويد وغيره مما ذكر، والفرض أن بعضهم يستمر مسلما ولا يقع له شيء، والجواب أن المراد من التركيب أن الكفر ليس من ذات المولود و مقتضى طبعه، بل إنما حصل بسبب خارجي، فان سلم من ذلك السبب واستمر على الحق)** (٢) كان على الحق.

وهذا يقوي المذهب الصحيح في تأويل الفطرة **(يولد على الفطرة)** ظاهرة تعميم الوصف المذكور في جميع المولودين، وفي رواية لمسلم من هذا الوجه **(ما من مولود يولد إلا و هو على الملة)** (٣) .

وجاء أيضاً في رواية أخرى عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **(كل مولود يولد على الملة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يشركانه قيل يا رسول الله فمن هلك قبل ذلك قال الله اعلم بما كانوا عاملين به)**(٤) . والملة هنا هي ملة الإسلام والدين.

الحديث الثاني:

حدثنا أبو مالك الأشجعي قال حدثني أبي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ***((من وحد الله وكفر بما يعبد من دونه حرم الله ماله ودمه و حسابه على الله ﷻ))*** (٥).

يتبين للباحث من هذا الحديث أن من وحد الله وتعالى وأفرده بالعبادة و حده بالطاعة والانقياد لحكمه بأوامره ونواهيه و بان لا يعبد إلا هو وحده دون الشركاء و

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم (385) كتاب الجنائز باب ما قيل في أولاد المشركين.

(2) أبو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري بيروت ط1، 1379ه، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، و محيي الدين الخطيب ج3/ ص248..

(3) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم (4805).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم (4809).

(٥) رواه احمد بن حنبل مسند احمد، حديث رقم (25955)، كتاب من سد القبائل، باب من حديث طارق بن اشيم.

الأنداد من الأوثان والأصنام وبكل ما يخرج من عبادته و طاعته فقد حرم الله ماله و دمه و حسابه على الله ﷻ، و جاء في رواية أخرى على هذا المعنى نفسه، فعن الصنابجي عن عبادة بن الصامت أنه قال دخلت عليه وهو في الموت فبكيت فقال مهلا لِمَ تبك فوا الله لئن استشهدت لأشهدن لك ولئن شفعت لأشفعن لك و لئن استطعت لأنفعنك ثم قال والله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثا واحدا و سوف احدثكموه اليوم وقد أحيط بنفسي سمعت رسول الله ﷺ يقول: ***((من شهد أن لا اله إلا الله و أن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار))***(١).

وانبرى أهل العلم يشرحون هذا الحديث، (قال القاضي عياض رحمه الله: فيه دليل على أنه كتم ما خشي الضرر فيه والفتنة ما لا يحتمل عقل كل واحد، ولا فيه حد من حدود الشريعة قال: ومثل هذا كثير عن الصحابة ﷺ في ترك الحديث بما ليس تحته عمل، ولا تدعوا إليه ضرورة أو لا تحمله عقول العامة ... قوله (**وقد أحيط بنفسي)** معناه قربت من الموت وأيست من النجاة والحياة)(٢).

وهذا الحديث يدل على شدة التكتم عليه لكي لا يعتمد و يتكل عليه الناس و يتركوا العمل بأحكام الشريعة لأنه من تمام شهادة أن لا اله إلا الله و أن محمدا رسول الله هو العمل بما أمر الله و شرع وحكم حتى تتم وتكتمل مقاصد الشارع الحكيم من هذه الشهادة التي اقر بها عباده المؤمنين. وجاء الكلام في معنى الشهادتين وما وقع فيه الناس من الخطأ وشروطهما إلى غير ذلك مما يتعلق بالشهادة.

فمعنى شهادة أن لا اله إلا الله كان يعرفها المشركون والمسلمون في زمن النبي ﷺ وما بعده، وعلماء الإسلام فيما بعد فصلوا عقيدة التوحيد فقالوا في معنى شهادة أن لا اله إلا الله هو ((لاعتقاد والإقرار، وانه لا يستحق العبادة إلا الله والتزام ذلك والعمل به، (فلا اله) نفي الاستحقاق من سوى الله للعبادة كائنا من كان، (إلا الله) إثبات لاستحقاق الله وحده للعبادة))(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيح مسلم في كتاب الإيمان، باب على إن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، حديث رقم (42).

(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج1/ ص229.

(٣) الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان: عقيدة التوحيد و بيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر التعطيل والبدع وغير ذلك/ ص39.

ومعنى هذه الكلمة إجمالا: لا معبود بحق إلا الله. وخبر (لا) يجب تقديره (بحق) ولا يجوز تقديره بموجود، لان هذا خلاف الواقع.
ولمذهب أهل وحدة الوجود الذين هم من اكفر أهل الأرض الذين يزعمون أن عبادة هذه الموجودات هي عبادة لله تعالى وهذا من ابطل الباطل والمقصود بالموجودات هو كل ما وجد على هذه المعمورة من (حجر أو شجر أو إنسان أو مخلوقات).
الحديث الثالث:

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: ***((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم و أموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله))***[١].

من خلال هذا الحديث يبين لنا نبينا محمد ﷺ أنه أمر من قبل الله تعالى عن طريق الوحي لا أنه يتكلم من قبل نفسه بمقاتلة الناس حتى يشهدوا ويقروا ويؤمنوا بان لا اله إلا الله وأن لا يدعى ولا يستغاث ولا يستجار إلا بالله تعالى وحده لا شريك له وأن تصرف العبودية له دون ما سواه من الأنداد والأصنام ويشهدوا بأنه ﷺ رسوله الذي أرسله إلى الناس كافة بشيرا ونذيرا وخاتما لكل الديانات ويدينوا بدين الإسلام الذي بعث به وتصديقه فيما اخبر والانتهاء عما نهى عنه وزجر والانقياد له بالطاعة فيماأمر.

يشير ابن حجر العسقلاني في شرحه لهذا الحديث بقوله (قوله ***(أمرت)*** أي أمرني الله، لأنه لا أمر لرسول الله ﷺ إلا الله ... ***(أن أقاتل)*** أي بمعنى بأن أقاتل، ***(حتى يشهدوا)*** جعلت غاية المقاتل وجود ما ذكر، فمقتضاه أن من شهد وأقام وأتى عصم دمه ولو جحد باقي الأحكام، والجواب أن الشهادة بالرسالة تتضمن التصديق بما جاء به، مع أن نص الحديث وهو قوله ***(إلا بحق الإسلام)*** يدخل فيه جميع ذلك، فإن قيل فلمَ لم يكتفِ به ونص على الصلاة والزكاة؟

فالجواب أن ذلك لعظمهما والاهتمام لأمرهما [٢]. قوله ***(ويقيموا الصلاة)*** أي يداوموا على الإتيان بها بشروطها .. والمراد بالقيام الأداء تعبيراً عن الكل بالجـــــزء،

---

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم، حديث رقم (24).

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري ج1/ ص76.

والمراد بالصلاة المفروض منها لا جنسها فلا تدخل سجدة التلاوة مثلاً وان صدق اسم الصلاة عليها .. وسئل الكرماني هنا عن حكم تارك الزكاة بأن حكم تارك الصلاة والزكاة واحد وهو القتل وذلك لاشتراكهما في الغاية، وكأنه أراد في المقاتلة، أما في القتل فلا(١).

والأمر بمقاتلة الناس ليس بالأمر الهين والسهل ولكن حينما أمره الله تبارك وتعالى بمقاتلة الناس وقتالهم وقتلهم إلا لأهمية هذا الأمر وتعظيمه وهو الأمر بعبادة الله وحده وحتى يكون الدين كلهُ لله قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة/ الآية 193].

وقد وردت رواية تدل على هذا المعنى و تدعوا إليهِ وتقره إذ روي عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) إذ قال: قال رسول الله ﷺ: ***(بعثت بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم)***(٢).

يتبين لنا من هذه الآية و الحديث النبوي الشريف أهمية التوحيد وإخلاص العبودية لله وحده دون غيره من الأنداد والأصنام وهو أن الله بعث رسوله بخلاف ما بعث الرسل من قبله، وأما النبي عليه الصلاة والسلام فقد أمر بمقاتلة الناس من اجل عبادته وحده وأن يسر الله رزقه عند مقاتلة هؤلاء بأخذ الخمس من الغنائم، وجعل الله الذلة التي هي للكفار قال تعالى ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله﴾ والصغار وهو أن الذين لا يؤمنون بهذا الدين من أهل الكتاب يعطون الجزية بصغار وهو أن يطأطأ رأسه وهو يعطي الجزية ولا يجوز لخادمه أو أحد غيره أن يعطيها ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [سورة التوبة/ الآية 29]، وهذا ما أمر الله به رسوله أن يعامل به الذين أوتوا الكتاب وهو أن يعطوا الجزية بأيديهم وهم مطأطئوا الرؤوس أمام الجابي الذي في بيت مال المسلمين.

---

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري: ج1/ ص76.

(٢) الإمام احمد بن حنبل، مسند احمد كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب والذي بعده حديث رقم (4868).

الحديث الرابع:

عن معاذ ﷺ قال كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له عفير فقال: ***((يا معاذ هل تدري حق الله على عباده وما حق العباد على الله قلت الله ورسوله اعلم قال فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا فقلت يا رسول الله أفلا ابشر به الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا))***[١].

يتبين لنا من هذا الحديث حقاً على العباد تجاه ربهم وهو عبادته وتوحيده وطاعته وأن هناك حقا من الله لعباده وهو أن لا يعذب من يعبده ويوحده ويطيعه ويصرف كل أنواع العبادة لربه وحده دون ما سواه، ولا يناله سوء ولا عذاب.

ويتبين لنا أيضاً نهي النبي ﷺ لمعاذ أن يبشر الناس بهذا الحديث لئلا يترك الناس العمل ويتكلوا على هذا الحديث.

ويشير النووي في معنى هذا الحديث **(لبيك وسعديك)** في معنى لبيك أقول نشر هنا إلى بعضها... وإلا ظهر أن معناها إجابة لك بعد إجابة للتأكيد، وقيل معناه قربا منك وطاعة لك. وقيل: أنا مقيم على طاعتك وقيل محبتي لك... ومعنى سعديك: أي ساعدت طاعتك مساعدة بعد مساعدة)[٢].

وأما تكريره ﷺ نداء معاذ ﷺ فلتأكيد الاهتمام بما يخبره، وليكمل تنبه معاذ فيما يسمعه، ويتبين أنه ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً لهذا المعنى[٣].

ويتبين لنا مما سبق هذه الحقوق التي هي بين عباد الله تعالى حقيقة وبين ربهم الله ﷻ والتي هي الفرض الأعظم من العبد إلى الرب ﷻ وأن الله قضى بذلك في كتابه العزيز، يقوله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [سورة الإسراء/ الآية 23].

فيشير المفسرون في معنى هذه الآية إلى الحق الواجب والفرض الأعظم الذي أوجبه الله على عباده ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء/ الآية 23]، فقالوا في

---

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، حديث رقم (2857).

(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج1/ ص231.

(٣) المصدر نفسه: ج1/ ص231.

معنى الآية (يقول تعالى آمراً بعبادته وحده لا شريك له فإن القضاء هنا بمعنى الأمر، قال مجاهد ﴿وقضى﴾ يعني وصى، وكذا قرأ أبي بن كعب وابن مسعود والضحاك بن مزاحم (ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه)(١).

وإلى ذلك أشار الشيخ عبد الرحمن السعدي بقوله في معنى القضاء (إن الله لما نهى عن الشرك به، أمر بالتوحيد فقال ﴿وقضى ربك﴾ قضاءً دينيا، وأمر أمرا شرعيا ﴿أن لا تعبدوا﴾ أحدا من أهل الأرض والسماوات والأحياء والأموات، ﴿إلا إياه﴾ لأنه الواحد الأحد الذي له صفة الكمال... وهو المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة، الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور)(٢).

وكل ما سبق هو واجبنا تجاه ربنا وحق الله على عباده الذي يجب عليه فيه أن يعبدوه ويوحدوه ويلتزموا بكل ما أمر وأن ينتهوا عن كل ما نهاهم عنه وهو حقه علينا وان لا نشرك بعبادته غيره من الأنداد والأصنام والأوثان الذي أمرنا بالكفر بها قبل الإيمان به والتي هي تكون من تمام شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله يقول تعالى ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة/ الآية 256] أي (من خلع الأنداد والأصنام وما يدعو إليه الشيطان من عباده وكل ما يعبد من دون الله ووحد الله فعبده ووحده وشهد أن لا اله إلا هو ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ أي فقد ثبت على أمره واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم...قال مجاهد العروة الوثقى الإيمان أي فقد استمسك من الدين بأقوى سبب وشبه ذلك بالعروة القوية التي لا تنفصم هي في نفسها محكمة مبرمة قوية وربطها قوي شديد)(٣).

الحديث الخامس:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أن الله تعالى يقول ((***يا ابن آدم تفرغ لعبادتي املأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك***))(٤).

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم/ ج3/ ص43.

(٢) السعدي، تيسير الكريم الرحمن/ ص524.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم/ ج1/ ص363.

(٤) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، باب منه، حديث رقم (2644).

وهذا الحديث تأييدا للحديث السابق الذي يدعونا للعمل وعدم الاتكال على التوحيد والعبادة ودعوة الله العباد لعبادته، وطاعته وتفريغ العباد أنفسهم لله من اجل طاعته واتباع أوامره والانتهاء عن نواهيه وأن الله وعدهم بأن الله سيرزقهم الرزق الذي يكفيهم ويسد فقرهم قال تعالى ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق/ الآية 2-3].

وقد توعد الله من لا يعبده أو أشرك بعبادته غيره سواء بالدعاء أو الاستغاثة أو التوكل أو الذبح والنذر لغير الله أو أشركَ في التشريع فان الله توعده أن يملأ يديه شغلا بمتاع الدنيا الزائل الذي لا ينفعه في الآخرة أن يشغله بنفسه ولم يسد فقره.

ويشير المباركفوري في معنى هذا الحديث بقوله: (أي تفرغ عن مهماتك لطاعتي أي املأ صدرك غنى أي قلبك لان الغنى هو غنى القلب، وأسد فقرك أي تفرغ عن مهماتك لعبادتي اقضي مهماتك وأغنيك عن خلقي، وأن لا تفعل ملأت يديك شغلا، ولم أسد فقرك: أي أن لم تتفرغ لذلك واشتغلت لغيري ولم أسد فقرك لان الخلق فقراء على الإطلاق فتزيد فقرا على فقرك)(١).

ويتبين مما سبق في هذا الحديث أن الغنى الذي يحصل للعبد والذي يريده الله هو غنى القلب والذي عناه الرسول بالتفرغ عن جميع المهمات التي يسعى من أجلها بعبادة الله وحده، ووعده الله بغناه وسد جميع فقره الذي قد يحصل له من هذا التفرغ الذي يتفرغ به العبد لهذه العبادة.

الحديث السادس:

عن أبي أمامه عن النبي ﷺ أن الله ﷻ قال: ***((أن اغبط أوليائي لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه و أطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار إليه بالأصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نقر بإصبعيه فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه))***(٢).

يقول المباركفوري في شرحه لهذا الحديث (أن اغبط أوليائي افعل تفضيل بني للمفعول لا المغبوط به حالة أي أحسنهم حالا وأفضلهم مالا عندي أي في اعتقادي...

---

(١) المباركفوري، تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي، ج7/ ص210.

(٢) سنن الترمذي كتاب الزهد عن رسول الله باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه حديث رقم (2347).

خفيف الحاذ بتخفيف الذال المعجمة أي خفيف الحال الذي يكون قليل المال وخفيف المظهر من العيال، ومجمل المعنى أحق أحبائي وأنصاري عندي بأن يغبط ويتمنى حالة مؤمن بهذه الصفة ذو حظ من الصلاة)[١].

أي ومع هذا هو صاحب لذة وراحة من المناجاة مع الله والمراقبة، واستغراق في المشاهدة ومنه قوله ﷺ ***(وجعلت قرة عيني في الصلاة)***[٢].

(واحسن عبادة ربه تعميم بعد تخصيص والمراد إجادتها على الإخلاص وأطاعه في السر أي كما أطاعه في العلانية)[٣].

وهذا يدل على أهمية العبادة في السر وأحبها إلى الله وأكثرها قبولا عند بارئه وخالقه الذي يكون في حالة تيسر عليه عبادة ربه في كل وقت وذلك من خلال قلة ماله وعياله.

((وكان غامضا: أي خاملا مشهوراً في الناس أي فيما بينهم لا يشار إليه بالأصابع بيان وتقرير لمعنى الغموض (وكان رزقه كفافا) أي بقدر الكفاية لا أزيد ولا انقص فصبر على ذلك أي على الرزق الكفاف أو على الخمول والغموض)) [٤]، وفيه دلالة على أن ملاك الأمر الصبر وبه يتقوى على الطاعة قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [سورة البقرة/ الآية 153]، ويقول تعالى ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ﴾ [سورة الفرقان/ الآية 75].

وفي هذا الحديث يدلنا ربنا على أهمية العبادة والطاعة وأن تحقيق عبودية العبد لربه تكون بأداء الطاعة والإخلاص فيها وذلك أن يكون العمل في السر قال تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة/ الآية 5].

---

(١) المباركفوري، تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي، ج7/ ص11.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت 405)، المستدرك على الصحيحين، بيروت ط1، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا 1411، 1990، ج2/ ص174، كتاب النكاح حديث رقم (676).

(٣) المباركفوري، تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي، ج7/ ص11.

(٤) المصدر نفسه، ج7/ ص11.

ودل أيضاً على أهمية الصبر على الطاعة والمداومة عليها وهذا كان فعل الصحابة والتابعين وذلك أنهم كانوا فرسانا بالنهار وذلك في ميادين الجهاد في سبيل الله ورهبانا في الليل وذلك في سر أعمالهم التي هي نوافل الليل الذي كان يقيم أحدهم بآية قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 200]، والمراد من قوله في الحديث الذي يرويه الترمذي (ثم نقر بيديه) أي ضرب الانملة على الأنملة أو على الأرض كالمتقلل للشيء أي يقلل عمره... وقيل للتنبيه على أن ما بعده للتنبيه على أن ما بعده مما يهتم به عجلت بصيغة المجهول من التعجيل منيته أي موته قال في المجمع أيسلم روحه سريعا لقلة تعلقه بالدنيا وغلبه شوقه إلى الآخرة)[١].

يتبين من الحديث أنه يحث المؤمنين على عبوديتهم لله تعالى والحرص على العبادة والتذلل والانقياد لله تعالى بهذه العبادة والصبر عليها وحث الله عباده المؤمنين على الرزق الكفاف لئلا ينشغلوا بالدنيا وملذاتها وشهواتها ويذر عمل الآخرة التي هي الدار الأبدية التي يراح بها الناس من كل سوء التي لا يرى فيها نصب ولا تعب والتي هي دار قرارهم قال تعالى ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة العنكبوت/ الآية 64].

الحديث السابع:

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ***((سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله ﷻ، ورجل قلبه معلق في المساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه))***[٢].

من هذا الحديث يتبين للباحث كثير من الدروس التي تربط العبد بربه وينقاد له بالعبودية الحقة.

فمثلا أول ما ذكر رسولنا الكريم ﷺ في هذا الحديث هو الإمام العادل، واشترط عدالته لان الإمام والمقصود الملك أو الأمير أو الخليفة للمسلمين، أو الرئيس في الوقت

(١) المباركفوري، تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي: ج7/ ص11.

(٢) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة باب الصدقة باليمين حديث رقم (1423).

الحاضر يكون من عادته الظلم والغطرسة وذلك من خلال منصبه الذي قد يشعره بالتكبر على الناس والعلو عليهم بملكه وبما أتاه الله من فضله، فأراد نبينا عليه الصلاة والسلام أن يبين الذين يظلهم الله في ظله فعد سبع نماذج وليس المقصود سبعة أشخاص لأنهم لو كانوا سبعة أشخاص لما كان غيرهم من بعدهم ممن حذا حذوهم واقتفى أثرهم فعد منهم الإمام العادل.

(قوله سبعة ظاهرة اختصاص المذكورين بالثواب ووجهه بما محصلة أن الطاعة إما أن تكون بين العبد وبين الرب أو تكون بينه وبين الخلق فالأولى باللسان وهو الذكر أو بالقلب وهو المعلق بالمسجد أو بالبدن والثاني عام وهو العادل أو خاص بالقلب وهـــو التحاب أو بالمال وهو الصدقة أو بالبدن وهو العفة)[١]، وذلك في عبوديته لله يتبين لنا مما سبق ذكره أن هذه النماذج من العبودية لله تعالى وهذه العبادات تعلق العبد بربه ويرزقه الله بظله تحت ظل عرشه **(قوله في ظله قال عياض إضافة الظل إلى الله تعالى ملك وكل ظل فهو ملكه كذا قال وكان حقه أن يقول إضافة تشريف... وقيل المراد بظل كرامته وحمايته)**[٢].

وقد ذكر الرسول ﷺ أول الأصناف في هذا الحديث الإمام العادل (والعدل ضد الجور) ومنه عدل عنه في القضية فهو عادل، وبسط الوالي عدله ومعدلته، وفي أسمائه سبحانه: العدل: وهو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم، وفلان من أهل المعدلة أي من أهل العدل. والعدل الحكم بالحق، يقال: هو يقضي بالحق و يعدل، و هو حكم عادل: ذو معدلة في حكمه، و العدل من الناس: المرضي قوله وحكمه[٣].

يشير ابن حجر العسقلاني في شرح هذا الحديث بقوله ***(الإمام العادل)***، اسم فاعل من العدل، و قيل إن بعض الرواة رواه عن مالك بلفظ (العدل) قال و هو ابلغ لأنه جعل المسمى نفسه عدلا، و المراد به صاحب الولاية العظمى، و يلتحق به كل من ولى شيئا من أمور المسلمين فعدل فيه و يؤيده رواية مسلم من حديث عبد الله بن عمر و رفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: ***(إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن***

---

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج2/ ص143.

(٢) المصدر نفسه: ج2/ ص144.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج11/ ص430.

عَجَلَّ و كلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا) [١]. و احسن ما فسر به العادل أنه الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط)[٢] وقدم هذه العبادة و الطاعة لله عَجَلَّ على غيرها من الطاعات وأن الصفات التي يكون فيها تحت ظل عرش الرحمن لأهميتها وتعلقها بحقوق العباد وحتى يكون الدين كله لله حينما تكون هذه الطاعة مستقرة في حياة الناس و تسهل عليهم أمور الدين بخلاف إذا كانت تحت حكم إمام جائر يظلم الناس و يأخذ حقوقهم فجعل حكمه العادل سبباً لان يكون أول الحائزين بهذه الكرامة والحماية من الله تعالى، و ذكر بعدها شاب نشأ في عبادة الله عَجَلَّ أي (نشأ متلبسا للعبادة أو مصاحبا لها أو ملتصقا بها)[٣].

(ورجل قلبه معلق في المساجد) ومعناه (شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها، و ليس معناه دوام القعود في المسجد)[٤]، وفي قوله ***(ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه)*** والمقصود اجتمعا على حب الله وتفرقا على حبه، أي (كان سبب اجتماعهما حب الله، واستمرا على ذلك حتى تفرقا من مجلسهما وهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى اجتماعهما وافتراقهما)[٥].

وهذه الأعمال تدل على شدة العبودية لله تعالى والتصاحب والتجمع بين المؤمنين من أجل إخلاص هذه العبودية لله تعالى وأن لا يكون التعلق بالمساجد إلا لله تعالى و لا يكون التصاحب و الاجتماع إلا لله تعالى لان الحب في الله والبغض في الله من لوازم الإيمان لما روي عن معاذ بن جبل أنه سال النبي ﷺ عن افضل الأيمان قال ***(أن تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله قال وماذا يا رسول الله قال وان تحب للناس ما تحب لنفسك و تكره لهم ما تكره لنفسك)*** [٦]، وهذا في الحب لله والبغض لله ويتبين لنا من هذا الحديث أن هذه العبودية من الأمور المهمة في الدين التي أكدها النبي ﷺ في كثير من أحاديثه ووردت الكثير من الأدلة التي تزجر من يتولى الكفار من دون

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر حديث رقم (3406).

(٢) فتح الباري، ج2/ ص145.

(٣) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج7/ ص121.

(٤) المصدر نفسه، ج7/ ص121.

(٥) المصدر نفسه: ج7/ ص112.

(٦) رواه احمد، مسند احمد، كتاب مسند الأنصار، باب حديث معاذ بن جبل، حديث رقم (21113).

المؤمنين قال تعالى ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة المجادلة/ الآية 22]، وهذه الآية تبين علاقة المؤمنين بالكفار وإنْ كانوا اقرب المقربين إلى المسلم واقرب صلات القربى وهي الأب والابن والأخ والعشيرة، وهذه الآية تدعو وتحث على قطع جميع العلاقات إلا علاقة الدين والملة التي يجمع عليها المسلمون ويفترقون عليها.

وذكر في الحديث أيضاً ((***ورجل دعته أمراه ذات منصب وجمال فقال أني أخاف الله رب العالمين***)) (يشير القاضي عياض في شرح النووي بقوله يحتمل قوله ***(أخاف الله)*** باللسان، ويحتمل قوله في قلبه ليزجر نفسه، وخص ذات المنصب والجمال لكثرة الرغبة فيها وعسر حصولها)[١]، وذلك لأنها جمعت الأمرين المنصب والجمال وكانت هي الداعية لنفسها، وقد أغنت عن مشاق التوصل إلى مراودة ومطالبته هو لها قد أغنته عن كل ذلك فيكون الصبر عنها لخوف الله تعالى من اكمل المراتب التي يتوصل ويتقرب بها العبد لربه لا يبتغي إلا وجه الله ولا يرجو إلا رضاه سبحانه ورجاء رحمته وهذه من اعظم العبودية والطاعة التي يقدمها العبد بين يدي مولاه، ***(ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)*** أي أن العبد من شدة إخفاء هذه الصدقة التي يريد أن يخفيها أمام الناس ويسرها حتى كان يده اليسرى لا تعلم ولا تـــرى ما تنفق يده اليمنى.

(قال النووي: هذا في صدقة التطوع فالسر افضل، لأنه اقرب إلى الإخلاص وابعد من الرياء، وأما الزكاة الواجبة فإعلانها افضل، وهكذا حكم الصلاة، فاعلان فرائضها افضل، وأسرار نوافلها افضل ... وذكر اليمين من الشمال مبالغة في الإخفاء والاستتار بالصدقة، وضرب المثل بهما لقرب اليمين من الشمال وملازمتها لها، ومعناه لو قدرت الشمال رجلا متيقظا لما علم صدقة اليمين لمبالغته في الإخفاء)[٢].

---

(١) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، يروي النووي هذا الكلام عن العلماء، ج7/ ص122.

(٢) المصدر نفسه: ج7/ ص123.

وأخيرا قوله ***(ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه)*** (فيه فضيلة البكاء من خشية الله تعالى، وفضل طاعة السر لكمال الإخلاص فيها)(١).

ويتبين للباحث مما سبق أن هذا الحديث قد تناول أخص العبوديات التي تقرب العبد من ربه وأفضلها عند بارئها ووثقت الصلة والعلاقة بين العبد وربه وتجعلها أقوى ما تكون وإنْ كانت كل خصلة تناولت جانباً من جوانب العبادة لله رب العالمين.

الحديث الثامن:

((عن عمران بن حصين قال: ***قال النبي ﷺ لأبي يا حصين كم تعبد اليوم إلها قال أبي سبعة ستة في الأرض وواحد في السماء، قال فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك: قال الذي في السماء؟، قال يا حصين أما انك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعانك، قال فلما اسلم حصين قال يا رسول الله علمني الكلمتين اللتين وعدتني فقال اللهم ألهمني رشدي وأعذني من شر نفسي))***(٢).

يتبين من هذا الحديث أن النبي ﷺ أراد أن يبين شناعة وقباحة اتخاذ هذه الأنداد آلهة من دون الله إذا كانت لا تضر ولا تنفع وعدم اجتلاب هذه الأنداد أي خير منها إن كان الذي ينفعه ويضره هو خالقه وبارئه ومصوره والأهم من كل ذلك هو معبوده الذي يجب أن يعبده والذي لا يستحق أن تصرف العبادة إلا له سبحانه.

ويشير المباركفوري في شرحه معنى هذا الحديث بقوله يقول عمران بن حصين الذي يروي قصة إسلام أبيه حصين يقول: قال (لأبي) أي لوالدي حال كفره عن عدد الآلهة التي يعبدها اليوم فأشار حصين إلى أنه يعبد سبعا من الآلهة فأراد أن يوجهه لما ينفعه لما هو خير له من هذه الآلهة وهو الإله الواحد الذي سأله عنه قال (فأيهم تعد لرغبتك ورهبتك).

الفاء جزاء شرط محذوف أي فإذا كان كذلك فأيهم تخصه وتلتجئ إليه إذا نابتك نائبة و(أما) بالتخفيف للتنبيه أنك لو أسلمت (لعلمتك كلمتين) أي دعوتين (تنفعانك) أي في الدارين فأول الكلمتين أو الدعوتين هي قوله ﷺ ***(اللهم ألهمني رشدي)*** أي وفقني إلى الرشد وهو الاهتداء إلى الصلاح ، (وأعذني من شر نفسي) أي واستعيذ واستجير بالله تعالى من شر الوساوس التي تراودني في نفسي من الشرك بالله وطاعة غيره

---

(١) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي: ج7/ ص123.

(٢) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب ما جاء في جامع الدعوات عن رسول الله، حديث رقم (3483).

واعتقاد الضر والنفع في غيره لأنه ذكر في بداية الحديث أنه يعبد سبعا من الآلهة فأراد أن يوجهه بعد إسلامه وتوحيد الله وطاعته وعدم عصيانه في كل أمر فإن النفس تحب أن تعمل كل ما أرادت أي عمل وإنْ كان عملا سيئا أو شيئا تنفر منه الطباع أو غير متلائم مع خلق الإنسان[١].

وأشار المباركفوري في شرحه هذا المعنى بقوله (أعذني من شر نفسي أي أجرني واحفظني من شرها فإنها منبع الفساد.

(وهذا الحديث من جوامع الكلم النبوية لان طلب الهام الرشد يكون به السلامة من كل ضلال والاستعاذة من شر النفس يكون بها السلامة من غالب معاصي الله سبحانه فإن أكثرها من جهة النفس الأمارة بالسوء)[٢].

قال تعالى على لسان امرأة العزيز التي راودت يوسف عن نفسها ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة يوسف/ الآية 53]، وأشار المناوي في معنى الهام الرشد بقوله (وتلهمني بها رشدي أي تهديني بها إلى ما يرضيك وتقربني إليك زلفى وإلا لهام أن يلقى الله في النفس أمرا يبعثه على فعل أو ترك وهو نوع من الوحي يختص الله به من يشاء من عباده)[٣].

يتبين مما سبق أن هذا الحديث دل على معنيين هما الهام الله العبد إلى الطريق الرشيد والتسديد الصحيح وذلك من خلال توفيق الله له وتسديد طريقه لما يرضيه ﷻ وعصمة الله له وسؤاله أن يحفظه الله ويمنعه من كل سوء قد يعترض له فيصرفه عن ربه وعبادته.

الحديث التاسع

((من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة مات والله عنه راض))[٤].

يتبين لنا من هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يحث أصحابه ويعلمهم الإخلاص في عبادته في كل صغيرة وكبيرة وذلك فيما روي عن الحسن قال: اخبرني عمران بن

---

(١) تحفة الاحوذي، بشرح جامع الترمذي، ج9/ ص320 بتصرف.

(٢) المصدرنفسه: ج9/ ص320.

(٣) عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير، دار النشر مصر 1356هـ، ط1، ج2/ ص112.

(٤) سنن ابن ماجه، كتاب المقدمة باب في الإيمان حديث رقم (69).

الحصين **(أن النبي ﷺ أبصر على عضد رجل حلقة أراه قال من صفر فقال: ويحك ما هذه قال: من الواهنة قال أما إنها لا تزيدك إلا وهنا انبذها عنك فانك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبدا)**[١].

فقال ويحك وهي من التأنيب والزجر عن هذا الفعل الذي قصد به غير الله واعتقد في غيره بعض النفع والضر الذي لا ينبغي أن يكون إلا لله وحده وخشيته أن ظل على هذا الفعل أن يكون غير مخلص لله في عبادته والعبادة التي يريدها الله كما بينها في الحديث السابق أن يكون مفارقا للدنيا على الإخلاص لله وحده وصرف كل أنواع العبودية له وحده سبحانه وخشى عليه في هذا الحديث إذا فارق أن لا يكون من المفلحين الناجين يوم القيامة فكان ﷺ احرص علينا حتى من أنفسنا قال تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سور التوبة/ الآية 128]، أي حريص على المؤمنين أن يطيعوا ربهم ورجائه أن يعملوا بما ينفعهم في الآخرة من النعيم المقيم الدائم في الآخرة والخلاص في الآخرة من العذاب المهين الدائم.

يقول المباركفوري في معنى الحديث **(هو أن يؤمنه في الدنيا أن يعمل عمل المنافق ويوفقه لعمل أهل الإخلاص وفي الآخرة يؤمنه مما يعذبه المنافق)** [٢]، أي يؤمنه من أن يعذبه العذاب الحاصل للمنافق في الآخرة.

وقد وقع في حديث ابن عمر (رضي اله عنهما) عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه قال **(أيما عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيلي ابتغاء مرضاتي ضمنت له أن رجعته أن أرجعه بما أصاب من اجر وغنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته مثل المجاهد في سبيل الله)**[٣].

(وفي رواية يشير إليها المباركفوري نقلا عن الترمذي بلفظ ضامن ... وقال قوله علي ضامن أو معناه أنه ذو ضمان وأن رجعته أرجعته ومنه صرفه ورده كأرجعه)[٤].

---

(١) مسند احمد، كتاب أول مسند البصريين، باب عمران بن الحصين حديث رقم (19149).

(٢) تحفة الاحوزي، ج2/ ص40.

(٣) احمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي (ت 303) السنن الكبرى للنسائي ط1، 1411-1991، كتاب الجهاد، باب ثواب من أغمرت قدماه في سبيل الله حديث رقم (4334).

(٤) تحفة الاحوذي، ج5/ ص205.

وأشار الزرقاني إشارة لطيفة في معنى الإخلاص بقوله: **(والمعنى لا يخرجه إلا محض الإيمان والإخلاص لله تعالى أن يدخله أن استشهد الجنة بلا نجاسة ولا عذاب ولا مؤاخذة بذنب فتكون الشهادة مكفرة لذنوبه أو المراد يدخله الجنة ساعة موته)**(١).

يتبين للباحث مما سبق ذكره أهمية الإخلاص لله تعالى في عبوديته برفع الدرجة وعدم المؤاخذة بالذنب ودخوله الجنة حال موته وشمول رحمة الله له وغفرانه لذنوبه وإنْ رجع إلى أهله أن يرجعه بالأجر الكامل من غير نقص مع ما يناله من الغنائم التي يحصل عليها المجاهد في سبيل الله الذي لم يخرجه إلا الإيمان التام الذي يكون خالصا لله من غير رياء ولا سمعة كما روي في الحديث (عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنهما) قال **جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما القتال في سبيل الله فان أحدنا يقاتل غضبا ويقاتل حميه فرفع إليه رأسه قال: وما رفع إليه رأسه إلا انه كان قائما فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو سبيل الله ﷻ)**(٢).

الحديث العاشر:

عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [سورة غافر/ الآية 60]، قال ***((الدعاء هو العبادة))***(٣).

وفي رواية أخرى عن انس بن مالك عن النبي ﷺ قال: ***(الدعاء مخ العبادة)***(٤).

فقد كان النبي ﷺ من اكثر الناس دعاءاً حتى أنه كان في معركة بدر ظل يلح على الله بالدعاء حتى سقطت عباءته وأشفق عليه صاحبه أبو بكر ﷺ حتى قال ﷺ: ***(انك أن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض***(٥)). حتى جاء النصر العزيز المؤزر الذي اقر عين نبينا محمد ﷺ واقر عيون أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين.

---

(١) محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت 1122)، شرح الزرقاني بيروت 1411، ط1، ج3/ ص5.

(٢) البخاري، صحيح البخاري كتاب بدء الوحي، باب من سأل وهو قائم عالماً جالساً حديث رقم (123).

(٣) سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة البقرة حديث رقم (2969).

(٤) م. ن: كتاب الدعوات عن رسول الله، باب منه حديث رقم (3371).

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، باب الانداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم حديث رقم (1763).

فكانت هذه العبودية من أقرب العبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه، (ويذكر المباركفوري في شرحه لهذا الحديث (هو العبادة) أي هو العبادة الحقيقة التي تستأهل أن تسمى عبادة لدلالته على الإقبال على الله والاعراض عما سواه بحيث لا يرجو ولا يخاف إلا إياه)[١].

والحديث يدعو أيضاً إلى عبادة الله تعالى وكثرة الإقبال عليه وتعميق هذه الصلة التي بينه وبين الله من خلال هذه العبودية التي هي أجمل ما يناجي به العبد ربه ويتقرب ويتذلل بين يديه ويخضع له.

وأما شرحه حديث (الدعاء مخ العبادة) فيقول المباركفوري (المخ بالضم نقي العظم والدماغ وشحمة العين وخالص كل شيء والمعنى أن الدعاء لب العبادة وخالصها)[٢].

لان الداعي إنما يدعي الله ثم انقطاع أمله مما سواه وذلك حقيقة التوحيد والعبودية والإخلاص لله تعالى.

((والدعاء مخ العبادة به تتقوى عبادة العابدين فانه روح العبادة))[٣].

أي بهذه العبادة تتقوى همم وعزائم العابدين على العبادة وذلك من خلال التجائهم واستغاثتهم والرجوع في كل مصيبة وابتلاء أو ما يصيب العباد من محن بالالتجاء والاستغاثة برب العالمين واكثر ما يكون بهذه العبودية التي تركها الناس في عصرنا هذا والتجؤوا إلى القبور والأئمة وراحوا يدعونهم ويستغيثون بهم ويطلبون منهم من دون أن يرجعوا إلى خالقهم وبارئهم الذي خلقهم من العدم إلى الوجود ويحب منهم أن يدعوه ويتضرعوا له وذلك في الحديث الذي يرويه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من لا يدعو الله يغضب عليه وأن الله ليغضب على من يفعله ولا يفعل ذلك أحد غيره)[٤] يعني في الدعاء.

أي أن الله ﷻ إذا اكثر الناس في دعوتهم واكثروا طلباتهم لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء هو سميع بهم بصير بحالهم والله يحب الملحين عليه

---

(١) تحفة الاحوذي، ج8/ ص246.

(٢) المصدر نفسه: ج9/ ص219.

(٣) المصدر نفسه: ج9/ ص219.

(٤) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، كتاب الدعاء والتكبير، ج 1/ ص68، حديث رقم (1807).

بالدعاء.وفي الحديث الذي يرويه الترمذي عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنهما) قال: (قال رسول الله ﷺ: ***سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسال وافضل العبادة انتظار الفرج)***[1].وانتظار الفرج من رب العالمين على ما يصيب الناس من مصائب وأمراض وابتلاء في الأموال والأنفس فدعانا النبي ﷺ إلى انتظار الفرج كما في (السؤال في الاستسقاء أولى لأنه مقام التضرع وأجاب عن قصة أصحاب الغار بأنهم لم يشفعوا بأعمالهم وإنما سألوا الله إن كانت أعمالهم خالصة وقبلت أن يجعل جزاءها الفرج عنهم)[2] فينبغي على المؤمن أن يسال ويتوب إليه من ذنوبه وينتظر الفرج.

الحديث الحادي عشر:

عن معقل بن يسار عن النبي ﷺ قال:

((العبادة في الهرج كالهجرة إلي))[3].

والهرج كما دعاه أهل اللغة هو الفتنة (والهرج الفتنة في آخر الزمان) [4] أي أن الفتنة التي تصيب الناس تفتنهم وتبعدهم عن دينهم فيغفلون وينشغلون بما لا ينفعهم إلا في دنياهم وما يشبع شهواتهم.

(والعبادة في الهرج كالهجرة ألي، المراد بالهرج هنا الفتنة واختلاط أمور الناس وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها ولا يتفرغ لها الأفراد)[5] فحث نبينا ﷺ على خطورة وشدة الفتنة الحاصلة في آخر الزمان وأهمية العبادة لكثرة التاركين لها وقلة المستقيمين العابدين لله تعالى لقلة العلم ونشوء الجهل المفرط وكثرة الفتن التي تعصف بالناس والقتل وجاء في معنى الهرج أيضاً: ((يعني القتل الناشئ عن الفتن وقوعا فاشيا يفشو ويستمر ويزداد على مدى الأيام)[6].

ويتبين مما سبق أن الفتن تكثر وتعم وتفتن المؤمن حتى في عقر داره ((ويزيد بذلك التباسها وفضاعتها وشيوعها واستمرارها فيها أي في تلك الفتن، ويصبح كافرا الظاهر أن المراد بالأصباح والإمساء تقلب الناس فيها وقت دون وقت لا بخصوص الزمانين فكأنه كناية عن تردد أحوالهم وتذبذب أقوالهم وتنوع أفعالهم من عهد ونقض

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب في انتظار الفرج حديث رقم (3571).

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ج6/ ص510.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله، باب ما جاء في الهرج والعبادة فيه، حديث رقم (2201).

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ج2/ ص389.

(٥) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج18/ ص88.

(٦) المباركفوري، تحفة الاحوذي، ج6/ ص392.

وأمانة وخيانة ومعروف ومنكر وسنة وبدعة وإيمان وكفر القاعد فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي أي كلما بعد الشخص عنها وعن أهلها خير له من قربها واختلاط أهلها لما سيؤول أمرها إلى محاربة أهلها))[١].

وكل هذه الأمور التي نبهنا عليها النبي ﷺ هي من اجل إخلاص العبودية لله تعالى وعدم التأثر بهذه الفتن التي تخل بهذه العبودية.

وأكد النبي ﷺ هذه الأمور لكثرة الأجر الحاصل منها وهي كالهجرة إلى النبي ﷺ في زمن ليس فيه هجرة أو في حديث آخر كالهجرة مع النبي ﷺ، وهذه فضيلة وكرامة لا ينالها إلا من عمل عملا كبيرا وابتلي وأوذي حتى ينال هذه الدرجة من الطاعة التي هي الهجرة إلى النبي ﷺ أو الهجرة معه، ومشابهة العابد والثابت على دينه في آخر الزمان لصحابة النبي ﷺ في هجرتهم إليه ومعه (رضوان الله عليهم أجمعين).

فهناك الكثير من الأحاديث التي تقرب العبد إلى ربه فمن ضمنها ذكرنا كثيرا ومنها أيضا كما في الحديث الذي رواه أبو هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ ***(إن حسن الظن بالله من حسن عبادة الله)***[٢].

(وان حسن الظن بالله بأن يظن أن الله يعفو عنه من حسن عبادة الله أي حسن الظن بالله من العبادات الحسنة)[٣].

أي أن الذي يظن أن الله يعفو عنه ويوفقه ويغفر له ويعينه على طاعته وهو عامل بمقتضى هذه الأعمال فهو من المحسنين بالله الظن.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ ***((أن الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا فيرضى أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وتعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال و إضاعة المال))***[٤].

---

(١) أبو عبد الرحمن شرف الحق محمد اشرف الصديقي العظيم أبادي (ت قبل 1322هـ) عون المعبود في شرح سنن أبي داود بيروت، ط2، سنة 1415هـ، ج11/ ص226.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب استجابة الدعاء في غير قطيعة رحم حديث رقم (3533) وأبو داود حديث رقم (4993).

(٣) المباركفوري، تحفة الاحوذي ج10/ ص50.

(٤) مسلم، صحيح مسلم كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة حديث رقم (1715).

الرضى والسخط والكراهية من الله تعالى المراد بها أمره ونهيه وثوابه وعقابه أو إرادته الثواب لبعض العباد والعقاب وأما الاعتصام بحبل الله فهو التمسك بعهده وهو اتباع كتابه العزيز وحدوده والتأدب بأدبه ... وأما قوله ﷺ ولا تفرقوا: **(**فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتآلف بعضهم ببعض، وأما قيل وقال فهو الخوض في أخبار الناس وحكايات ما لا يعني من أحوالهم وتصرفاتهم ... وأما كثرة السؤال عما لم يقع ولا تدعو إليه حاجة... وأما إضاعة المال فهو صرفه في غير ما أمر لله**)**(١).

الحديث الثاني عشر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: ***((افضل الناس رجلان رجل غزا في سبيل الله حتى يهبط موضعا يسوء العدو ورجل بناحية البادية يقيم الصلوات الخمس ويؤدي حق ماله ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين))***(٢).

في هذا الحديث يتبن لنا أفضلية العبادة لرجلين أي لاثنين أو لنموذجين من الناس رجل يذهب لغزو في سبيل الله ويقعد أو يهبط في موضع يغيظ العدو به ويسوءه ويؤذيه من كثرة ما يتمكن منه ورجل يقيم بناحية البادية أي في موضع بعيد عن الناس الذي يشغلونه ويلهونه عن ذكر الله وعبادته فيعبد ربه بإقامة الصلوات الخمس والمحافظة عليهن لأنها من الفروض المهمة والطاعات التي تربط العبد بربه ويؤدي حق المال ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين أي انه أكد على عبادات معينة ولم يذكر العبادات الباقية لأن هذه ظاهرة وهناك عبادات باطنة أرادها الله وأرادها أن يقرنها مع هذه الظاهرة وأراد استمرارها حتى يأتيه اليقين وهو الموت.

وجاء في رواية أخرى في معنى الحديث نفسه الذي يرويه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: ***((من خير معاش الناس رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه كلما سمع هيعة أو فزعة طار عليه يبتغي القتل والموت مظانه أو رجل في غنيمة في راس شعفة من هذه الشعف أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين، ليس من الناس إلا في خير))***(٣).

---

(١) انظر النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج12/ ص11.

(٢) مسند احمد، كتاب باقي مسند المكثرين، باب باقي المسند السابق حديث رقم (10384).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والرباط حديث رقم (3503).

أي يكون أمره كله عبادته كلها وطاعته في الأمر الخير كله. عن وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف وسبب النهي الفساد والله لا يحب المفسدين ولأنه إذا أضاع ماله تعرض لما في أيدي الناس(١).

وأشار إلى هذه الطاعات بوصفها من أهم الطاعات وأنها لقواعد الإسلام الكبرى التي توجه المؤمن لما ينفعه في دنياه وأخراه، فأول ذكر: عبادة الله وأفراده بالعبودية وحده دون سائر الآلهة والأوثان التي هي خلقه ومن ثم الاعتصام بحبل الله جميعا وحبل الله هو القرآن (وحبل الله المتين الذي أمر أن يعتصم به هذا القران)(٢).

ونهى النبي ﷺ عن التفرق والتفرق يؤدي إلى الاختلاف والاختلاف يؤدي إلى القتال وهذا من اعظم الذنوب التي يحاسب عليه العباد يوم القيامة هي الدماء لأن الله أول ما يحكم فيها يوم القيامة.

ويكره الله تعالى كثرة السؤال لأن الناس اختلفوا من قبل نبينا محمد ﷺ كثرة سؤالهم لأنبيائهم، ونهى عن كثرة الكلام فيما لا يعنيه، وعن إضاعة المال و تبذيره فيما لا ينفعه في آخرته قال تعالى ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [سورة الإسراء/ الإيات26-27].

وعلى أهمية العبادة وكثرة التعلق بها في الحديث الذي أشار إليه النبي ﷺ من حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ أخذه بيده يوما ثم قال يا معاذ إني لأحبك فقال له معاذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله وأنا احبك قال أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول (**اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**)(٣) علم النبي ﷺ ووجه معاذ لما هو خير له وذكر له أنه يحبه قبل أن يوجهه ثم وجهه بدعاء ينفعه في دنياه بالدعاء على الاستعانة بالله ليعينه على عبادته وذكره وشكره.

الحديث الثالث عشر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ***((لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي، كلكم عبيد الله، وكل نسائكم إماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي))***(٤).

---

(١) النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ج12/ ص11.
(٢) الطبري، الجامع لأحكام القرآن ج4/ ص31.
(٣) مسند احمد، كتاب مسند الأنصار باب حديث معاذ بن جبل رقم الحديث (21103).
(٤) صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها باب حكم إطلاق لفظ العبد والأمة والسيد والمولى حديث رقم (2249).

من هذا الحديث يوجهنا نبينا ﷺ إلى تصفية العبادة وتنقيتها من كل سوء وإخلاصها لله تعالى لأنه هو المستحق أن تصرف وتنصرف إليه العبودية دون غيره من الأنداد والأصنام ولا يأتي صفة حتى التسمية التي ذكرها ويشير القرطبي بقوله إلى معنى هذا الحديث:

(إن العبودية بالحقيقة إنما هي لله تعالى ففي قول واحد من الناس لمملوكه عبدي وأمتي تعظم عليه وإضافة له إلى نفسه بما أضافه الله تعالى به إلى نفسه جائز، والثاني أن المملوك يدخله من ذلك شيء في استصغاره بتلك التسمية فيحمله ذلك على سوء الطاعة... ولا يقل السيد عبدي وأمتي ولا يقل المملوك ربي وربتي وهذا محمول على ما ذكرناه وقيل إنما قال ﷺ لا يقل العبد ربي وليقل سيدي، لان الرب من أسماء الله تعالى المستعملة بالاتفاق)(١).

(وحقيقة العبودية إما يستحقها الله تعالى فكلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولا يقولن المملوك ربي وربتي لان الربوبية إنما حقيقتها لله تعالى لان الرب هو المالك للشيء ولا يوجد حقيقة هذا إلا في الله تعالى)(٢).

ويروى عن (زيد بن حارث حينما جاء أبوه وعمه إلى النبي ﷺ ليأخذوا ابنهم قال لهم النبي ﷺ فأي صاحب كنت لك فبكى وقال لِمَ سألتني عن ذلك قال أخبرك فإن أحببت أن تلحق بهم فالحق وإنْ أردت أن تقيم فأنا من قد عرفت فقال ما اختار عليك أحدا فجذبه عمه وقال يا زيد اخترت العبودية على أبيك وعمك، فقال أي والله اخترت العبودية ثم محمد احب إلي من أن أكون عندكم فقال رسول الله ﷺ اشهدوا إني وارث وموروث فلم يزل يقال زيد بن محمد إلى أن نزلت ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [سورة الأحزاب/ الآية 5]، ونزل ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [سورة الأحزاب/الآية 40](٣)).

وهذه الحادثة تبين لنا أن العبودية إنما تكون لله وحده بكل صغيرة وكبيرة حتى في الاسم والنسب كما في هذه الحادثة.

---

(١) تفسير القرطبي ج9/ ص195.

(٢) العظيم أبادي، عون المعبود، ج3/ ص218-219.

(٣) القرطبي، تفسير القرطبي ج14/ ص193.

والمقصود بكل الأحاديث التي وردت في معنى العبد والأمة والغلام والجارية قال العلماء ((**مقصود الأحاديث شيئان أحدهما نهي المملوك أن يقول لسيده ربي لان الربوبية إنما حقيقتها لله تعالى ولان الرب هو المالك بالشيء ولا يوجد حقيقة هذا إلا في الله تعالى... ولان العبودية تعظيما بما لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه**))(١).

الحديث الرابع عشر:

عن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ:

((ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحدا من خلقك أو أنزلته في كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القران ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي إلا اذهب الله عليه همه وحزنه وبدله مكانه فرجا (وفي رواية فرحا) فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها فقال بل ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها))(٢).

في هذا يتبين لنا غاية العبودية وقصاها والاعتراف بها غاية الاعتراف وكمال العبودية تكون بتمام الاعتراف فكلما أقر وأعترف بعبوديته لربه كان بالله اعرف وبه أوصل ثقة واكثر فقرا وتذللا وخضوعا بين يدي مولاه وأن يجعل العبد حاجته لربه اكثر من حاجته لنفسه كما جاء في معناه الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه إذ يقول ﷺ: **(إن أوفق الدعاء أن يقول الرجل: اللهم أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي يا ربي فاغفر لي ذنبي إنك أنت ربي أنه لا يغفر الذنب إلا أنت)** (٣).

وهذا أيضاً يؤكد بشكل اكبر اعتراف العبد لربه بالعبودية وتذلـــله له بهذه العبودية ودعاؤه بمغفرة الذنب لأنه لا حاكم ولا مسيطر على هذا الكون والأهم أنه لا مخلص للعبد من النار ومدخله للجنة إلا الله تعالى ولا يغفر الذنوب إلا هو سبحانه.

يشير لنا ابن حجر في معنى (عبدك) بقوله (يجوز أن تكون مؤكدة ويجوز أن تكون مقدرة أي أنا عابد لك) (٤) ((وأنا عبدك معترف بأنك مالكي ومديري وحكمك نافذ

---

(١) النووي، شرح النووي ج15/ ص7، وفتح الباري ج5/ ص180.

(٢) مسند احمد، كتاب باقي مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند عبد الله بن مسعود، حديث رقم (3528).

(٣) مسند احمد، كتاب باقي مسند المكثرين، باب باقي المسند السابق، حديث رقم (10692).

(٤) فتح الباري : ج11/ ص99.

في ظلمت نفسي أي اعترفت بالتقصير قدمه على سؤال المغفرة أدبا)) [١] كما قال آدم وحواء ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 23].

ويؤكد النبي ﷺ التمسك والتوثق بالعبودية بشكل اكبر وبحظ أوفر بتعليمنا دعاء نقوله في الصباح والمساء بقوله فيما روي عن شداد بن أوس عن النبي ﷺ قال ***(سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربي لا اله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال ومن قالها من النهار موقناً بها فمات قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة)*** [٢].

وقوله ﷺ ***(اللهم أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي يا رب فاغفر لي انك أنت ربي لا رب غيرك وانه أي الشان انه لا يغفر الذنوب إلا أنت لأنك السيد المالك أن غفرت فبفضلك وان عاقبت فبعدلك وإنما كان هذا أوفق الدعاء لما فيه من الاعتراف بالظلم وارتكاب الجرم ثم الالتجاء إليه تعالى مضطرا)*** [٣].

ومما يعمق معنى العبودية ويبرزه حديث النبي ﷺ الذي يبين فيه أعلى مراتب العبودية في الحديث الذي روي عن أبي السعود **(أن رجلا كلم النبي ﷺ يوم الفتح فأخذته الرعدة فقال النبي ﷺ هون عليك فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد)** [٤].

(والقديد هو اللحم المشدد المقدد أو ما قطع منه طولا وفي المجمع هو اللحم المملوح المجفف في الشمس) [٥].

المراد بهذا الحديث أي أن النبي ﷺ من شدة رحمته بالناس وعبوديته التامة الكاملة لله تعالى أراد أن يهدأ من روع هذا الرجل وبين له هذا المعنى وفي رواية انه قال له انه ليس بملك وإنما هو عبد لله تعالى.

---

(١) محمد شمس الحق العظيم أبادي، عون المعبود ج2/ ص329.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات باب أفضل الاستغفار حديث رقم (5831).
(٣) عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير، ج3/ ص79.
(٤) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين حديث رقم (4366) وهو حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
(٥) جلال الدين السيوطي وآخرون (ت 911)، (شرح سنن ابن ماجه، ج1/ ص238.

الحديث الخامس عشر:

عن أبي أبو هريرة ﷺ قال كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس فاتاه جبريل فقال ***((ما الإيمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث قال ما الإسلام قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال ما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك...الخ))*** [1].

يبين لنا النبي ﷺ أهم الجوانب التي يقوم عليها الدين وهي الإيمان والإسلام والإحسان وتبين لنا في هذا الحديث بروز النبي ﷺ وهو ظهوره لأصحابه فبينما هم كذلك إذ جاءهم رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر كما في حديث عمر الذي يقول فيه لا يعرفه منا أحد ويبدو عليه أثار السفر حتى جلس إلى النبي ﷺ فبدأ يسأله في الحديث أولا عن الإيمان لأنه هو الأصل وثنى بالإسلام لأنه يظهر مصداق الدعوى، وثلث بالإحسان لأنه متعلق بهما.

لأنه الجامع الظاهر الذي هو الإسلام والأمر الباطن الذي هو الإيمان[2].

والعبودية لله تعالى إنما تكون بالأمرين الظاهر والباطن وجمعهما يكون في الثالث الذي هو أن تعبد كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك، وبين الإيمان بالله وهو التصديق بوجوده وأنه متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص وكذلك الإيمان بملائكته وكتبه وبلقائه وبرسله والإيمان بالبعث[3].

وقوله ***(أن تعبد الله)***: يحتمل أن يكون المراد بالعبادة معرفة الله ويحتمل أن يكون المراد بالعبادة الطاعة مطلقا والمعرفة من متعلقات الإيمان وأما الإسلام فهو أعمال قوليه وبدنية، وقد عبر عنها في حديث عمر هنا **بقوله ((أن تشهد أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله))** فدل على أن المراد بالعبادة النطق بالشهادتين، فان قيل السؤال عام لأنه سأل عن ماهية الإسلام والجواب خاص لقوله أن تعبد أو تشهد وكذا قال في الإيمان أن تؤمن وفي الإحسان أن تعبد[4].

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان حديث رقم (50).

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج1/ ص117.

(٣) المصدر نفسه، ج1/ ص117.

(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج1/ ص119.

وفي هذا الحديث يتبين لنا غاية العبودية وأقصاها وأعلاها كما بينها النبي ﷺ في الإحسان لان الإحسان هو أعلى مراتب الدين كما هو ملاحظ في الحديث، والإحسان هو من عدم الإساءة إلى من أساء إليك، وأوصانا الله ﷻ والرسول ﷺ بعدم الإساءة إلى الوالدين ولاحسان إليهما قال تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ [سورة الإسراء/ الآية 23]، وفي معناها أي أن تحسنوا بالوالدين إحسانا.

وجاء في معنى هذا الحديث الذي يدعو إلى دوام العبودية ولزوم المراقبة في العبادة يقول المناوي ((اعبد الله كأنك تراه ومحال أن تراه وتشهد معه سواه وهذا يسمى مقام المشاهدة والمراقبة وهو أن لا يلتفت العابد في عبادته بظاهره إلى ما يلهيه عن مقصوده ولا يشغل باطنه بما يشغله عن مشاهدة معبوده فان لم يحصل له هذا المقام هبط إلى مقام المراقبة المشار إليه بقوله فان لم تكن تراه فانه يراك أي أنك بمرأى من ربك لا يخفاه شيء من التابعين ومن علم أن الله مشاهد لعبادته تعين عليه تزيين ظاهره بالخشوع وباطنه بالإخلاص والحضور فانه ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [سورة غافر/ الآية 19] فيه حث على كمال الإخلاص ولزوم المراقبة[١].

ومما يدلل أيضاً على عبودية الإحسان هذه وتعمقها في قلب المسلم ويكون دوما في حال مراقبة مع ربه ﷻ كما في قوله ﷺ فيما يروى عن انس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال ***(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله احب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار)***[٢].

وأن الحلاوة من ثمرات الإيمان ولما ذلك من أن محبة الرسول من الإيمان أرفقه بما يوجد حلاوة ذلك (وفي قوله حلاوة الإيمان استعارة تخييلية شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو وأثبت له ذلك الشيء وأضافه إليه) [٣] وهو حب الله ورسوله وكذلك محبة المسلم لأخيه المسلم وان لا يحبه إلا لله وكراهية العودة في الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يقذف في النار وهذا أحلى أنواع العبودية لله تعالى وأعلاها لعلاقتهما بحب الله ورسوله.

---

(١) فيض القدير ج1/ ص55.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان حديث رقم (16).

(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ج1/ ص60.

المطلب الثالث: العبودية لله تعالى عند العلماء

المحبة والإرادة اصل كل عمل وحركة، وأعظمها في الحق محبة الله وطاعته وعبوديته جل وعلا، وارادته بعبادته وحده لا شريك له، وأعظمها في الباطل أن يتخذ الناس من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ويجعلون له عدلاً وشريكاً في عبادته وطاعته وأمره ونهيه وهذا كله مما يرضاه الله أن يكون في عبوديته، فمن ذلك علم أن المحبة والإرادة وهو المقصود عند العلماء بتوحيد الطلب والقصد كما سنبينه فيما بعد وهو اصل كل دين سواء كان دينا صالحاً أو دينا فاسدا وهو غاية طلب المعبود و إرادته في العمل وتوجيهه نحوه، فان الدين يكون دائما قائماً على أمرين وهما الأعمال الباطنة والظاهرة، والمحبة والإرادة اصل ذلك كله[1].

والعبودية كما نقل لنا الدكتور احمد الشرباصي نقلا عن أبي حفص النيسابوري بتبينهُ بشكل موجز حتى يعرف العبد ما لَهُ وما عليه **بقوله (العبودية هو ترك الذي لك والتزام ما أمرت به)**[2].

يقول الشاعر :

لا تدعني إلا (بيا عبدها)   فإنها اصدق أسمائي!![3]

(فمن وقف عند هذه الحقيقة وعند شهودها ولم يقم بما أمر به من الحقيقة الدينية التي هي عبادته المتعلقة بإلهيته وطاعة أمره وأمر رسله كان من جنس إبليس وأهل النار وإنْ ظن مع ذلك انه من خواص أولياء الله تعالى وأهل المعرفة والتحقيق الذين سقط عنهم الأمر والنهي الشرعيان كان شراً من أهل الكفر والإلحاد ومن ظن أن الخضر أو غيره سقط عنهم الأمر لمشاهدة الإرادة ونحو ذلك كان قوله هذا شراً من أقوال الكافرين بالله ورسله حتى يدخل في النوع الثاني من معنى العبد والعبد بمعنى العابد فيكون عابداً لله لا يعبد إلا إياه فيطيع أمره وأمر رسله، ويوالي أولياءه المؤمنين المتقين ويعادي أعداءه)[4].

---

(١) أبو الفضل عبد السلام ، الدين والعبودية لابن تيميه/ ص25.

(2) احمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القران دار الرائد العربي بيروت ط 1 (1401هـ-1981م) ج2/ ص150-151.

(3) م.ن :ج2/ ص150-151.

(4) ابن تيميه، العبودية/ ص8.

والعبودية كما قررها شيخ الإسلام ابن تيميه هي قاعدة الدين العظمى ويقول أن قوام الدين أصلان **الأول:** **(المعبود)** الذي هو الإله الحق الذي يجب أن يعبد وأن تصرف له كل أنواع العبودية وهو الله تعالى **والثاني** **(العبادة)** وهو كل ما أمر الله تعالى ورسوله ﷺ ونهى عنه، ويسترسل ابن تيميه في تبيين معنى العبادة ويفصل القول في بيان ركني العبودية وهما (المحبة والذلة) ويرد بذلك على المنحرفين عن هذين الأصليين ممن عبد الله بالحب دون الذلة، وممن عبده بالذل دون الحب(١).

ويتبين للباحث مما سبق أن العبودية كمال الذل لله تعالى مع كمال الحب له.

وأن العبادة لله هي الغاية المحبوبة لله والمرضية له، التي خلق الخلق لها كما قال تعالى ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ [سورة الذاريات/ الآية 56]، وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه ﴿**اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ**﴾ [سورة الأعراف/ الآية 59] وفي حق جميع الرسل قال تعالى﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ**﴾ [سورة النحل/الآية 36]، (والعبادة اصل معناها والمأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب فهي تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له)(٢).

ويشير ابن القيم عن معنى العبودية بقوله (إن الذل والانكسار روح العبودية ومخها ولبها)(٣) وفي معنى العبودية والتمسك بها كان شيخ الإسلام ابن تيميه يقول ((من أراد السعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية وقال بعض العارفين:لا طريق اقرب إلى الله تعالى من العبودية))(4).

---

(1) أبو الفضل عبد السلام، الدين والعبودية لابن تيميه/ ص16.

(2) ابن تيمية، العبودية/ ص6.

(3) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين ج1/ ص298.

(4) م.ن: ج1/ص431.

تبين لنا مما سبق عِظَم أهمية العبودية واهتمام أهل العلم بها ولا ريب أن كمال العبودية تابع لكمال المحبة وكمال المحبة تابع لكمال المحبوب في نفسه والله سبحانه له الكمال المطلق التام في كل وجه، فان القلوب لا يكون شيء احب إليها منه ما دامت فطرها وعقولها سليمة وإذا كانت احب الأشياء إليها فلا محالة أن محبته توجب عبوديته وطاعته وتتبع مرضاته واستفراغ الجهد في التعبد له والإنابة إليه) (١).

ومن هنا تتبين لنا أهمية العبودية والحرص عليها في كل جوانب الحياة التي تتعلق بحياة المسلم والتطلع السامي لهذه المنزلة وهكذا استشعرنا حديث القران عن العبودية بأنها إحدى المنازل السامية التي يتطلع إليها الأبرار من المؤمنين ويفاخرون بها, ولذلك قال قائلهم يناجي ربه ﷻ:

ومما زادني شرفاً وتيهاً　　　وكدت بأخمصي أطأُ الثريا

دخولي تحت قولك (يا عبادي)　　　وان صيرت احمد لي نبياً(٢)

وهكذا نرى المؤمنين أنهم يجهدون أنفسهم ويبالغون في طاعتهم وتقربهم إلى ربهم ويكثرون من مناجاة ربهم واستعانتهم به والاستغاثة به من اجل بلوغ أعلى منازل العبودية لخالقهم وفاطرهم سبحانه.

(ولا عجب فالعبودية صفة تؤدي بالإنسان إلى أن يعبد ربه في كل مقام بما يناسب ذلك المقام فيتحقق من وراء ذلك خير كثير موصول يقوم مع كل الناس في كل أعمال الخير كالصلاة والنفقات والجهاد وتعليم الناس وإكرام الضيف وعند التلبية مع الحجيج....)(٣).

وهذا يحثنا على أهمية الخوض والسير في ركاب العبودية والعمل بها في كل مـــا

---

(١)ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت 751) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ج2/ ص88 .

(٢) احمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرءان: ج2/ ص149

(٣) المرجع نفسه، ج2/ص149.

يرضي المعبود وما يريده ومعنى ما تقدم أن الذي تتحقق له فضيلة العبودية يكون دائماً مع الله، ساعياً في سبيل الله، خادماً لعباد الله، مظهراً السكينة والتذلل لجلال الله تائباً من الفساد والإفساد في ارض الله، مسخراً كل طاقاته في العمل بطاعة الله،ففيه عبودية اللسان الذي ينطق بذكر الله ويرتل كلام الله ويتعود الكلمة الطيبة فيدعوا إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وفيه عبودية السمع فيصغي إلى ما يحب استماعه من توجيه ونصح وإرشاد.

(وأن العبودية ليست مجرد القيام بالعبادات والشعائر ولا مجرد الظهور بالخشوع وإنما العبودية إيمان عميق وفهم دقيق وارتباط بالله وثيق ووفاء لا يخاطه ضعف وإسلام لا يخالطه إعراض وإزهاق للنزوات والرغبات مع إحياء للاجتهاد في القربات والطاعات ويقول أبو العباس السياري الصوفي:

(العبودية: معرفة المعبود والقيام بالعهود)[1].

وأن صفة العبودية هي أنك لا ترى لك مُلكاً وأنك لا تملك لنفسك ضراً ونفعاً.

والعبودية حين تتحقق لصاحبها على حقيقتها ووجهها السليم تجعله من حزب الله المؤمنين المتقين (الأوفياء المسارعين إلى المغفرة والطاعة ويصفهم الإمام علي رضي الله عنه بقوله (قلوبهم محزونة وشرورهم مأمونة، واجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة تجارة مربحة يسرها لهم ربهم ...أما النهار فعلماء علماء أبرار أتقياء، قد براهم الخوف بري القداح (السهام) ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض ويقول قد خولطوا (جنوا) ولقد خالطهم أمر عظيم لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير فهم لأنفسهم متهمون،ومن أعمالهم مشفقون إذا زكي أحدهم يخاف مما يقال له فيقول أنا اعلم بنفسي من غيري، وربي اعلم بي مني بنفسي، اللهم لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني افضل مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون)[2].

ومن هنا يتبين فضيلة العبودية وقضيتها التي هي موضوع دعوة الرسل التي بعث الله من اجلها الرسل وانزل الكتب وفي سبيل هذه الدعوة أؤذي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أشد أنواع الأذى حتى أوصلوا لنا هذا الدين الحنيف.

---

(١) المرجع السابق، موسوعة أخلاق القران: ج2/ ص151.

(2) احمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن: ج2/ ص151.

وسنتكلم الان عن أنواع العبودية وقواعدها ورحاها وحول أي شيء تدور عليه العبودية لله تعالى.

أنواع العبودية وقواعدها ومدارها

حينما نتكلم عن العبودية نقصد بها غاية الحب لله تعالى مع غاية الذل والخضوع والانقياد له ﷻ كما عرفها أهل العلم وكما بينا في المبحث الأول عند كلامنا عن العبودية لغةً واصطلاحاً و الان سوف ابحث في كتب العلماء الأفاضل (رحمهم الله) عن أنواع العبودية وقواعدها ورحاها وما تقوم عليه.

(فان رحى العبودية تقوم على خمس عشرة مرتبة من كملها كمل مراتب العبودية وبيانها أن العبودية منقسمة على القلب، واللسان، والجوارح وعلى كل منهما عبودية تخصه، والأحكام التي للعبودية خمسة (واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح)[١].

فالقلب له خمس عبوديات عبودية الواجب التي يجب أن يعمله وعبودية المستحب وهو كالنوافل التي يحرص عليها المتقون والحرام الذي يجب أن يجتنبه ولا يقربه المسلمون بشكل عام لان عاقبته الخزي في الدنيا والعذاب في الاخرة، والمكروه الذي يتحاشاه الورعون والزاهدون والمتقون، والمباح الذي أباحه الله للمسلمين فمن شاء اخذ منه ومن شاء تركه. وهذه الخمس قواعد كل واحدة منها تنطبق على كل من القلب واللسان والجوارح.

ولا طريق اقرب إلى الله من العبودية له، **(إذ العبودية مدارها على قاعدتين هما حب كامل وذل تام)**[٢]. وهذا هو غاية حب الله تعالى وطاعته وتمام الذل الذي يخضع فيه وينكسر بعبوديته لله تعالى.

(وأن الله ﷻ شرع الصلوات الخمس إقامةً لذكره واستعمالاً للقلب والجوارح واللسان في العبودية وإعطاء كل منها قسماً من العبودية التي هي المقصود بخلق العبد فوضعت الصلاة على اكمل مراتب العبودية)[٣].

و أما أنواع العبودية: فإنها تنقسم على نوعين: عبودية عامة، وعبودية خاصة.

---

(١) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين: ج1/ ص109.

(٢) ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر يوب الزرعي أبو عبد الله، الوابل الصيب من الكلم الطيب، بيروت، (1405هـ-1985م)، ج1/ ص15.

(٣) المصدر نفسه:ج1/ ص27.

العبودية العامة (عبودية أهل السموات والأرض كلهم لله برهم و فاجرهم مؤمنهم و كافرهم فهذه عبودية القهر والملك قال تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَانُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَانِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا﴾ [سورة مريم/ الآية 88-93]، فهذا يدخل فيه مؤمنهم وكافرهم قال تعالى ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [سورة الفرقان/ الآية 17])(١).

أما العبودية الخاصة التي هي: (عبودية الطاعة والمحبة واتباع الأمر قال تعالى ﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [سورة الزخرف/ الآية 68]، وقال تعالى ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [سورة الزمر/ الآية 17-18]، وقال تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَانِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة الفرقان/ الآية 63]، وقال تعالى عن إبليس ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة ص/ الآية 82-83]، فقال تعالى عنهم ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [سورة الحجر/ الآية 42]، فالخلق كلهم عبيد ربوبيته و أهل طاعته وولايته هم عبيد الاهيته)(٢).

من هنا يتبين عبودية أهل السموات والأرض الذين خضعوا لربهم بخلقهم ورزقهم وتدبير أمورهم وشؤونهم وهذه عبودية عامة أهل السموات والأرض.

والعبودية الخاصة التي عبدوا فيها ربهم وخضعوا له وانقادوا لشرعه ولأمره ونهيه وعملوا بما أراد الله منهم وما شرعه إليهم.

والآن سنتكلم عن بعض محاور العبودية لله التي يجب أن تصرف له وحده، و إخلاص العبودية له، والتقرب إليه بالأعمال الصالحة.

العبودية عند أهل العلم

بعد أن أتممنا الكلام عن العبودية في القرآن والسنة سوف نتكلم في هذا المبحث عن توحيد الله بالعبودية عند أهل العلم.

---

(١) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين ج1/ ص105.

(٢) المصدر نفسه، ج1/ ص105.

فالعبودية كما وضحها ابن تيمية (هي الغاية المحبوبة لله والمرضية له، التي خلق الخلق لها)(١) ومن اجلها لأن الله ما بعث الرسل وأنزل الكتب إلا لأجل عبوديته لله ﷻ وأن يفرد وحده بالعبادة دون ما سواه من الأصنام والأنداد والطواغيت وغير ذلك يقول تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ [سورة النحل/ الآية 36]، يشير علماء التفسير في معنى هذه الآية بقولهم:

(فكيف يسوغ لأحد من المشركين أن يقول بعد هذه الآية أن يقول ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة النحل/ الآية 35]، فمشيئته الشرعية عنهم منتفية لأنه نهاهم عن ذلك على ألسنة رسله وأما مشيئتهم الكونية وهي تمكينهم من ذلك قدراً فلا حجة لهم فيها لأنه تعالى خلق النار وأهلها من الشياطين والكفرة وهو لا يرضى لعباده الكفر وله في ذلك حجة بالغة وحكمه قاطعة ثم أنه تعالى قد اخبر أنه أنكر عليهم بالعقوبة في الدنيا بعد إنذار الرسل فلهذا قال تعالى ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ (٢).

يتبين لنا مما سبق أنه لا حجة لأحد أن يعبد غير الله ولا يتوجه إلى غيره ولا يدعوه لأنه هو المستحق للعبادة دون ما سواه (حقيقة العبودية إنما يستحِقها الله تعالى لأن الربوبية إنما حقيقتها لله تعالى لان الرب هو المالك بالشيء ولا يوجد حقيقة هذا إلا في الله تعالى)(٣).

وإفراد الله بالعبودية هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون هو التوحيد في العبادة وهو معنى قولك لا اله إلا الله، فان الإله عندهم هو الخالق الرازق يقصد لأجله هذه الأمور سواء كان ملكاً أو نبياً... ولم يريدوا أن الإله هو الخالق الرزاق، فانهم يعلمون أن ذلك هو لله وحده، والمراد من هذه الكلمة معناها لا مجرد التلفظ بها... والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي ﷺ بهذه الكلمة هو إفراد

---

(١) ابن تيمية، العبودية/ ص4.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2/ ص642.

(٣) العظيم أبادي، عون المعبود، ج13/ ص218-219.

الرب بالتعلق به والكفر بما يعبد من دونه، والبراءة منهم فإنه لما قال لهم قولوا لا اله إلا الله قالوا ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [سورة ص/ الآية 5](١).

يتضح لنا هنا أن الله وحده الذي يقصد في كل الأمور وفي كل توجه ويشير الشيخ عبد الرحمن في إفراد الله وحده بالعبودية بقوله (وأقر بأنه وحده وهو الإله المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له، (والإله) وهو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة (٢)، قال شيخ الإسلام: العبادة: هي طاعة الله بامتثال ما أمر الله به على السنة الرسل(٣).

وطاعة الله هي الغاية التي خلقنا من اجلها ولا نصل أليها إلا عن طريق الوسيلة التي توصلنا إليها وهذه الوسيلة هي إجابة دعوة الرسل.

والعبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة)(٤).

والعبودية لله جمعت كما يتبين في قول ابن تيمية كل عمل يحبه الله ورضيه وارتضاه لعباده في كل عمل وقول سواء كان ظاهراً على اللسان والجوارح او باطناً في القلب أو على الجوارح على خفية من الناس.

(إن لله على العبد عبوديتين عبودية باطنة وعبودية ظاهرة فله على قلبه عبودية وعلى لسانه وجوارحه عبودية فقيامه بصورة الظاهر مع تعريه عن حقيقة العبودية الباطنة مما لا يقربه إلى ربه ولا يوجب له الثواب وقبول عمله، فإن المقصود امتحان القلوب وابتلاء السرائر فعمل القلب هو روح العبودية ولبها(٥). والمؤمنون الصادقون هم الذين عبدوا الله في الظاهر والباطن وهم العارفون بالله وعبوديته الحقة التي يجب أن يسخرها العبد تجاه ربه يقول ابن القيم: **(والمؤمنون العارفون بالله وبأمره قاموا بالله**

---

(١) الشيخ سعيد حجي الحنبلي (ت 1229)، الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى (لا اله إلا الله)، ط1، 1995، دار ابن حزم، ص23-24.

(٢) الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت1285)، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص12.

(٣) المرجع نفسه: ص13.

(٤) ابن تيمية: العبودية/ ص4.

(٥) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله (ت 751 ه), بدائع الفوائد، مكة المكرمة 1416هـ-1996م، ط1، تحقيق عبد العزيز عطا وآخرون، ج3/ ص710.

وبأمره وقاموا له بحقيقة العبودية ظاهراً وباطنا وقدموا قلوبهم في الخدمة وجعلوا الأعضاء تبعاً لها فأقاموا الملك وجنوده في خدمة المعبود هذا هو حقيقة العبودية)(١).

وإن العباد يجب أن يفردوه بتوحيد العبادة في المجالات كافة ومنها عبودية التشريع والاحتكام إليه فتشريع الأحكام التي يسير عليها العباد في عباداتهم ومعاملاتهم وسائر شؤونهم والتي تفصل النزاع فيما بينهم وتنهي الخصومات هو حق الله تعالى رب الناس وخالق الخلق يقول تعالى ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 54].

(وهو الذي يعلم ما يصلح عباده،فيشرعه لهم، فبحكم ربوبيته لهم، وبحكم عبوديتهم له يتقبلون أحكامه والمصلحة في ذلك عائدة إليهم قال تعالى ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة النساء/ الآية 59])(٢).

وأنكر الله على عباده أن يتخذوا أو يقبلوا تشريعاً غير تشريع الله لأن الله هو المشرع لهذه البشرية التي خلقها يقول تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾.

من مقتضى الإيمان بالله تعالى وعبادته أن يطيع العبد المؤمن الله تعالى في كل ما أمر به وكل ما نهى عنه والوقوف عند حدوده التي حدها لعباده المؤمنين والالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كل صغيرة وكبيرة وعبادته وحده دون ما سواه لأنه هو الإله الحق الذي يجب أن يعبد (والخضوع لأمره والرضا بشرعه والرجوع إلى كتابه وسنة رسوله عند الاختلاف في الأقوال وفي العقائد، وفي الخصومات وفي الدماء والأموال، وسائر الحقوق، فإن الله هو الحَكم واليه الحُكم فيجب على الحكام أن يحكموا بما انزل الله في كتابه، وسنة رسوله ﷺ، قال تعالى في حق الولاة قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ

---

(١) المصدر السابق: بدائع الفوائد، ج3/ ص710.

(٢) صالح بن فوزان/ عقيدة التوحيد/ ص123.

﴿ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ [سورة النساء/الآية 58)(١).

ثم بين الله تعالى أنه لا يجتمع الإيمان و إتمام العبودية وكمالها مع التحاكم إلى غير ما انزل الله كالدساتير الوضعية التي تمليها الأمم الكافرة وتفرضها وتُحكِمُها في بلاد المسلمين قال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [سورة النساء/ الآية 60].

رأي العلماء بالشهادتين: ومعناهما و أركانهما وشروطهما وما يتعلق بهما من المعاني التي تدل عليهما.

فمعنى شهادة أن لا اله إلا الله كان يعرفها جميع الناس المشركون والمسلمون في زمن النبي محمد ﷺ ومن بعدهم، فعلماء الإسلام فيما بعد فصلوا وأوضحوا عقيدة التوحيد ومعنى الشهادة، فقالوا في معنى شهادة أن لا اله إلا الله هو الاعتقاد والإقرار، وانه لا يستحق العبادة إلا الله والتزام ذلك والعمل به (فلا اله) نفي لاستحقاق من سوى الله للعبادة كائناً من كان (إلا الله) إثبات لاستحقاق الله وحده للعبادة.

ومعنى هذه الكلمة إجمالا لا معبود بحق إلا الله،وخبر (لا) يجب تقديره (بحق) ولا يجوز تقديره بموجود،لان هذا خلاف الواقع(٢).

فالمعبودات غير الله الموجودة كثيرة، فيلزم منه أن عبادة هذه الأشياء عبادة لله، وهذا من أنكر المنكرات وابطل الباطل وابعد عن الحق وهذا هو مذهب أهل وحدة الوجود الذين هم اكفر أهل الأرض.

وقد فسرت معنى الشهادة بتفسيرات باطلة وناقصة في معناها والمراد منها:(٣)

أولاً: إن معناها: لا معبود إلا الله تعالى. وهذا باطل، لان معناها: إن كل معبود بحق أو باطل هو الله تعالى، وهذا محال.

---

(١) صالح بن فوزان الفوزان: عقيدة التوحيد وما يضادها/ ص116.

(٢) الفوزان، عقيدة التوحيد وما يضادها/ ص39.

(٣) المرجع نفسه، عقيدة التوحيد ص39-40.

ثانياً: إن معناها لا خالق إلا الله تعالى وهذا جزء من معنى هذه الكلمة، ولكن ليس هو المقصود، لأنه لا شيء إلا توحيد الربوبية وهذا لا يكفي ولأنه توحيد المشركين الذين اقروا بها وقالوا إن الله هو الخالق والرازق والمدبر ولم يقروا بأنه وحده الرب تعالى.

ثالثاً: إن معناها لا حاكمية إلا لله، وهذا أيضاً من معناها، وليس هو المقصود لأنه لا يكفي ولأنه لو افرد بالحاكمية فقط ودعا غير الله أو صرف له شيئا من العبادة لم يكن موحداً ولم يؤتِ بالعبودية الحقة كما أرادها الله تعالى وكل ما سبق هي تفاسير باطلة وإنما نبهنا عليها لأنها موجودة في بعض الكتب المتداولة.

والتفسير الصحيح والأصح والأوجه هو لا معبود بحق إلا الله تعالى.

وأركان الشهادة (لا اله إلا الله) لها ركنان هما: (النفي والإثبات):

فالركن الأول النفي: لا اله: يبطل الشرك بجميع أنواعه ويوجب الكفر بكل ما يعبد من دون الله.

والركن الثاني الإثبات: إلا الله: يثبت انه لا يستحق العبادة إلا الله ويوجب العمل بذلك.

وقد جاء في بيان هذين الركنين في كثير من آيات القرآن الكريم كما في قوله تعالى ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [سورة البقرة/ الآية 256].

فقوله تعالى ﴿فمن يكفر بالطاغوت﴾ هو معنى الركن الأول (لا اله) وقوله ﴿ويؤمن بالله﴾ هو معنى الركن الثاني (إلا الله).

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله تقتضي الإيمان به وتصديقه فيما اخبر وطاعته فيما أمر والانتهاء عما نهى عنه وزجر وأن يعظم أمره ونهيه، ولا يقدم عليه قول أحد كائناً من كان لأنه هو الرسول والمبلغ عن الله تعالى دينه، والواقع اليوم هو أن كثيرا ممن ينتسب إلي الإسلام من العلماء والقضاة وأهل العلم هم على خلاف ذلك.

وشهادة أن محمداً رسول الله هو الاعتراف باطناً وظاهراً أنه عبد الله ورسوله إلى الناس كافة وهذه ابلغ عبودية نالها النبي ﷺ وتشرف بها وهو أن يكون في مقام رسالته انه عبد الله.

ولا تتم العبودية لله تعالى وتوحيده إلا بشروطها كما بينها العلماء رحمهم الله تعالى.

شروط لا اله الا الله

لابد في شهادة أن لا إله إلا الله تعالى من سبعة شروط تميز العابدين والخاضعين لله تعالى من غيرهم حتى تتم عبوديتهم له وتكمل ولا تنفع قائليها إلا باجتماع هذه الشروط وهي: (١)

1. العلم المنافي للجهل: أي العلم بمعناها والمراد منها وما تنفيه عن غير الله تعالى وما تثبته لله، المنافي للجهل قال تعالى ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الزخرف/ الآية 86]. أي شهد بلا اله إلا الله وهم يعلمون بقلوبهم ما شهدت به ألسنتهم، فلو نطق وهو لا يعلم معناها، لم تنفعه، لأنه لم يعتقد ما تدل عليه.
2. اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقناً بما تدل عليه فإن كان شاكاً بما تدل عليه لم تنفعه قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ [سورة الحجرات/ الآية 15]، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: ***(من لقيت وراء هذا الحائط يشهد ان لا اله الا الله مستيقنابها قلبه فبشره بالجنة)*** (٢)، فمن لم يستيقن بها قلبه كان منافقاً، فلم يستحق عند هذا دخول الجنة.
3. القبول لما اقتضته هذه الكلمة من عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، فمن قالها ولم يقبل ذلك ولم يلتزم به كان من الذين قال الله فيهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾، ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [سورة الصافات/ الآية 36]، وهذا كحال الذين يعبدون أصحاب القبور اليوم فانهم يقولون (لا اله إلا الله) ولا يتركون عبادة أصحاب القبور، فلا يكونون بذلك قابلين لمعنى (لا اله الله).
4. الانقياد لما دلت عليه هذه الكلمة من معنى قال تعالى ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [سورة لقمان/ الآية 22]، و(العروة الوثقى: هي لا اله إلا الله: ومعنى يسلم وجهه أي ينقاد لله بالإخلاص له) (٣) والمتابعة لشرعه وهو حكمه وأمره ونهيه.

---

(١) صالح بن فوزان الفوزان، عقيدة التوحيد/ ص43.

(٢) أخرجه مسلم , صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على إن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، حديث رقم (46).

(٣) صالح بن فوزان الفوزان، عقيدة التوحيد/ ص44.

5. الصدق: وهو التصديق بهذه الكلمة والشهادة ظاهراً وباطناً (وهو أن يقولها مصدقاً بها قلبه، فمن قالها بلسانه ولم يصدق بها قلبه كان منافقاً كاذباً) ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة/ الآية8].

6. الإخلاص: وهو تصفية العمل من جميع شوائب الشرك بأن يقصد بقولها طمعاً من مطامع الدنيا ولا رياء ولا سمعة لما قفي الحديث الصحيح من حديث عتبان قال: قال ﷺ: *(فان الله حرم على النار من قال لا اله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)* [١]. وهذه هي العبودية الحقة والصادقة والخالصة التي أرادها الله تعالى.

7. المحبة: وهو محبة العبد لهذه الكلمة، ولأهلها العاملين بمقتضاها قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة/ الآية 165]، فأهل (لا اله إلا الله) يحبون الله حبا خالصا وهم اشد حبا لله، وأهل الشرك يحبون مع الله غيره، وهذا ينافي معنى (لا اله إلا الله). وحقيقة العبودية لله تعالى المحضة وهي تأليه العبد لله وحده وكمال العبودية عن طرق إقامتها على اكمل الوجوه والأحوال (ومن توهم أن المخلوق يخرج من العبودية بوجه من الوجوه فإنه من اجهل الخلق وأضلهم)[٢] فإذا عرف العبد أن الله ربه وخالقه وأنه مفتقر إليه ومحتاج إليه عرف عبوديته المتعلقة بربوبية الله[٣].

(وإنما الدين الحق هو تحقيق العبودية بكل وجه وهو تحقيق محبة الله بكل درجة وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة)[٤].

((وكل عمل لا يوافق شرع الله لم يكن لله بل لا يكون لله إلا ما جمع الوصفين: وهو أن يكون لله وأن يكون موافقا لمحبة الله ورسوله وهو الواجب والمستحب كما قال

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، حديث رقم (425).
(٢) ابن تيميه:العبودية/ ص19.
(٣) المصدر نفسه/ ص7.
(٤) ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس (ت 728)، مجموع الفتاوى، ط1 الرياض، 1381، ج10/ 213.

تعالى﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف/ الآية 110] فلا بد من العمل الصالح وهو الواجب المستحب ولابد من أن يكون خالصا لوجه الله تعالى كما قال تعالى ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة البقرة/ الآية 112][١] فالكمال المطلق للإنسان هو تكميل العبودية لله علما وقصدا قال تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات/ الآية 56][٢].

الإخلاص في العبودية لله تعالى

إن الإخلاص لله في عبادته وطاعته لها اثر عظيم وحلاوة تظهر في قلب المسلم وجوارحه وذلك من خلال إخلاص العبد لله تعالى.

ويكون حاله دائما مع الله تعالى فلا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله، فيكون حبه وبغضه لله (ولن يستغني القلب إلا بأن يكون الله هو مولاه ...ولا يوالي إلا من والاه الله، ولا يعادي إلا من عاداه الله، ولا يحب إلا لله ولا يبغض إلا لله، ولا يعطي إلا لله، ولا يمنع إلا لله، فكلما قوي إخلاص دينه لله كملت عبوديته لله، واستغناؤه عن المخلوقات، وكمال عبوديته لله يبرئه من الكفر والشرك فالشرك غالب على النصارى، والكبر غالب على اليهود قال تعالى في النصارى﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة التوبة/ الآية 31]، وقال في اليهود ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 146][٣].

يتبين لنا مما سبق أنه يجب على العباد الذين يعبدون الله وحده أن يخلصوا له العبادة في كل عمل يقومون به من الطاعات وكل عمل يقرب إلى الله تعالى. ولأن الكِبْر

---

(١) المصدر السابق: مجموع الفتاوى، ج 10/ ص213.

(٢) ابن تيميه: مجموع الفتاوى، ج10/ ص545.

(٣) ابن تيميه/ العبودية:ص32.

والشرك هما من اكثر الأعمال منافاة لتوحيد العبودية وإخلاصها لله وحده وإفسادا للعمل وجعله هباءً منثورا توجب هنا الإخلاص بالعمل.

(ومثل إخلاص الدين لله والتوكل على الله هو أن يكون الله ورسوله احب إليه مما سواهما والرجاء لرحمة الله والخشية من عذابه، والصبر لحكم الله والتسليم لأمر الله)(١).

وان إخلاص العبادة لله تدل على التقوى يشير ابن تيميه إلى هذا المعنى بقوله: (ومعلوم أن الإيمان كله تقوى الله شمول التقوى وتفصيل أصول التقوى وفروعها لا يحتمله هذا الموضع فإنها الدين كله لكن ينبوع الخير واصله إخلاص العبد لربه عبادة واستعانة كما في قوله تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة/ الآية 5])(٢).

يتبين لنا مما سبق أنه لابد من الإخلاص في العبادة من اصلين:

(أحدهما إخلاص الدين لله ... وكما في الأثر الذي يروى عن عمر بن الخطاب ﷺ كان يقول في دعائه **(اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصا ولا تجعل لأحد فيه شيئا)**(٣).

وقال الفضيل ابن عياض في قوله تعالى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [سورة الملك/ الآية 2]، قال أخلصه وأصوبه قال العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة(٤).

وفي هذا يتبين عدم قبول العمل حتى يجمع هذين الأمرين وهما الإخلاص والمتابعة حتى تتم العبودية وتكمل على ما أراد الله تعالى ورسوله.

---

(١) احمد بن عبد الحليم ابن تيميه الحراني أبو العباس (ت 782 هـ)، الاستقامة، المدينة المنورة، ط1، 1403، ج2/ ص209.

(٢) احمد بن عبد الحليم ابن تيميه الحراني أبو العباس (ت 782 هـ)، الزهد والورع والعبادة، مكتبة المنار، الأردن، ط1407،1، ج1/ ص91.

(٣) ابن تيميه: مجموع الفتاوى: ج3/ ص124.

(٤) ابن تيميه: العبودية/ ص18.

وبمجموع هذين الوصفين علق الله السعادة فقال ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 112]، وكما علقه الله تعالى بالأيمان باليوم الآخر والعمل الصالح في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 62]، وهذا يدل على أن الإسلام الذي هو إخلاص الدين لله مع الإحسان وهو العمل الصالح الذي أمر الله به هو والأيمان المقرون بالعمل الصالح متلازمان فان الوعد على الوصفين وعد واحد وهو الثواب وانتفاء العقاب فان انتفاء الخوف علة تقتضي انتفاء ما يخافه فنفى عنه الخوف والحزن في الدارين بما آمنوا به وأخلصوه في عبادتهم)[١].

((بل إن إخلاص الدين لله هو الدين الذي لا يقبل الله سواه وهو الذي بعث به الأولين والآخرين من الرسل وانزل جميع الكتب اتفق عليه أئمة أهل الإيمان وهذا هو خلاصة الدعوة النبوية وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه))[٢].

قال تعالى في الإخلاص ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [سورة الزمر/ الآية 2-3]، وقال تعالى في قصة آدم وإبليس ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [سورة الحجر/ الآية 42]، وقال تعالى ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [سورة النحل/ الآية 99-100].

(فبين أن سلطان الشيطانِ وإغواءَه إنما هو لغير المخلصين ولهذا قال في قصة يوسف ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [سورة يوسف/ الآية

---

(١) ابن تيميه: مجموع الفتاوى: ح7/ ص261.

(٢) المصدر نفسه: ج10/ ص49.

24] ، وأتباع الشيطان هم أصحاب النار ولذلك قال تعالى ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة ص/ الآية 85]، وقال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [سورة النساء/ الآية 48])[١].

فيتبين مما سبق أن المشركين لم يخلصوا في العبادة لله وحده لأنهم عبدوا معه غيره فلم يتقبل الله منهم أعمالهم وهذا هو الشرك الذي أدخلهم جهنم وبئس المهاد.

ويشير المروزي إلى معنى الإخلاص عن طريق التصديق والخضوع لله فيقول (فمن التصديق بالله يكون الخضوع لله وعن الخضوع تكون الطاعات فأول ما يكون عن طريق خضوع القلب لله الذي أوجبه التصديق من عمل الجوارح الإقرار بالسان لأنه لما صدق بأن الله ربه خضع له بالعبودية مخلصا ثم ابتدأ الخضوع بالسان فاقر بالعبودية مخلصا كما قال تعالى لإبراهيم ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 131]، أي أسلمت أي خضعت بالخضوع لك)[٢].

التعبد لله بالأعمال الصالحة

إن العبودية لله لا تكون ولا تظهر إلا بالأعمال الصالحة التي يجب أن توجه لله ولا توجه لغيره كالدعاء والاستعانة والاستغاثة والتوكل والذبح والنذر ويجب أن تصرف كلها لله وحده دون غيره من الأنداد.

وكذلك العبادات الأخرى كالصدق والإخلاص واليقين والعبادات الأخرى التي هي أركان الإسلام والإيمان كالصلاة والصيام والزكاة والحج والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والإيمان بالقدر خيره وشره.

وهذه كلها الأعمال الصالحة التي يجب أن يصرفها العباد تجاه ربهم وخالقهم والأعمال الصالحة التي يرتضيها الرب لعبده.

---

(١) المصدر السابق: مجموع الفتاوى، ج10/ ص50.

(٢) محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله (ت 294ه), تعظيم قدر الصلاة، المدينة المنورة ط1، ج2/ 696.

والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد ولها أصلان:-

أحدهما: أن لا يعبد إلا الله...

وثانيهما: أن يعبده بما أمر وشرع لا يغير ذلك من الأهواء والبدع [1]، قال تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف/ الآية 110].

(فالعمل الصالح: هو الإحسان وهو فعل الحسنات، والحسنات ما احبه الله ورسوله وهو ما أمر به من إيجاب واستحباب)[2].

وما كان من البدع التي في الدين ليست مشروعة فإن الله لا يحبها ولا رسوله فلا تكون من الحسنات ولا من الأعمال الصالحة التي أرادها وارتضاها وإلا لأمرنا بها ودعانا إليها، كما أنه ما علم أنه فجور كالفواحش والظلم ليس من الحسنات ولا من العمل الصالح قال تعالى ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف/ الآية 110]، فهو إخلاص الدين لله وحده[3]، فالعبادة لله والاستعانة به.... ولابد في عبادته من اصلين:-

أحدهما إخلاص الدين له **والثاني:** موافقة أمره الذي بعث به رسله ..ولهذا ذم الله المشركين في القران على اتباع ما شرع لهم شركاؤهم من الدين ما لم يأذن به الله من عبادة غيره وفعل ما لم يشرعه من الدين كما قال تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة الشورى/ الآية 21]، كما ذمهم على أنهم حرموا ما لم يحرمه الله، والدين الحق أنه لا حرام إلا ما حرمه الله ولا دين إلا ما شرعه[4]، وهكذا بينا الأصلين اللذين قامت عليهما العبادة وتأسست عليهما هما هذان

---

(١) ابن تيميه: العبودية: ص17.

(٢) المصدر نفسه: ص17.

(٣) المصدر نفسه: ص17-18.

(٤) ابن تيميه: مجموع الفتاوى/ ج3/ ص124.

لا غيرهما ولا قيام إلا بهما والتشريع في الحكم إنما يكون لله وحده دون غيره فلا حلال إلا ما احل الله ورسوله ولا حرام إلا ما حرمه الله ورسوله وفي هذه الأعمال يتقرب العبد إلى ربه ويطيعه في ما أمر ويعمل بما شرعه لهم من أحكام قال تعالى﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف/ الآية 40].

(وأن الله تعالى رتب المغفرة والأجر الكبير على الصبر والعمل الصالح فقال ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة هود/ الآية 11]، وهؤلاء ثنية الله من نوع الإنسان المذموم الموصوف باليأس والكفر عند المصيبة والفرح والفخر عند النعمة ولا خلاص من هذا الذنب إلا بالصبر والعمل الصالح كما لا تنال المغفرة والأجر الكبير إلا بهما(١).

والصبر هو من الأعمال الصالحة التي رضيها الله لعباده المؤمنين فقال تعالى على لسان لقمان داعيا له إلى التحلي بهذا الخلق فقال﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة لقمان/ الآية 17].

والكلام عن الإيمان والعمل الصالح و أعمال المؤمنين فالمؤمنون الذين تاب الله عليهم من الجهل والظلم هم اتباع الأنبياء عليهم السلام فإن الأنبياء بعثوا بالعلم والعدل كما قال تعالى ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ [سورة النجم/ الآيات 1-4].

فبين ﷺ انه ليس ضالا جاهلا ولا غاويا متبعا هواه ولا ينطق عن هواه إنما نطقه وحي أوحاه الله ﷺ وقال تعالى أيضا في سورة الفتح ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [سورة الفتح/ الآية 28].

---

(١) ابن القيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ت 751 هـ)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين دار الكتب العلمية، بيروت/ ص59.

((فالهدى يتضمن العلم النافع ودين الحق يتضمن العمل الصالح و مبناه على العدل قال تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [سورة الحديد/ الآية 25]، واصل العدل، العدل في حق الله تعالى وعبادته وحده لا شريك له فان الشرك ظلم عظيم[1].

والعلم النافع يجب أن يقترن بالعمل الصالح فالعمل لا يكون صالحا حتى يكون موافقا لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كما في الحديث الذي روي عن سعيد بن عبد العزيز قال(كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المدينة من تعبد بغير علم كان ما يفسد اكثر مما يصلح)[2].

فالعمل الصالح لابد فيه من التثبت من العمل بالعلم لأن الله يحاسبك على عملك مما علمت فإن كان علمك ليس له اصل من الشرع فإن الله لا يقبله ولا يرتضيه ولذلك أرسل الرسل وانزل الكتب حتى تنزل العبودية على احسن وجه وأتم صورة.

والعبادة إنما تكون لله عن طريق الاستعانة بقوله تعالى ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [سورة هود/ الآية 123]، وقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة/ الآية 5].

(والاستعانة هي من عبادة الله،لكن خصت بالذكر ليقصدها المتعبد بخصوصيتها بأنها هي العون على سائر أنواع العبادة، إذ هو سبحانه لا يعبد إلا بمعونته)[3].

---

(١) احمد بن عبد الحليم بن تيميه الحراني أبو العباس (ت 728)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، دار العاصمة، الرياض، 1414هـ، ط1، ج1/ ص105-106.

(٢) أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارامي (ت 255هـ)، سنن الدارامي، دار الكتاب العربي بيروت، ط1، 1407، كتاب لمقدمة، باب من قال العلم الخشية وتقوى الله حديث رقم (307).

(٣) ابن تيميه/ العبودية/ ص19.

إذا تبين هذا فكمال عبودية المخلوق في تحقيق عبوديته لله، وكلما ازداد تحقيقاً لهذه العبودية ازداد كماله وعلت درجته.

وأن العبد في كل عمل صالح يتقرب به إلى الله تعالى عند صلاته وصومه وحجه وزكاته وطاعته لله ورسوله وإيمانه بهما وباعتقاده باليوم الآخر وأن الله يحاسب عباده يوم القيامة وبالجنة أو النار والعمل لذلك اليوم وبذكره لله تعالى كما في الحديث الذي رواه أبو الدرداء ﷺ قال: قال النبي ﷺ **(ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله تعالى قال معاذ بن جبل ﷺ ما شيء أنجى من عذاب الله من ذكر الله)**[1].

وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [سورة الأحزاب/ الآيات 41-42] فدل ذلك على أن الله تعالى أمر عباده المنعم عليهم بجميع أنواع النعم بدوام ذكره والنعيم المقيم يوم القيامة وله الرفعة في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

فالذكر من افضل الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى خالقه ومولاه وابلغ أنواع العبودية لان الله ما خلق العبد إلا لعبادته وافضل العبادة ذكره ﷻ وكذلك التقرب إلى الله بالطاعات البدنية كالصلاة وكلما زاد تقرباً بهذه الطاعة ازداد تقرباً إلى الله وهي أحب شيء إليه تبارك وتعالى ومن ثم التقرب إلى الله بالنوافل كما في الحديث الذي رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (ان الله ***عز وجل قال من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيء احب إليّ مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى احبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وان سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت***

(١) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب منه، حديث رقم (3377).

عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا اكره مساءته))[١]، والمقصود في الحديث بولي الله هو المواظب على طاعته المخلص في عبادته أي فقد حارب الله واستقبله بالمحاربة وأن الله يحب من العبد أن يتقرب إليه بعبادته اتي أمره بها وشرعها له ويحب الله أن يزيد على هذه الطاعة مما بين الله تعالى ورسوله ﷺ في الكتاب والسنة من النوافل كقيام الليل وصيام الأيام التي فيها الأجر العظيم كثلاثة أيام من كل شهر وصيام الاثنين والخميس ويوم عرفة والعمرة في رمضان وغيرها من النوافل التي تلصق العبد بعبوديته لربه وخالقه فيكون العبد يستمد قوته وطاقته كلها من الله فلا يسمع إلا ما يرضي ولا يبصر إلا بما يرضى الله وحينما يجاهد تكون قوة طاعته وجهاده كلها من الله كما أشار الدكتور احمد الشرباصي بقوله **(يكون دائما مع الله، ساعيا في سبيل الله، خادما لعباد الله، مظهراً السكينة والتذلل لجلال الله نائياً عن الفساد والإفساد في ارض الله مسخراً كل طاقاته في العمل بطاعة الله، ففيه عبودية السان الذي ينطق بذكر الله ويرتل كلام الله ويتعود الكلمة الطيبة فيدعوا إلى الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وفيه عبودية السمع فيصغي إلى ما يحب استماعه من توجيه ونصح وإرشاد)**[٢].

(والعبودية حين تتحقق لصاحبها على حقيقتها ووجهها السليم الكريم تجعله من حزب الأتقياء الأوفياء المسارعين إلى المغفرة والطاعة)[٣].

ومن كل ما سبق يتبين للباحث إن العبودية تتم وتكمل في الأعمال الصالحة التي يجب أن يعملها ويقوم بها العابدون تجاه ربهم الذي خلقهم لعبادته وطاعته.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقائق، باب التواضع، حديث رقم (6021).

(٢) موسوعة أخلاق القران: ج2/ ص150.

(٣) المصدر نفسه: ج2/ ص150.

الفصل الثاني

شروط وأركان تحقيق العبودية

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: شروط العبودية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: توحيد الله.

المطلب الثاني: طاعة الرسول ﷺ

المبحث الثاني: أركان العبودية

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: الحب.

المطلب الثاني: الخوف.

المطلب الثالث: الرجاء.

المبحث الأول
شروط العبودية

المطلب الأول .. توحيد الله تعالى

التوحيد لغة واصطلاحاً

بالرجوع إلى المصدر الثلاثي بالتوحيد (وَحَدَ) وهو يعطي معنى الانفراد والوحدة[١]، وأوحد الله جانبه أي بقي وحده، وأوحد للأعداء تركه[٢].

وقيل تعطي معنى التوحيد: أي برأيه: أي انه صار منفرداً به، وإذا دخل القوم مَوْحَدَ مَوْحَدَ وأُحاد وأُحاد، أي انهم صاروا فرادى أي انهم اصبحوا واحداً واحداً [٣]، والوحَدُ من الوحش: المُتوحِّد من الرجال الذي لا يعرف نسبه ولا أصله، وَوَحَد (بفتح الحاء): الانفراد رجل وَحَدَ ووحِد ووحيد: منفرد، وحد الرجل (بكسر الحاء) و(وحَدُ) (بالضم) وحد أي بقي وحده[٤].

وأما الوحدانية فهي تعني الفردانية، أما التوحيد فهو: (الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد، ذو الوحدانية والتوحيد، وقيل والله الأوحد والمتوحد وذو الوحدانية ومنه صفات الواحد الأحد أو أنه كما قيل من أسماء الله تعالى الواحد، والواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده، ولم يكن معه آخر، وما ذكره ابن منظور: إنه اسم الله ﷻ (أحد) فإنه لا يوصف شيء بالأحدية غيره، لا يقال رجل أحد [٥]، ومنها قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ [سورة سبأ/ الآية 46]، أي خصلة واحدة وهي هذه، وقيل معناه أعظكم بوحدانية الله تعالى أي بأن توحدوا الله [٦] وفيه معنى الإخلاص لله تعالى لأن (الواحد من صفات الله تعالى، معناه انه لا ثاني له

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (وحد)، ج3/ ص450.

(٢) المصدر نفسه، ج3/ ص449.

(٣) المصدر نفسه، مادة (وحد)، ج3/ ص450.

(٤) ينظر الفيروز أبادي مجد الدين، محمد بن يعقوب، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لجنة إحياء التراث، القاهرة سنة 1385هـ، 1965م، ج5/ ص170.

(٥) ينظر لسان العرب، مادة (وحد)، ج3/ ص450.

(٦) الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز، ج5/ ص169.

ويجوز أن ينعت الشيء بأنه واحد، فأما أحد فلا ينعت به غير الله لخلوص هذا الاسم الشريف له جل ثناؤه، وتقول: أحدت الله ووحدته، وهو الواحد الأحد)[١].

استعمل القرآن الكريم للواحد كثيراً، ذكر الفيروزأبادي في ستة أوجه ذكر منها خمسة أوجه في كتابه، ثم فصل في ذكر نوعي التوحيد وهو توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، فصاحب توحيد الربوبية يشهد قيومية الرب فوق عرشه يدبر أمر عباده وحده، وأما توحيد الألوهية وهو أن يجمع قلبه وعزمه وهمه وأرادته وحركاته على أداء حقه والقيام بعبوديته[٢].

ومن قواعد العبودية والعبادة هو التوحيد، والإيمان بالله ﷻ (فالتوحيد هو القاعدة الأولى في الإسلام التي يجب أن يؤمن بها قلب المسلم وينطق بها لسانه بقوله **(أشهد أن لا اله إلا الله)** وكلمة الشهادة هي نفي لكل اله غير الله واثبات لعبادة المعبود بحق وهو الله تعالى)[٣]، فشهادة المؤمن بهذه الشهادة هو اعتراف بلسانه مع اعتقاد بقلبه أن لا معبود بحق إلا الله تعالى وهي شهادة بتوحيد الله ونفي كل اله سواه لأنه أساس التوحيد ومبناه. فالتوحيد: هو عبادة الله وحده لا شريك له والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله ولقائه بالأب الواحد لاشتراك الناس جميعهم فيه، وهو الدين الذي شرعه الأنبياء[٤]، قال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [سورة الشورى/ الآية 13]، وكما أن دين الأنبياء واحد وهو التوحيد وعبادة الله وهذا هو دين الإسلام الذي اخبر الله انه دين أنبيائه ورسله (عليهم الصلاة والسلام) من أولهم نوح إلى آخرهم وخاتمهم محمد ﷺ فهذا الدين والتوحيد بمنزلة الأب الواحد، وأما الشرائع فهي تختلف فهي بمنزلة الأمهات

(١) ينظر ابن منظور، لسان العرب، مادة (وحد)، ج3/ ص451.

(٢) ينظر الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز، ج5/ ص170.

(٣) عفيف عبد الفتاح طبارة: روح الدين الإسلامي: ص93.

(٤) محمد بن أبي بكر أبو عبد الله المعروف بابن القيم الجوزية (ت 758هـ)، بدائع الفوائد، ج 3/ ص719.

الشتى (التي كان لقاح تلك الأمهات كما أن مادة تلك الشرائع المختلفة من دين واحد متفق عليه)(١).

يتبين مما سبق ذكره أن التوحيد: هو إفراد الله بالخلق والتدبير وإخلاص العبادة له دون ما سواه، واثبات ما له من الأسماء الحسنى والصفات العليا وتنزيهه عن كل نقص وعيب لا يليق بجلاله وعظمته سبحانه.

ويتضمن الكلام عن توحيد الله وإفراده بالعبادة ودعائه والاستعانة به وان لا توجه العبادة إلا إليه والتصديق بهذه الكلمة والعمل بمقتضاها وهي أن لا يوجد معبود بحق إلا الله تعالى.

(وكانت مهمة الرسل أن يوجهوا الفطرة السليمة وجهتها إلى الله، وأن يحفظوها من الانحراف، حتى لا يعبد الإنسان إلا الله ولا يشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعض المخلوقات بعضهم أرباباً من دونه)(٢).

وفي الفترات التي طال فيها الأمد على دعوة الرسل فنسيت أو حرفت، وعبدوا أنواعاً من الآلهة التي لا يكاد العقل يصدقها، فهناك قوم عبدوا الشمس عن ملكة سبأ وقومها على لسان هدهد سليمان، قال تعالى ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة النمل/ الآية 24]، ومنهم من عبد القمر والكواكب كقوم إبراهيم ومنهم من عبد النار كالمجوس .. وهناك من عبد الأصنام والأوثان. وهذا أداء قديم منذ عهد قوم نوح الذين اتخذوا من دون الله وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً. وقد روى ابن عباس إنها كانت في الأصل صوراً لبعض موتاهم الصالحين اتخذوها لتذكرهم بهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوها من دون الله ﷻ (٣).

وكما في الصحيح من حديث عياض بن حمار المجاشعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته (***ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل ما نحلته عبداً حلال وأني خلقت عبادي حنفاء كلهم وانهم أتتهم***

(١) ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، ج3/ ص720.

(٢) يوسف القرضاوي: العبادة في الإسلام/ ص137.

(٣) العبادة في الإسلام/ ص137.

الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحلت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم ينزل به سلطاناً))[١].

فبين الله تعالى أن الله خلق عباده على الفطرة وأن الشياطين هم الذين أبعدوا الخلق عن العقيدة الصحيحة التي فطرهم الله عليها فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده.

وأن الله تعالى لما أمر بتوحيد الله وطاعته ونهى عن عبادة غيره وأكد الميثاق الذي أخذه على عباده وهم في ظهر أبينا وسيدنا آدم عليه السلام، قال تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ* أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ* وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة الأعراف/الآية172-174].

فاثبت عليهم الحجة بعبادته وحده، وأن اتباع الآباء في عبادتهم هو انهم كانوا على ضلال، وهو من الباطل وأن اتباعه هو من أفعال المبطلين، وتفصيل الآيات التي تتعلق بعبادته وحده هو حتى يرجع أهل الشرك عن هذا الباطل الذي تعلقوا به وجعلوه ديناً لهم.

(ولا شك أن الأمر بعبادته والنهي عن عبادة غيره مسبوق بالعلم بذاته سبحانه، وجميع ما يجب ويجوز ويستحيل عليه وبالعلم بوحدانيته وبراءته عن الأضداد والأنداد والبراءة عن الصاحبة والأولاد ومسبوق أيضا بكل ما اشتمل علم الكلام وعلم الفقه والأحكام لان العبادة لا تأتي إلا معها)[٢].

والعبادة أن تكون لله وحده (وان مسألة التوحيد من أعظم مسائل الدين وأجلها وقد تتابع اهتمام الأنبياء بإيضاحها ودعوة الناس إليها، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية 25].

---

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة، حديث رقم (5109).

(٢) الرازي، التفسير الكبير، ج3/ ص585-586.

ولهذا كانت حياة النبي ﷺ كلها حافلة ببيان التوحيد والتحذير من الشرك والبراءة من أهله .. فكان النبي ﷺ من أشد الناس توقياً وتحرياً لحماية جانب التوحيد(١).

ولأهمية التوحيد وبعثة الأنبياء لأجله ولاهتمام الأنبياء به وأنه الفرض الأعظم الذي أوجبه الله على عباده، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية 25].

فعن علقمة عن ابن مسعود (رضي الله عنهما) (من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة الأنعام/ الآية 151-152](٢).

وتتضح لنا هنا أهمية تأكيد جانب التوحيد وأنها من أهم الأمور وأعظمها التي أكدها نبينا ﷺ لأن الله ما بعث الرسل وأنزل الكتب وخلق الجنة والنار إلا لأجل هذه الغاية وهي معرفته وطاعته وعبادته بما أمر وأراد.

وعن أنس بن مالك ﷺ عن معاذ بن جبل ﷺ قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار يقال له عُفَير فقال يا معاذ: ***((هل تدري حق الله على عباده، وما حق العباد على الله، قلت الله ورسوله أعلم، قال فان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً فقلت يا رسول الله أفلا أبشر به الناس، قال لا تبشرهم فيتكلوا))***(٣).

وفي هذا الحديث تتبين للباحث أهمية تأكيد توحيد الله تعالى وافراده بالعبادة وهي حقيقة العبودية التي أكدها القرآن في الكثير من الآيات، قال تعال ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء/ الآية 23]. يتضح مما سبق ذكره أن هناك عدة فوائد من أهمها:

1. الحكمة في خلق الله تعالى الجن والإنس.

---

(١) خالد محمد حامد وآخرون، دمعة على التوحيد، ص7-8.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2/ ص188.

(٣) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، في كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار، حديث رقم (2857).

2. وان العبودية لله تعالى هي التوحيد لان الناس اختصموا في هذا الأمر.
3. إن من لم يأت لم يعبد الله، ففيه معنى قوله تعالى ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [سورة الكافرون/ الآية 3].
4. المسألة الكبيرة لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت، والطاغوت كما عرفه ابن القيم: هو كل ما تجاوز العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع [1]، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدون من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون انه طاعة لله [2] وان المقصود بالطاغوت كل ما عبد من دون الله والمعنى مبين في قوله تعالى ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [سورة البقرة/ الآية 256].
5. معرفة حق الله تعالى علينا ومعرفة حق العباد عليه.
6. الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله تعالى.
7. عظم شأن هذه المسألة.

فيتبين لنا مما سبق أن التوحيد: هو إفراد الله في العبادة والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك.

(وأما إن الله تعالى واحدفي ذاته فمعناه انه لا ينقسم ولا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتعدد ولا يتركب ويعني أن الله تعالى أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد وأنه يمنع أن يتفرق أو يتجزأ أو يكون قد ركب من أجزاء)[3].

(وأما إنه واحد من صفاته لا شبيه له بمعنى أن صفاته العليا غير شبيهه لصفات أحد آخر من المخلوقين فله ﷻ صفات الكمال وكذلك عدم تعدد الصفات من جنس

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم الجوزية (ت 751ه) عقيدة الفرقة الناجية، بيروت، لبنان، ط3 سنة 1986م/ ص34.

(٢) عبد الله بن حسن، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص15.

(٣) فخر الدين الرازي، أساس التقديس، مصطفى البابي الحلبي، ط 1 1354ه-1935م بغداد/ ص16-17.

واحد فليس له تعالى قدرتان أو علمان فأكثر فلو تعددت للزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد وهو باطل)[١].

وأما وحدانية الأفعال فتعني أن ليس معه إله آخر في إحداث العالم خلافاً للثنوية القائلين بوجود الهين أحدهما خالق للخير وهو (إهوارمزدا) والثاني خالق للشر وهو (أهرمن) بمعنى إبليس وخلافاً لبعض النصارى القائلين بأنه ثالث ثلاثة معبراً عنها بالاقانيم الثلاثة وهي (ذات وعلم وحياة) خلافاً للطبيعيين القائلين بأنه زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر[٢].

وقد استدل أهل السنة في إثبات الوحدانية لله تعالى بدليل التمانع المشهود عند المتكلمين، قال أبو إسحاق الفيروز أبادي في إشارة إلى مذاهب أهل الحق (ثم يعتقدون أن مُحدِث العالم هو الله ﷻ وأنه واحد أحد لان الاثنين لا يجري أمرهما على النظام لأنهما إذا أراد شيئاً أن يخلقاه لا يخلو أما أن يتم مرادهما جميعاً أو لا يتم مرادهما جميعاً أو يتم طرد أحدهما دون الآخر فان لم يتم مرادهما جميعاً بَطَلَ أن يكونا الهين ومحال أن يتم مرادهما جميعاً لأنه ربما يريد أحدهما إحياء جسم والآخر يريد إماتته والإنسان لا يكون حياً وميتاً في حالة واحدة، فان تواطأ فالتواطؤ أيضا لا يكون إلا عن عجز وإنْ تم مراد أحدهما دون الآخر فالذي لم يتم مراده ليس بإله لأن من شرط الإله أن يكون مريداً قادراً فدل على أن الله ﷻ واحد أحد)[٣].

هذه هي نظرة أهل السنة لوحدانية الله تعالى وهو أمر متفق عليه من المعتزلة أيضاً إلا أن المعتزلة رأوا في الصفات نفسها زيادة في تحقيق معنى التوحيد فقالوا ليس لله صفات قديمة زائدة على ذاته من علم وقدرة .. الخ، لأنه لو وجدت هذه الصفات لكان في ذلك تعدد للآلهة والله واحد لا يشاركه في قدمه شيء وعلى هذا فليست لله صفات قديمة أزلية غير ذاته فالقرآن مخلوق لله والله لا يرى والله يعلم وعلمه ذاته[٤].

---

(١) كمال الطائي، رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة، مطبعة سلمان الأعظمي، ط 2 بغداد 1392هـ-1972م/ ص40.

(٢) عبد الملك السعدي، شرح النسفية، دار الأنبار، ط4، 1420هـ-1999م بغداد/ ص44-45.

(٣) أبو إسحاق الفيروز أبادي، الإشارة إلى مذاهب أهل الحق، ط2، 1419هـ-1998م/ ص188.

(٤) عبد الدايم أبو العطا البغوي، أهداف الفلسفة الاسلامية، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان/ ص15-16، الإمام يحيى بن حمزة المعتزلي، المعالم الدينية في العقائد الإلهية تحقيق سيد مختار ط1، 1408هـ -1988م، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان/ ص87.

وهذا التأويل فاسد يخرج العبد عن حقيقة التوحيد ومفهومه.

هذه هي الوحدانية كما فهمها الإسلاميون فأخذوا بها وبمضمونها وفهمها المشركون فنبذوها وتركوها وقد تجلت هذه الوحدانية في جزيئات كثيرة لعل من أبرزها:

1. إفراد الله بالعبادة

جاء النبي ﷺ في عالم يرزح ويعم في كل جوانب الضلالات والانحرافات والخرافات والأساطير فأحاط بالبشرية ظلاماً مطبقاً وليلاً حالكاً ومطبقاً من هذه الضلالات والخرافات التي نشطت فيه هذه التكهنات وانزوت الأفكار السليمة ورب الجهل وانكمش العلم وعم اليأس وقل الأمل وأوشكت الإنسانية أن تتردى في صورة سحيقة هي إلى عالم الحيوان، فما بين ضلالات اليهود وحمق النصارى وكفر المذاهب الوثنية في فارس والهند والصين كان العرب يسجد لغير الله ويعبد اللات والعزى ويقدم لها القرابين ويطلب منها ويستعين ويستغيث بها.

ويتضح لنا من كل ما تقدم أن الإسلام جاء لينقل الناس من عبادة المادة إلى عبادة الإله الواحد الأحد فارتفعت حساسية العربي وسمت نفسه فلم يعد يفكر في المنفعة العاجلة ولم يعد يقنع بأن ضوء الشمس وحرارتها كافيان لجعل الشمس إلهاً يعبد، فما بالك بحجر ينحته بيده ينصبه بقواه، وأصبح الرجل الذي كان يحكم السيف في أموره دون تفكير، وينصر أخاه ظالماً أو مظلوماً إن خالط الإسلام بشاشة القلوب التي في الصدور أصبح يحكم بما يشرع الله ورسوله ويرضى بهما [١]. ومن أبرز تلك التعاليم التي أدت بالإنسان إلى التخلي عن عبادة الأصنام والرجوع إلى عبادة الإله الواحد كما في قوله تعالى ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة يس/ الآية 22]، من خلال المحاورة الموجودة في (سورة يس) دارت بين من رضي بالله رباً وبدينه منهاجاً وطريقاً يسير عليه وبين من لم يرض بكل ذلك فيقول المؤمن في تلطف للكافرين في إرشادهم: ومالي لا اعبد الذي خلقني واليه نرجع كلنا بعد الموت لنجازى بأعمالنا إن خيراً فخير وان شراً فشر، فالعبادة لا تصل إلا لمن منه مبتدؤكم وإليه مرجعكم[٢].

---

(١) احمد شلبي، المجتمع الإسلامي، ط4، 1974، مكتبة النهضة العربية/ ص23.

(٢) الزمخشري، الكشاف ج3/ ص31.

وقال الأستاذ سيد قطب رحمه الله إنه تساؤل الفطرة الشاعرة بالخلق المشددة إلى مصدر وجودها الوحيد قال تعالى: ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني﴾ وما الذي يحيد عن هذا النهج الطبيعي الذي يخطر على النفس أول ما يخطر؟ إن الفطرة مجذوبة إلى الذي فطرها وتتجه إليه أول ما تتجه. فلا تنحرف عنه إلا بدافع آخر خارج عن فطرتها، ولا تلتوي إلا بمؤثر آخر ليس من طبيعتها، والتوجه إلى الخالق هو الأولى، وهو الأول هو المتجه الذي لا يحتاج إلى عنصر خارج عن طبيعة النفس فيعبر عن هذا التغيير الواضح البسيط بلا تكلف ولا لف ولا تعقيد .. كذلك أن المخلوق يرجع إلى الخالق في النهاية وكما يرجع كل شيء إلى مصدره الأصيل(١).

يقول ابن كثير في تفسيره الآية السابقة ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني﴾ أي ما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له ولذلك جاءت الآية التي بعدها تفصل أكثر وهي ﴿إِنْ يُرِدْنِي الرَّحْمَانُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ [سورة يس/ الآية 23]، أي أن هذه الآلهة التي تدعونها من دون الله لا يملكون من الأمر شيئاً فان الله لو أرادني بسوء فلا كاشف إلا هو، وهذه الأصنام لا تملك وضع ذلك البلاء(٢).

ويفسر الصابوني قوله تعالى ﴿ومالي لا اعبد الذي فطرني واليه ترجعون﴾، تلطف في الإرشاد كأنه ينصح نفسه ويختار لهم ما يختار لنفسه وفيه نوع تقريع على ترك عبادة خالقهم، والمعنى أي شيء يمنعني من أن أعبد خالقي وإليه مرجعكم(٣).

فهذه الآية صريحة في إفراد الله ﷻ وحده لا شريك له أعلنها.

أقسام التوحيد

ويمكن أن نقسم التوحيد كما قسمه أهل العلم ومنهم ابن أبي العز الحنفي:

إن التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأنزلت وخلق من أجلها الخلق نوعان هما:

1. توحيد في إثبات المعرفة والحجة.

---

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن ج7/ ص17-18.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج3/ ص568.

(٣) محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن الكريم، ط 1، 1401هـ - 1981م، الرياض القسم الثالث والعشرين/ ص48.

2. توحيد في الطلب والقصد[١].

وقد أجمل ابن القيم الجوزية على ما جاء به القرآن أفضل إجمال فقال: (القــرآن إما خبر عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله وهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوته إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه –أي إفراد الله بالعبادة– فهو التوحيد الإرادي الطلبي، أي الذي أراده الله من عباده، طلبه من عباده وقضاه، قال سبحانه ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة الإسراء/ الآية 23]، وأما أمر ونهي وإلزام بطاعته وأمره، ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكملاته[٢].

وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد وما فعل الله بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما حل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، فمثلا **الحمد لله رب العالمين** توحيد، **والرحمن الرحيم** توحيد، **مالك يوم الدين** توحيد، إياك نعبد وإياك نستعين توحيد .. الخ[٣].

أولاً: توحيد المعرفة والإثبات: وهو معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته العليا وهو معرفته بربوبيته وهو أن الله تعالى هو الخالق الرازق المدبر لأمر هذا الكون وبنعمه المفضية على عباده التي يسرها لهم، قال تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [سورة الزمر/ الآية 38].

(وتوحيد الربوبية: بأنه رب العالمين وخالقه واحد وليس اثنين وهو الرب الذي جبلت عليه الفطر السليمة على الإقرار لله والخضوع له والإيمان بما له من الأسماء والصفات على وفق ما جاء في الكتاب والسنة)[٤].

---

(١) القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية سنة 1984، ج2: ص42.

(٢) مدارج السالكين، ج3/ ص450.

(٣) المصدر نفسه، ح3/ ص450.

(٤) ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ج1/ ص17.

والقرآن الكريم قد جمع فيما ورد فيه عن الصفات بين الإثبات والتنزيه في أية واحدة، قال تعالى ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى/ الآية 11].

فالله تعالى هو السميع البصير لا يشبهه أحد من خلقه مع انهم يسمعون ويبصرون، كذا في بقية الصفات، ولان التماثل في الصفات فرع من التماثل في الذوات، والذاتان هنا مختلفتان تماماً فكذا صفاتهما(١).

فتسميته تعالى قادراً وتسمية العبد قادراً لا توجب مماثلة قدرة الله لقدرة العبد، وكذا سميته عالماً ومريداً وحياً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً مع تسمية عباده بهذه الأسماء لا يستلزم ان علمهم كعلمه، ولا إرادتهم كإرادته ولا حياتهم كحياته .. وهذه الأسماء إذا سمي الله بها كان مسماه معيناً مختصاً به، وإذا سمي العبد بها كان مسماه مختصاً به، فيما يوصف الله به، ويوصف به العباد، ويوصف الله به على ما يليق به، ويوصف العباد على ما يليق بهم من ذلك(٢).

ثانياً: توحيد الطلب والقصد والذي يسميه ابن القيم بالتوحيد الإرادي الطلبي وهو دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه وأما حقوق التوحيد ومكملاته فهو الزام بطاعته وأمره ونهيه فهذا هو التوحيد الفارق بين أهل التوحيد من المسلمين وبين المشركين الذين عبدوا مع الله غيره كالوسائط والأنداد والأصنام(٣).

وتوحيد الطلب والقصد هو نفسه توحيد الألوهية ويراد به هو: الاعتقاد بأن الله تعالى هو الإله الحق والمعبود الذي لا يستحق غيره العبادة، ويعد شيخ الإسلام ابن تيميه توحيد الألوهية الفارق بين الموحدين والمشركين وعليه يقع الجزاء والثواب والعقاب، فمن يرفض العبادة أو يأتي بها ولكنها غير خالصة لله تعالى فقد وقع في الشرك(٤).

---

(١) المصدر السابق شرح العقيدة الطحاوية: ج1/ ص20.

(٢) المصدر نفسه، ج1/ ص21.

(٣) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين: ج3/ ص449.

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: ج14/ ص380.

وتوحيد الألوهية والذي يسمى أيضا توحيد العبودية لأن الفارق بين العابديـــن الله وحده وبين المشركين به ﷻ وبين المؤمنين والكافرين وبين الأبرار والفجار وأهل الجنة والنار هو عبادته وحده لا شريك له وطاعة رسوله وفعل ما أمر به رسوله أمر إيجاب أو أمر استحباب وترك ما نهى الله عنه ورسوله وموالاة أوليائه ومعاداة أعدائه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين بالقلب واليد واللسان فمن لم يشهد هذه الحقيقة الدينية الفارقة بين هؤلاء وهؤلاء ويكون مع أهل الحقيقة الدينية وإلا فهو من جنس المشركين وهو شر من اليهود والنصارى(١).

فان المشركين يقرون بالحقيقة الكونية إذ هم يقرون بأن الله رب كل شيء، قال تعالى ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [سورة العنكبوت/ الآية 61]، وقال تعالى ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ* قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ* قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [سورة المؤمنون/ الآية 84-89]، ولهذا قال سبحانه ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [سورة يوسف/ الآية 106].

(قال بعض السلف تسألهم من خلق السماوات والأرض فيقولون الله وهم مع ذلك يعبدون غيره، فمن اقر بالقضاء والقدر دون الأمر والنهي الشرعيين فهو أكفر من اليهود والنصارى فان أولئك يقرون بالملائكة والرسل الذين جاؤوا بالأمر والنهي الشرعيين لكن آمنوا ببعض وكفروا ببعض كما قال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا* أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [سورة النساء/ الآية 150-151](٢).

---

(١) انظر احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس (ت 728هـ)، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات)، دمشق 1404 هـ ط2، ج2/ ص296.

(٢) المصدر نفسه، ج2: ص296.

وأما الذي يشهد الحقيقة الكونية وتوحيد الربوبية الشامل للخليقة ويقر أن العباد كلهم تحت القضاء والقدر ويسلك هذه الحقيقة فلا يفرق بين المؤمنين والمتقين الذي أطاعوا أمر الله الذي بعث به رسله وبين من عصى الله ورسوله من الكفار والفجار فهؤلاء اكفر من اليهود والنصارى(١).

وتوحيد الإلهية والعبادة: وهو التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأنزلت الكتب وعليه الثواب والعقاب (وهو الذي لا سعادة للنفوس إلا بالقيام به علماً وعملاً وحالاً وهو أن يكون الله وحده أحب إلى العبد من كل ما سواه وأخوف عنده من كل ما سواه وأرجى له من كل ما سواه فيعبده بمعاني (الحب والخوف والرجاء) بما يحبه هو ويرضاه وهو ما شرعه على لسان رسوله لا بما يريده العبد ويهواه)(٢).

ومن مستلزمات هذا التوحيد ما يأتي:

1. إخلاص العبادة ظاهراً وباطناً لله تعالى وحده، فلا عبادة لغيره، قال تعالى ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 164].
2. إخلاص المحبة فلا يحب أحداً كحب الله تعالى، قال تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة/ الآية 165].
3. أن يتوكل على الله وحده، ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة/ الآية23].
4. الاعتقاد بأن النفع بيده تعالى فلا يخاف ولا يرجو أحداً كما يرجو الله تعالى ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [سورة يونس/ الآية 10].
5. إن الإحكام في الدنيا والآخرة لله تعالى ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة يونس/ الآية 40]، فمن يحتكم إلى غير الله أو كتابه، راغباً عن حكم الله مع علمه بذلك فقد كفر.

---

(١) المصدر السابق، دقائق التفسير ج2: ص296.

(٢) ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين ج3: ص398.

6. وأخيراً ينبغي الحذر من الشرك بكل أنواعه لئلا يُخِل بأنواع التوحيد التي ذكرناها التي قد تضاد التوحيد وتناقضه فتكون بذلك مشركاً بالله تعالى، والله تعالى يقول ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء/ الآية 48].

فالعبودية لله وتوحيده بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته يناقض الإشراك به سبحانه ويضاد ويخالفه ولذلك سماه الله تعالى بالافتراء عليه بل أنه من أعظم الافتراء عليه ﷻ.

وأما عاقبة الشرك فهي الأسوأ، قال تعالى ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [سورة المائدة/ الآية 72]. إن الخوف من الشرك يتطلب نوعاً من الحساسية في القول والعمل والنية كي لا يقع الإنسان فيه، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة لقمان/ الآية 13].

وأما التوحيد الذي عند العلماء المتأخرين فقد جعلوه ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات، وهو نفس ما تقدم من التوحيد العلمي الخبري الذي فيه توحيد الربوبية والأسماء والصفات والتوحيد الإرادي الطلبي وهو توحيد الألوهية أو توحيد العبودية الذي ركزنا عليه في هذا المطلب، **وتقسيم التوحيد على ثلاثة أقسام:**

1 - توحيد الربوبية.

2 - توحيد الألوهية.

3 - توحيد الأسماء والصفات.

- توحيد الربوبية

وهو إفراد الله تعالى بأفعاله، بان يعتقد انه وحده الخالق لجميع المخلوقات، قال تعالى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الزمر/ الآية 62]، وأنه الرازق لجميع الآدميين ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [سورة هود/ الآية 6]، وأنه مالك الملك والمدير لشؤون العالم كله، يولي ويعزل ويعز ويذل، قادر على كل شيء، يصرف الليل والنهار، ويحيي ويميت، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ

﴿تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ* تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 26–27]، وقد نفى الله أن يكون له شريك في الملك أو معين كما نفى أن يكون له شريك في الخلق والرزق، قال تعالى ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾ [سورة الملك/ الآية 21](١).

كما أعلن إنفراده بالربوبية على جميع خلقه فقال ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة/ الآية 2]، وقال ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 54].

وقد فطر الله جميع الخلق على الإقرار بربوبيته، حتى أن المشركين الذين جعلوا له شريكاً في العبادة، يقرون بتفرده بالربوبية كما قال تعالى ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [سورة المؤمنون/ الآية 86–87].

فهذا التوحيد لم تذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم، بل القلوب مفطورة على الإقرار به، أعظم من كونها المفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات، قال تعالى ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة إبراهيم/ الآية 10](٢).

وأشهر من عرفه وتجاهله وتظاهره بإنكار الرب فرعون فقد كان مستيقناً به في الباطن فقال الله عنه وعن قومه ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [سورة النمل/ الآية 14].

وأن الذين ينكرون الرب اليوم من الملحدين، إنما ينكرونه في الظاهر مكابرة، وإلا فهم في الباطن لابد من أن يعترفوا ما من موجود إلا وله موجد ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة النمل/ الآية 14]، وما من أثر إلا وله مؤثر وما من مخلوق إلا وله خالق، قال تعالى ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ

---

(١) صالح بن فوزان الفوزان، عقيدة التوحيد وما يضادها/ ص16–17.

(٢) م.ن/ ص17.

﴿شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [سورة الطور/ الآية 35]، وما يدعيه الملحدون وما يتبجحون به من إنكار لوجود الله ﷻ إنما هو من باب يتبجحون المكابرة، قال تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [سورة فاطر/ الآية 42-43].

- توحيد الألوهية

وهو الاعتقاد بأن الله وحده هو الإله المعبود الذي لا يستحق العبادة غيره.

ويقول ابن عثيمين في تعريفه توحيد الألوهية: (هو إفراد الله تعالى بالعبودية، بأن لا تكون عبداً لغير الله تعالى، لا تعبد ملكاً ولا نبياً ولا ولياً ولا شيخاً ولا أماً ولا أباً ولا زوجة ولا تعبد إلا الله وحده، فتفرد الله تعالى وحده بالتأله والتعبد فلهذا يسمى توحيد الألوهية ويسمى توحيد العبادة فباعتبار إضافته إلى الله تعالى هو توحيد الوهية، وباعتبار إضافته إلى العابد هو توحيد عبادة(١).

والعبادة مبنية على أمرين عظيمين هما المحبة والتعظيم الناتجة عنهما تحقيق قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية 90]، والفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية هو أن أفعال الرب للعبد هو توحيد ربوبية، كالخلق والرزق وغيره، وأفعال العبد للرب هو توحيد الألوهية كالدعاء والاستعانة والاستغاثة والصلاة والحج .. الخ. ولهذا كانت العبادة أوامر ونواهي، أوامر مبنية على الرغبة وطلب الوصول إلى الأمر، ونواهي منية على التعظيم والرهبة من هذا العظيم(٢).

فإذا أحببته رغبت فيما عنده، ورغبت في الوصول اليه، وطلبت الطريق الموصل إليه وعملت بطاعته على الوجه الأكمل الذي يرضي الله ﷻ.

---

(١) محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي (ت 1420هـ)، شرح العقيدة الواسطية، درا النبلاء، سنة 1424هـ، ط1/ ص8-9.

(٢) المصدر نفسه: ص9

وإذا عظمت اله حق تعظيمه وخفت منه حق خوفه، كلما هممت بمعصية استشعرت عظمة الخالق ﷻ فنفرت عن هذه المعصية، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ [سورة يوسف/ الآية 24]، فهذه من نعمة الله على عبده إذا هممت بمعصية وجدت الله أمامك فخفته وتباعدت عن هذه المعصية، والهم الذي كان عند سيدنا يوسف عليه السلام ورد في تفسير الجلالين (ولقد همت به قصدت منه الجماع وهم بها قصد ذلك لولا أن رأى برهان ربه، قال ابن عباس مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله وجوابه كذلك أريناه البرهان لنصرف عنه السوء والفحشاء والزنا) انه من عبادنا المخلصين)(١)، وقيل (أي همت زليخاء بالمعصية وكانت مصرة وهم يوسف ولم يواقع ما هم به .. وقيل هم بها أي تمنى زوجيتها وقيل هم بها أي يضربها ودفعها عن نفسه والبرهان كفه عن الضرب إذ لو ضربها لأوهم انه قصدها بالحرام فامتنعت فضربها وقيل إن هم يوسف كان معصية وانه جلس منها مجلس الرجل عن امرأته والى هذا القول ذهب معظم المفسرين)(٢).

فألوهية ما سوى الله تعالى ألوهية باطلة، قال تعالى ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [سورة النجم/ الآية 23]، فهي وإنْ عبد وتأله إليها من ضل، فإنها ليست أهلاً لأن تعبد فهي آلهة معبودة لكنها آلهة باطلة، قال تعالى﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ﴾ [سورة لقمان/ الآية 30]، وهذان النوعان من أنواع التوحيد لا يجحدهما ولا ينكرهما أحد من أهل القبلة المنتسبين إلى الإسلام، لأن الله تعالى موحد بالربوبية والألوهية (لكن حصل فيما بعد أن من الناس من أدعى ألوهية البشر، كغلاة الرافضة (*) مثلاً، الذين يقولون: إن علياً اله كما صنع زعيمهم عبد الله بن سبأ، إذ جاء إلى علي بن

(١) جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، تفسير الجلالين/ ص306.

(٢) القرطبي، تفسير القرطبي، ج9/ ص166.

(*) هذا اللفظ أول ما ظهر في الإسلام لما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما فرفضه قوم فقال: رفضتموني رفضتموني، فسموا الرافضة (مجموع الفتاوى ج13: ص35-36).

أبي طالب ﷺ وقال: أنت الله حقاً! لكن عبد الله بن سبأ أصله يهودي دخل في الإسلام بدعوى التشيع لآل البيت، ليفسد على أهل الإسلام دينهم .. فعزرهم علي بن أبي طالب ﷺ ابشع تعزير حيث احرق السبئية بالنار لأنهم ادعوا فيه الألوهية)(١). يجب علينا مما سبق ذكره القول بوجوب توحيد الله تعالى بربوبيته وألوهيته، وطاعته واتباع أوامره فيما يحب ويرضى وهي الغاية التي يجب أن ينالها وينشرها كل مؤمن يؤمن بالله ويخشاه ويتقيه ولا يرضى إلا ما يرضي ربه ولا يحب إلا لله وهذه حقيقة العبودية.

– توحيد الأسماء والصفات

وهو أن نوحد الله ﷻ بأسمائه وصفاته ومعنى هذا أن نثبت لله ﷻ ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل(٢) فأهل السنة والجماعة يثبتون ما أثبته الله سبحانه في كتابه أو سنة رسوله ﷺ، قال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة المائدة/ الآية 92]، وكما جاء في الحديث عن مالك بن انس ﷺ أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: ***((تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه))***(٣). انقسم الناس في إثبات الأسماء والصفات على ثلاثة أقسام وهم أما ممثل أو معطل أو معتدل والمعطل إما مكذب أو محرف(٤).

وأول بدعة خرجت هي بدعة (الخوارج *)(٥) لأن جدهم (ذو الخويصرة) (٦) خرج على النبي ﷺ حين قسم الغنائم فقال له هذا الرجل: اعدل يا محمد! اعدل! فكان هذا أول خروج خرج به عن الشريعة الإسلامية ثم عظمت هذه الفتنة في أواخر خلافة

---

(١) الشيخ محمد بن صالح العثيمين، شرح العقيدة الواسطة/ ص10.

(٢) محمد بن عبد الحليم بن تيمية أبو العباس الحراني (ت 728ه) ، شرح العقيدة الأصفهانية، الرياض 1415، ط1/ ص25.

(٣) مالك بن انس أبو عبد الله الاصبحي (ت 179ه)، موطأ مالك، درا إحياء التراث العربي، مصر، كتاب الجامع، باب النهي عن القول بالقدر، حديث رقم (1395).

(٤) العثيمين، شرح العقيدة الواسطية/ ص11.

* الخوارج: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج أيام الصحابة على الأئمة الراشدين.

(٥) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني أبو الفتح (ت 548ه)، الملل والنحل، مصر ج 1/ص (129،65،99).

(٦) رواه البخاري، كتاب المناقب حديث رقم (3414).

عثمان ﷺ والفتنة بين علي ومعاوية (رضي الله عنهما) فكفّروا المسلمين واستحلوا دماءهم وأموالهم.

وبعدها انقسم الناس على فرق مثل (القدرية* والمرجئة* والمعتزلة*)[١] وهذه الفرق ظهرت على الاختلافات في مسائل الطاعة والمعصية، والمؤمن والفاسق حتى بدؤوا يشبهون الله بخلقه ويعطلون أسماء الله تعالى وصفاته ويصفون الله على غير الحقيقة والصفة التي أثبتها الله تعالى في كتابه وأثبتها له رسوله ﷺ، ومن ثم حدثت (بدعة الجهمية* والمعتزلة) فانقسموا في أسماء الله وصفاته عدة أقسام، وهي فيما يأتي:[٢]

1. قسم قالوا لا يجوز أبداً أن نصف الله لا بوجود ولا بعدم، لأنه إن وصف بالوجود أشبه الموجودات، وإن وصف بالعدم أشبه المعدومات، وعليه نفي الوجود والعدم عنه، وما ذهبوا إليه فهو تشبيه للخالق بالممتنعات والمستحيلات لأن تقابل العدم والوجود تقابل نقيضين، والنقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان وكل عقول بني آدم تنكر هذا الشيء ولا تقبله، فانظر كيف فروا من شيء فوقعوا في أشرَّ منه.
2. وقسم آخر قالوا: نصفه بالنفي ولا نصفه بالإثبات، يعني: أنهم يجوزون أن تسلب عن الله ﷻ الصفات، لكن لا تثبت، يعني لا نقول: هو حي، وإنما نقول ليس بميت! ولا نقول عليم، بل نقول ليس بجاهل .. وهكذا. قالوا لو أثبت له شيئاً شبهته بالموجودات، لأنه على زعمهم كل الأشياء الموجودة متشابهة، فأنت لا تثبت له شيئاً، وأما النفي فهو عدم، مع أن الموجود في الكتاب والسنة من صفات الله من الإثبات أكثر من النفي بكثير، قيل لهم إن الله قال عن نفسه: سميع بصير!.

قالوا هذا من باب الإضافات، بمعنى أنه نسب إليه السمع، لا لأنه متصف به، ولكن لأنه له مخلوق يسمع، فهو من باب الإضافات ف (سميع)، يعني ليس له سمع، لكـــن له مسموع.

---

* القدرية: يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله تعالى.
* المرجئة: وهم الذين يؤخرون العمل عن الإيمان ولا يدخلونه في مسماه.
* المعتزلة: الذين يسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية العدلية، واعتزلوا مجلس الحسن البصري.

(١) محمد بن صالح العثيمين، شرح العقيدة الواسطية/ ص13.

* الجهمية: أصحاب الجهم بن صفوان الذين وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد بأنهم لا يوصف الله بصفة يوصف بها خلقه..

(٢) محمد الشهرستاني، الملل والنحل، كل هذه من الصفحات/ (99-106).

وجاءت طائفة ثانية قالوا هذه الأوصاف لمخلوقاته، وليست له أما هو فيثبت له صفة.

3. وقسم ثالث قالوا: يثبت له الأسماء دون الصفات، وهؤلاء هم المعتزلة، اثبتوا أسماء الله وقالوا: إن الله سميع بصير قدير عليم حكيم .. لكن قدير بلا قدرة، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، عليم بلا علم، حكيم بلا حكمة.

4. وقسم رابع قالوا: نثبت له الأسماء حقيقة، ونثبت له صفات معينة دل عليها العقـل، وتنكر الباقي، نثبت له سبع صفات فقط والباقي تنكره تحريفاً لا تكذيباً، لأنهم لو أنكروه تكذيباً كُفِروا، لكن ينكرونه تحريفاً وهو ما يدعون أنه (تأويل)(١).

من المعلوم أن الله تعالى ليس كمثله شيء في أسمائه وصفاته وذاته، لذا ينبغي أن نثبت لله تعالى ما أثبته لنفسه وما أثبته له رسوله ﷺ. ولأن هذا الميدان أساس النص الصحيح، لذا ينبغي التوقف عند حدود النص، وعدم تجاوزه عن طريق التأويل أو التشبيه أو التمثيل، وكذلك التعطيل(٢)، فكل هذا لا يملكه الإنسان وعليه أن يعرف حدوده فلا يتجاوزها، فإذا قال الله تعالى ﴿الرَّحْمَانُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة طه/ الآية 5]، نقول كما قال الإمام مالك عنها: الاستواء معلوم، والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

فهذا تلخيص جيد، فالاستواء معروف لغة، لكن استواء الرحمن لا ندركه، لأننا لا نعرف ذات الله ولا صفاته إلا ما بينها لنا الرسول الكريم فكيف يمكن تصور ذلك. فمثلا حين يقول الله تعالى ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [سورة ص/ الآية 75]، وكما في الحديث عن أنس قال، قال رسول الله ﷺ: ((***... إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء***))(٣).

فكيف يمكننا أن نتصور اليد والأصابع وليس بمقدورنا أن نتصورها، لأننا نجهل الذات قبل الصفات.

هنا سنواجه مشكلة هل سنقوم بتأويل الصفات أو تعطيلها؟ إذاً لا هذا ولا ذاك إذ ليس ذلك من حقنا، لأننا إذا فعلنا ذلك أما نشبه الله بخلقه أو نمثله وهذا محال على الله

---

(١) محمد بن صالح العثيمين: شرح العقيدة الواسطية/ ص13.

(٢) نعمان عبد الرزاق السامرائي، الإسلام/ ص37.

(٣) رواه الترمذي، سنن الترمذي كتاب القدر عن رسول الله، باب ما جاء إن القلوب بين إصبعي الرحمن، حديث رقم (2206).

تعالى أو نحرف صفات الله تعالى أو نعطلها وكل هذا يخل في توحيدنا لله تعالى، لأننا بذلك ساوينا بين الخالق والمخلوق والله تعالى يقول ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [سورة الشورى/ الآية 11]. ولا فرق بين هذين التقسيمين في المضمون إلا في التفريعات فالمتقدمون قسموه على قسمين كما ذكرنا وهما:

1) التوحيد الإرادي الطلبي: هو توحيد الألوهية عند المتأخرين.
2) التوحيد العلمي الخبري: هو توحيد الربوبية + توحيد الأسماء والصفات عند المتأخرين.

وأما المتأخرون فقسموه على ثلاثة أقسام:

1 -توحيد الربوبية.
2 -توحيد الألوهية.
3 -توحيد الأسماء والصفات.

وفيما تقدم هو بيان للشرط الأول للتوحيد الذي هو الفرض الأعظم والواجب الأول الذي فرضه الله على عباده وبعث من أجله الرسل وأنزل الكتب وخلق الخلق لأجله.

المطلب الثاني .. طاعة الرسول الكريمﷺ

مفهوم الطاعة في اللغة

الطاعة في اللغة العربية مصدر مأخوذ من الفعل طوع. وطاع يطيع: لغة في طوع.

والطوع: الانقياد ويضاده العصيان.

فيقال: طاعه يطوعه، وطاع له، وطاعه، وأطاعه، وأطاع له طوعاً وطاعةً وإطاعةً.

ومن خلال ما سبق ان جذور كل هذه المصادر هو الفعل طوع(١).

وقد نفرق بين هذه الصيغ المختلفة للأفعال.

فطاع له: إذا انقاد.

وإذا مضى لأمره فقد طاوعه.

فإذا وافقه فقد أطاعه.

---

(١) الجوهري، الصحاح ج3/ ص1255؛ الفيروز أبادي، القاموس المحيط/ ص744.

وطوعت له نفسه: أي انقادت وسهلت عليه فعل كذا، والاستطاعة القدرة على شيء[١].

ويقال: جاء فلان طائعاً غير مكره والجمع طوع.

وفلان حسن الطواعية أي حسن الطاعة لك.

ورجل طيع أي طائع: والمطاع كثير الطاعة.

وفلان طوع يديك: أي منقاد لك.

ويقال فرس طوع العنان إذا كان سلساً[٢].

وقد وردت صيغ الطاعة في التنزيل على معانٍ:

فقدت وردت بمعنى (الانقياد)، قال تعالى ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [سورة آل عمران/ الآية 83].

ووردت بمعنى (تبرع)، قال تعالى ﴿الذين يلمزون المطوعين﴾ [سورة التوبة/ الآية 79]، أي المتبرعين وأصله المتطوعون إذ يقال في المتطوع للجهاد مطوع بشد الطاء والواو وإدغام التاء والطاء، وهو الذي يفعل الشيء تبرعاً من نفسه وهو تفعل من الطاعة[٣].

وتأتي بمعنى الإطاقة كقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [سورة آل عمران/ الآية 97].

فالاستطاعة: الإطاقة، واستطاع: استفعل من الطاعة[٤]، إلا أن الإطاقة عامة في الإنسان وغيره، والاستطاعة خاصة بالإنسان فلا تقل في استطاعة الجمل عمل كذا ولكن يقال في إطاقته[٥].

وتأتي بمعنى اتبع كما في قوله تعالى ﴿. . . وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾ [سورة الأحزاب/ الآية 67]. وقد وردت صيغ الطاعة في الحديث النبوي

---

(١) معجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، ط 2 1390هـ – 1970م، ج2/ ص149، وينظر مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت 604هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر احمد الراوي ومحمود الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت، ج3/ ص142.

(٢) الجوهري، الصحاح ج3/ ص1255–1256، ابن منظور، لسان العرب ج2/ ص625.

(٣) ينظر الزمخشري، تفسير الكشاف، ج2/ ص84.

(٤) ينظر ابن منظور، لسان العرب، ج2/ ص625، الراغب الأصفهاني، المفردات/ ص310.

(٥) معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج2/ ص149.

بهذا المعنى: ففي قوله ﷺ: ((***شح مطاع وهوى متبع***))(١)، والمعنى أن يطيعه صاحبه في منع الحقوق التي أوجبها الله تعالى عليه من ماله.

وقوله ﷺ أيضاً ((***لا طاعة في معصية الله***))(٢) فهو نهي عن طاعة من يأمر بما فيه معصية، كالقتل ولو كانوا أولي الأمر(٣).

ويتبين لنا مما سبق ذكره أن الجذر اللغوي للكلمة يحتمل أكثر من معنى وعلى هذا فإن الأمر بالطاعة على قول من أجاز حمل المشترك اللفظي على كل معانيه إذا أطلق دون قرينة صارفة يعني أن انقاد لله وأذعن له.

ومما يدل على طاعة الله أيضاً هو طاعة الرسول وطاعة الأمراء قال رسول الله ﷺ: ((***من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني***))(٤).

وهذا يبين أن طاعة الرسول من طاعة الله تعالى، قال تعالى في هذا المعنى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [سورة النساء/ الآية 80].

وأما في حق أولي الأمر قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة النساء/ الآية 59].

وهذه الآية تبين أن المؤمنين الصادقين والمحققين لصفة الإيمان أو الذين تحققت فيهم صفة الإيمان هم الذين أطاعوا الله ورسوله وأمراءهم الذين حكموا شرع الله فيهم وعند التنازع والافتراق والاختلاف احتكموا إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ.

---

(١) رواه الطبراني (أبو القاسم سليمان بن احمد الطبراني (ت 360هـ), المعجم الأوسط، ج 5/ ص328 حديث رقم (5452)، علي بن أبي بكر الهيثمي (ت 807ه) في كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الريان للتراث، مدينة النشر، القاهرة، بيروت 1407هـ، ج4/ ص239، فيه كثير بن عبد الله المزني وهو ضعيف وبقية رجاله ثقاة.

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري رقم (6830) بلفظ (لا طاعة في المعصية)، ومسلم في صحيحه واللفظ له، كتاب الإمارة، وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها حديث رقم (3424).

(٣) ينظر ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج2/ ص142.

(٤) رواه البخاري,صحيح البخاري,كتاب الأحكام,باب قول الله تعالى(وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم),حديث رقم(6604).

طاعة الرسول ﷺ

عند تتبع آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة يتبين وجوب وفرضية طاعة الله ورسوله قال تعالى ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 132]، وقال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (سورة المائدة/ الآية 92)، وطاعة رسول الله ﷺ تأتي من محبة الله تعالى، قال تعالى﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 31]، أي أن العباد يتبين حبهم لله تعالى بإتباعهم للرسول محمد ﷺ واتباع سنته ونهجه.

(فمن كان محبا لله لزم أن يتبع الرسول ﷺ فيصدقه فيما أخبر، ويطيعه فيما أمر، ويتأسى به فيما فعل، ومن فعل هذا فقد فعل ما يحبه الله فيحبه الله) وقد جعل لأهل محبته علامتين:

1- إتباع الرسول ﷺ.

2- الجهاد في سبيل الله.

ولأن الجهاد هو حقيقة الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة التوبة/ الآية 24]، فتوعد الله من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد في سبيله بهذا الوعيد [١] بل قد ثبت في الحديث عن انس قال: قال النبي ﷺ: ((***والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين***))[٢] فحقيقة محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ تكون

---

(١) عمر بن علي بن احمد الواد آشي الأندلسي (ت 804هـ)، تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج، دار حواء، مكة المكرمة 1406هـ، ط1، ج2/ ص42.

(٢) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان حديث رقم (14).

بطاعتهما واتباع نهجهما ولا يتم ذلك إلا باتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والرضى بحكم الله ورسوله والتحاكم إليهما.

(ونجد أن للعبادة-كما شرحها ابن تيمية-أفقا رحبة ودائرة واسعة فهي تشمل الفرائض والأركان الشعائرية من الصلاة والصيام والزكاة والحج، وهي تشمل ما زاد على الفرائض من ألوان التعبد التطوعي من ذكر وتلاوة ودعاء واستغفار وتسبيح وتهليل وتحميد، وهي تشمل حسن المعاملة والوفاء بحقوق العباد، كبر الوالدين وصلة الأرحام، والإحسان لليتيم والمسكين وابن السبيل، والرحمة بالضعفاء والرفق بالحيوان، وهي تشمل الأخلاق والفضائل الإنسانية كلها من صدق الحديث وأداء الأمانة كما تشمل بما نسميه الأخلاق الربانية من حب الله ورسوله ﷺ هي الأساس في كلامنا هنا- وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه، والشكر لنعمه والرضا بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه)(١).

وأخيرا تشمل العبادة التي هي المقصود هنا الطاعة الفرضيتين الكبيرتين العظيمتين اللَّتيَّن هما سياج ذلك وملاكه وهما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين في سبيل الله.

(ولا ريب أنه يجب على كل أحد أن يؤمن بما جاء به الرسول إيمانا عاما مجملا، ولا ريب أن معرفة ما جاء به الرسول على التفصيل فرض على الكفاية، فإن ذلك داخل في تبليغ ما بعث الله به رسوله وداخل في تدبر القرآن عقله وفهمه، وعلم الكتاب والحكمة وحفظ الذكر والدعاء إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعاء إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن) (٢) وكل ما جاء به الرسول ﷺ أن فيه كل حق وهو كاف وكامل لما شرَّعه لعباده إلى يوم القيامة، قال تعالى﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة آل عمران/

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج10/ ص149-150، والفتاوى الكبرى ج2/ ص361.

(٢) ابن أبي العز الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية ج1/ ص7-8.

الآية 31]، و(تولوا) يحتمل أن يكون من تمام القول فيكون مضارعا فيه إحدى التاءين أي تتولوا ويحتمل أن يكون من كلام الله ﷻ فيكون ماضيا[١].

و(يحب): محبة الله للعباد وإرادة الخير بهم ورضاه عنهم وغفران ذنوبهم ومحبة العباد لربهم ولرسوله وطاعتهم لهما وامتثال أوامرهما واجتناب نواهيهما[٢].

والمحبة من العبد ميل النفس إلى الشيء الكمال أدركته فيه بحيث يحملها على من يقربها إليه، والعبد إذا علم أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله، وان كل ما يراه كمالا من نفسه أو غيره فهو من الله وبالله وإلى الله لم يكن حبه إلا لله في الله وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه فعلامة المحبة إرادة الطاعة والعبادة والاجتهاد البليغ في إتباع من كان وسيلة له إلى معرفة الله ﷻ ومحبته ممن كان عارفا محبا إياه محبوبا له فإن من هذه صفاته إنما نال هذه الصفات بالطاعة على الوجه المخصوص وهو رسول الله ﷺ ونفي المحبة نفي للرضا ودلالة على الكفر لأن التولي هو الكفر وانه بهذه الحيثية ينفي محبة الله ﷻ وأن محبته مخصوصة بالمؤمنين[٣].

ومن خلال ما تقدم يتبين لنا ما يأتي:

أ- وجوب الاستجابة لخطاب الله ﷻ إذ الأمر (وهو القول المقتضي طاعة المأمور بفعل المأمور به والنهي هو القول المقتضي ترك العمل [٤] وسواء أكانت بمعنى القول وبصيغة (إفعل) فإن الجمهور ذهب إلى القول بأنها حقيقة في الوجوب[٥].

---

(١) محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت 1250هـ) بصنعاء، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن حزم، الطبعة لأولى 1421هـ - 2000م/ ص280.

(٢) الشيخ احمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت 756ه), عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ (معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان ط 1، 1417هــ-1996م/ ج1/ ص411.

(٣) المولى محسن الملقب بـــ (الفيض الكاشاني) (ت 91ه) ينظر تفسير الصافي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، ج1/ ص327-328.

(٤) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت 505ه) المستصفى من علم الأصول، دار العلوم الحديثة بيروت-لبنان/ ج1/ ص411.

(٥) محمد بن علي الشوكاني (ت 1250ه), إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول منشورات محمد علي بيضون درا الكتب العلمية، بيروت-لبنان، الطبعة الأولى/ 1419هـ-1999م، ج1/ ص329.

ب- وجوب طاعة الرسول الكريم ﷺ الذي قرن الله ﷻ طاعته بطاعته حين قال تعالى ﴿قل أطيعوا الله والرسول﴾ وقوله سبحانه ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [سورة الحشر/ الآية 7]، وحيث لا توجد هنا تفرقة بين الله ورسوله في أمور التشريع فالرسول ﷺ في تبليغه إنما يبلغ عن الله فأمره أمر الله ونهيه نهي الله وطاعته طاعة الله وقد دلت على ذلك آية المبحث لاشتمالها على إثبات كونه رسولا وإستلزامها أنه يأمر وينهى وأن ذلك تبليغ لمراد الله(١) وتأكيد على ذلك فقد جاء القرآن الكريم يرد بعنف وبقوة حينما تساهل المنافقون بإطاعة النبي ﷺ ولقن النبي ﷺ بما يرد زعمهم فقال ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [سورة النور/ الآية 54]، وقد أجمعت الأمة(٢) وقال ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [سورة النجم/ الآية 3-4]، وقال ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [سورة الحشر/ الآية 7]، وقوله ﷻ ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [سورة الأحزاب/ الآية 21].

---

(١) بنظر ابن عاشور، تفسير الحرير والتنوير، ج5/ ص135.

(٢) اتفق المسلمون قديما وحديثا إلا من شذ من الطوائف المنحرفة على أن سنة رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم التي لا غنى لكل مشرع عن الرجوع إليها في معرفة الحلال والحرام لأنها إما أن تكون مفسرة ومفصلة لحكم جاء في القرآن الكريم مجملاً أو مقيدة لما جاء فيه ومطلقاً أو مخصصة لما جاء فيه عاماً فيكون هذا التفصيل أو التفسير أو التخصيص الذي وردت به السنة بيانا للمراد من الحكم الذي جاء به القرآن ومن لوازم التبليغ البيان، فالرسول مبلغ القرآن ومبين لما جاء فيه، وقد منحه الله حق البيان بقوله﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ (سورة النحل/ الآية44) والسنة قد تكون مثبتة لحكم لم يرد في القرآن فيكون هذا الحكم ثابتاً بها ولا يدل عليه نص في القرآن مثل تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها أو أكل كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير وتحريم لبس الحرير والذهب للرجال وغير ذلك فهذا النوع مكمل لأحكام القرآن وأختلف العلماء في هذا النوع فبعضهم يرى عدم استقلال السنة بالتشريع فكل ما جاء فيها يرجع بصورة أو بأخرى إلى حكم كلي ورد في القرآن وبعضهم يرى استقلالها بالتشريع كما في الأمثلة المتقدمة وخلافهم لفظي لأن القائل بعدم الاستقلال يحاول إدخال ما جاء فيها من دائرة من دوائر الأحكام الكلية في القرآن الكريم بنوع من التكلف والقائل بالاستقلال يرى أن لا داعي لذلك التكلف، ينظر تنقيح الفصول لشهاب الدين القافي الطبعة المنيرية 1306هـ/ ص136، والموافقات للإمام الشاطبي طبعة صبيح التجارية الكبرى، ج4/ ص27، والسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباعي، الدار القومية للطباعة/ ص346، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية للدكتور يوسف حامد العالم، الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي/ الطبعة الثانية 1415هـ-1994م/ ص60.

يقول ابن القيم وهو يشير إلى قوله ﷻ ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ [سورة النور/ الآية 62]، فقال (فإذا جعل من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهبا إذا كانوا معه إلا باستئذانه فأولى أن يكون من لوازمه أن لا يذهبوا إلى قول أو مذهب إلا بعد استئذانه وأذنه يعرف بدلالة ما جاء به على أنه إذن فيه)[١].

ويتضح لنا مما سبق ذكره أن مسألة الطاعة تشكل حقيقة الإيمان وحقيقة الدين [٢] لأن طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ يدخل بهما الإيمان والتوحيد، وما هو من فروع ذلك من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة بل يدخل في طاعة الله ورسوله ﷺ اجتناب ما نهى عنه لأن اجتنابه يكون امتثال لأمر الله وهو من طاعته والإعراض عن اجتناب ما نهى عنه لأن اجتنابه امتثالا لأمر الله هو من طاعته، والإعراض عن طاعة الله ورسوله كفر ولن تكون نتيجة إلا البغض والمقت منه ﷻ[٣].

(ومن تأمل في السير والأخبار الثابتة في شهادة كثير من أهل الكتاب والمشركين له ﷺ بالرسالة وأنه صادق فلم تدخلهم هذه الشهادة في الإسلام ... علم أن الإسلام أمر وراء ذلك وأنه ليس مجرد المعرفة فقط ولا المعرفة والإقرار فقط بل المعرفة والإقرار والانقياد والتزام طاعته ودينه ظاهرا وباطنا)[٤] ولكي يتجسد المعنى واضحا نطالع الآيات التي أمرت بطاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ يقول الله ﷻ ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ [سورة المائدة/ الآية92]، وهذه الآية هي عطف على الآية التي قبلها فهل انتم منتهون [سورة المائدة/ الآية91]، فبعد أن أمر الله ﷻ باجتناب الخمر وما بعدها عقب بالأمر بالطاعة له فيه وفي غيره لأن الطاعة هي امتثال الأمر والانتهاء عن المنهي عنه ولذلك يصح أن تكون الطاعة طاعة الاثنين بأن يوافق أمرهما

---

(١) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن القيم الجوزية (ت 751ه) أعلام الموقعين المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ج1/ص51-52.

(٢) الطبري، ينظر تفسير الطبري ج3/ ص316.

(٣) السعدي، ينظر تيسير الكريم الرحمن/ ص128.

(٤) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت 751ه) زاد المعاد في هدي خير العباد، الطبعة الرابعة عشر 1410هـ-1990م مكتبة المنار الإسلامية بيروت، ج3/ ص639.

وإرادتهما وكرر (وأطيعوا) اهتماما بالأمر [١]. وحينما تقرأ في أول سورة الأنفال ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال/ الآية 1]، يتبين أنه أمر بالتقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله والرسول بالتسليم لأمرهما والإيمان تفسير للشرط المقدر وجواب الشرط الثاني محذوف دل عليه ما قبله أي إن كنتم مؤمنين اتقوا الله وأصلحوا وأطيعوا [٢]، وفيه من التهييج والإثارة ما لا يخفى مع كونهم في تلك الحال على الإيمان فكأنه قال إن كنتم مستمرين على الإيمان بالله لأن هذه الثلاثة أمور لا يكمل الإيمان بدونها بل لا يثبت أصلا لمن لم يتمثلها فإن من ليس بمتق وليس بمطيع لله ورسوله ليس بمؤمن[٣].

وفي الآية العشرين في السورة نفسها رجوع إلى الأمر بالطاعة إذ يقول سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [سورة الأنفال/ الآية 20]، فإنه سبحانه لما أبتدأ فأمرهم بطاعة الله ورسوله بقوله ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال/ الآية 1]، (سياق ترجيح ما أمرهم به الرسول ﷺ على ما تهواه أنفسهم مما رشحهم في أن ينتصروا في بدر على الذين شاقوا الله ورسوله والمشاقة ضد الطاعة تحريضا للمسلمين بوجوب التبرؤ مما فيه شائبة عصيان الرسول ﷺ وإفراد الضمير المجرور بــ(عن) لأنه راجع إلى الرسول وقد علم أن النهي عن التولي عن الرسول ﷺ نهي عن الإعراض عن أمر الله لقوله ﷻ ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [سورة النساء/ الآية 80])[٤].

---

(١) الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن ج3/ ص314-315.

(٢) محمواد صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة طبعة مزيدة، بإشراف اللجنة بدار الرشيد، دار الرشيد دمشق، بيروت ط4، 1418هـ -1998م، ج9/ص168.

(٣) الشوكاني، فتح القدير/ ص645.

(٤) أبو القاسم محمد بن احمد الجزي الكلبي (ت 741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1415هـ - 1995م، ج1/ 342.

ثم أن القرآن الكريم أعاد مضمون الأمر بالطاعة لله ﷻ ولرسوله ﷺ حين قال ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [سورة الأنفال/ الآية 24]، أي يحيكم لطاعته[١].

والاستجابة هي (طاعة الأمر وإنما خرجت عن هذا اللفظ لأنها في مقابلة الدعاء إليها فصارت إجابة لها)[٢] وقيد (لما يحييكم) قيد كاشف فإن الرسول ﷺ لا يدعوهم إلا وفي حضورهم لديه حياة لهم فالآية تقتضي الأمر بالامتثال لما يدعو إليه الرسول ﷺ سواء دعا حقيقة بطلب القدوم أم طلب عملا من الأعمال ويكشف هذا المعنى في قيد (لما يحييكم)[٣] وذلك لما رواه البخاري عن أبي سعيد ابن المعلى ﷺ قال: كنت أصلي فَمَرَ بي رسول الله ﷺ فدعاني فلم أته حتى صليت ثم أتيته فقال ما منعك من أن تأتي ألم يقل الله ﷻ ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾[٤] فوقفه على قوله (إذا دعاكم) يدل على أن (لما يحييكم) قيد كاشف[٥].

يقول ابن القيم في تفسيره: (إن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله ولرسوله ﷺ فمن لم تحصل له هذه الاستجابة فلا حياة له وإن كانت له حياة بيعة مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات، فالحياة الحقيقية الطيبة هي حياة من استجاب لله ورسوله ظاهرا وباطنا فهؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم هم الأموات وإن كانوا أحياء الأبدان، ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول ﷺ فإن كل ما دعا إليه فيه

---

(١) ينظر المصدر السابق،التسهيل لعلوم التنزيل: ج1/ ص342.

(٢) أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري (ت 450ه) النكت والعيون تفسير الماوردي، مراجعة وتعليق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ج2/ ص93.

(٣) أسيد عبد السلام داود الكبيسي، رسالة ماجستير بعنوان (آيات الطاعة في القرآن الكريم دراسة وتحليل) في جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية/ ص93.

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، ج6: ص77.

(٥) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن القيم الجوزية (ت 751ه)، التفسير القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية/ ص288.

الحياة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما استجاب للرسول)[١].

آثار طاعة الله ورسوله في الحياة الدنيا وفي الآخرة:

لقد وردت آيات عدة تبين لنا وتظهر أثر طاعة الله ورسوله في الحياة الدنيا، وبينتُ أن من آثارها الفوز كما جاء في قوله تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [سورة النور/ الآية 52]، وقوله تعالى ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب/ الآية 71].

وذلك لأن الفائز هو من نجا من تهلكة كادت أن تلم به ولقي ما يغتبط به أي يتباعد عن المكروه ولقي ما يحبه، والفوز المبين هو النجاة والتقصي من الشيء [٢] قال الراغب الأصفهاني: الفوز هو الظفر بالخير مع حصول السلامة[٣].

والفوز أثر من آثار الطاعة في الحياة الدنيا لأن سديد القول هو من شعب التقوى كما هو من شعب الإيمان، والقول السديد باب عظيم من أبواب الخير فيه تشيع الفضائل والحقائق بين الناس لأنه وسيلة من وسائل الإصلاح ولذلك ترتب عليه صلاح الأعمال وغفران الذنوب وهذه كلها مما أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ ستثمر فوزا عظيما في الدنيا وكذلك في الآخرة[٤].

فيما يصل للمؤمنين من النعيم فهو الفوز الكبير وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 185]، وقوله ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ [سورة النبأ/ الآية 31-34]، تفسير لذلك الفوز مكان الفوز[٥].

ومن خلال ما سبق نعلم بأن الآيات الكريمة جمعت أسباب الفوز في الدنيا والآخرة وكل ذلك أثر من آثار طاعة الله ﷻ ورسوله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

---

(١) المصدر السابق ,التفسير القيم/ ص288.

(٢) ابن السمين الحلبي، عمدة الحفاظ/ ج3: ص255.

(٣) المفردات/ ص390.

(٤) ينظر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير/ ج22/ ص122-123.

(٥) ابن السمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ج3/ ص255.

كذلك بين القرآن الكريم أن من آثار طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ هي الرحمة، ويكاد يكون هذا الأثر هو الأشمل والأعم من كل الآثار ولذلك سنركز عليه من خلال آيات الله ﷻ:

يقول تعالى﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 132]، في هذه الآية والآيات التي قبلها دلالة واضحة من دلالة حذف المتعلق الذي هو مشعر بالتعميم في كل أمر ونهي، فبعد أن ذكر الله الوعيد من خلال النواهي التي حث على تركها اتبعه بالوعد (وأطيعوا الله والرسول) بفعل الأوامر امتثالا واجتناب النواهي راجين الرحمة من الله تعالى ﷻ(١).

ولعل الحكمة–والله أعلم– في إدخال هذه الآيات النهي عن الربا واتقاء النار وإطاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ في أثناء قصة معركة أحد أن الله ﷻ وعد عباده المؤمنين أنهم إذا صبروا اتقوا نصرهم على أعدائهم وخذل الأعداء عنهم كما في قوله ﷻ ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 120]، وقوله ﴿ بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 125]، فكأن النفوس اشتاقت إلى معرفة خصال التقوى التي يحصل بها النصر والفلاح والصلاح فذكر الله سبحانه في هذه الآيات أهم خصال التقوى التي إذا قام العبد بها، فقيامه بغيرها من باب أولى(٢).

وأن رحمة الله الواسعة التي ذكرها في كتابه فإنه لن ينالها مشرك ولا جاحد وإنما ينالها من يؤمن بمحمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة السلام ويتبعه ويسير على نهجه وخطاه، قال تعالى ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 156–157]، فدين محمد ﷺ يتسع لكل الناس فإذا ما رفض من غلب عليه هواه أن يدخل دين محمد ﷺ فقد حرم من الرحمة وكما في الحديث عن أبي

(١) الشوكاني، فتح القدير/ ص315.
(٢) السعدي، تيسر الكريم الرحمن:/ ص148.

هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال (***كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا يا رسول الله ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى***)[1] وكما في حديث جابر بن عبد الله يقول جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم أن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا إن لصاحبكم هذا مثلا فأضربوا له مثلا فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا فالدار الجنة والداعي محمد ﷺ فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله ومحمداً ﷺ[2] لأن محمدا ﷺ رسول صاحب المأدبة فمن أجابه ودخل في دعوته أكل من المأدبة وهو كناية عن دخول الجنة[3]، وكل ذلك بطاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ فالرحمة في الأثر الشامل والكبير لطاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ ولقد وصف الله ﷻ رسوله محمدا ﷺ أعظم الوصف بقوله ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية 107]، ففيها مدح الرسول ﷺ ومدح مرسله تعالى ومدح رسالته بأن كانت مظهر رحمة الله ﷻ للناس كافة.

آثار طاعة الله ورسوله في الحياة الآخرة:

وردت عدة آيات تبين أثر طاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ في الدار الآخرة وسأقف عند آية واحدة لأنها تمثل أثرا واحدا تقف عنده كل الآثار.

قال تعالى ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء/ الآية 69]، إن سبب نزول هذه الآية كما جاء في الحديث الذي روته سيدتنا عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي وإنك لأحب إلي من ولدي

---

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الإقتداء بسنن رسول الله حديث رقم (6737).

(٢) رواه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله حديث رقم (6738).

(٣) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ج15/ ص182.

وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتي فأنظر إليك وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت رفعت مع النبيين وإني إذا دخلت الجنة خشيت أني لا أراك، فلم يرد عليه النبي ﷺ شيئا حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿ومن يطع الله ورسوله ﴾[١].

وإن منزلة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من أعلى المنازل في الجنة وأنهم من خيار الناس ومن الذين يحصلون على أعالي الدرجات والمنازل العليا في الآخرة ولذلك عقبهم الله بقوله ﴿وحسن أولئك رفيقا﴾.

إن من يتصف بتمام الطاعة أي أن لا يعصي الله وإنما يطيعه في أوامره ﷻ ويقف عند زواجره مستحضراً عظمة الله ﷻ طاعة هي على سبيل التجدد والاستمرار وأن يطيع رسوله محمدا ﷺ في كل ما أراده فإن منصب الرسالة يقتضي ذلك فهؤلاء الموصوفون بهذه المرتبة العظيمة الشرف مع أولئك الأخيار من الأنبياء والذين صدقوا الأنبياء والذين جاهدوا مع الأنبياء وقاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا، والذين لزمتهم الاستقامة وهم الصالحون وما أحسن أولئك وهم يخلدون في الجنة وفي أحسن المنازل، اللهم احشرنا جميعا معهم يا رب يا رحيم ويا كريم[٢].

(وكل من طلب أن يحكم في شيء من أمر الدين غير ما جاء به الرسول ﷺ ويظن أن ذلك حسن، وأن ذلك جمع بين ما جاء به الرسول وبين ما يخالفه، فله نصيب من ذلك، بل ما جاء به الرسول كاف وكامل يدخل فيه كل حق، وإنما وقع التقصير مـــن كثير من المنتسبين إليه، فلم يعلموا ما جاء به الرسول في كثير من الأمور الكلامية الاعتقادية، ولا في كثير من الأحوال العبادية، ولا في كثير من الأمور السياسية، ونسبوا إلى شريعة الرسول بظنهم وتقليدهم ما ليس منها، وأخرجوا عنها كثيرا مما هو منها)[٣].

فيجب علينا أن نتبع الرسول ﷺ في كل صغيرة وكبيرة وفي كل شاردة وواردة وفي كل خلق علمنا إياه أو توجيه تربوي , كما في حديث أبي هريرة قال: قال رسول

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط/ ص480؛ وابن كثير في تفسيره ج 1/ ص712، لا أرى في إسناده بأس.

(٢) النيسابوري، ينظر غرائب القرآن ورغائب الفرقان ج2/ ص442، البقاعي، نظم الدرر، ج 2/ ص276.

(٣) ابن أبي العز الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية ج1/ ص15-16.

الله ﷺ: *(إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)* (١) ويتبع ما أمرنا الله بإتباعه ورسوله ﷺ بإتباع الأوامر واجتناب النواهي والوقوف عند الحدود.

(وما يتعين على تعظيم السنة والأثر ومحبتها تذكر ما يلي: كونها تدعو إلى العمل بها: فالعمل طوع المحبة الصادقة كما قال تعالى ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 31]، ولذلك كان المحبون ثلاثة أقسام: (٢)

1- منهم من يريد من المحبوب.

2- ومنهم من يريد المحبوب.

3- منهم من يريد من المحبوب مع إرادته للمحبوب. وهذا أعلى أقسام المحبين.

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس شنيع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... **إن المحب لمن يحب مطيع**(٣)

وما يدل على لزوم إتباع النبي ﷺ (كان الجنيد* وهو أحد السلف يقول (الطرق إلى الله تعالى كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ وأتبع سنته ولزم طريقته، فإن طرق الخير كلها مفتوحة عليه قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب/ الآية 21](٤)).

فكل ما تقدم يدلل على محبة أتباع هذا الرسول الكريم الأعظم وإتباع منهجه والسير على خطاه وترك الفراعنة والملاحدة والأباطرة والأكاسرة والسير معه حيث سار لأنه كان صاحب المنهج الوسط في هذا الدين العظيم قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [سورة البقرة/ الآية 142]، وأنه لم يسلك إلا منهج الله وطريقه

---

(١) رواه الإمام احمد، كتاب باقي مسند المكثرين، باب باقي المسند السابق، حديث رقم (5895).

(٢) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي بن القيم الجوزية (ت 751هـ)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1412هـ - 1992م، ط1، ج2/ ص273.

(٣) عبد الله صالح الخضيري وآخرون، حقوق النبي/ ص53.

* الجنيد بن محمد القدوة المحدث أبو القاسم القايني نزيل هراة وشيخ الصوفية (سير إعلام النبلاء ج20/ص 272).

(٤) عبد الله صالح الخضيري وآخرون، حقوق النبي/ ص25-26.

المستقيم الذي دعاه إلى التمسك به قال تعالى ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 153].

فهذه الأمة هي التي اختارها الله تعالى وجعلها وسطا في كل شيء وخط لها منهجا مستقيما وهو القرآن حبل الله المتين الذي فيه نبأ وخبر ما بعدها وحكم ما بينها، وكما جاء في الحديث النبوي الشريف عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((***ستكون فتن***، قلت وما المخرج منها يا رسول الله قال: ***كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، هو الذي من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله فهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلبس به الألسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم ينته الجن إذا سمعته إن قالوا*** ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ [سورة الجن/ الآية 1]، ***هو الذي من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أُجِرْ ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم***))(١).

ومما يدل على أهمية الطاعة والتمسك والالتزام بها هو التأسي بالرسول ﷺ في كل ما يفعله ويعمله ويقوله ويقرره لصحابته الكرام من خلق أو عبادة أو ذكر أو غير ذلك.

يشير ابن كثير في تفسير قوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب/ الآية 21]، (هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر الله تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه ومعنى–ولقد كان لكم في رسول الله أسوة– هو هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله ﷺ(٢). وفي نهاية الآية التي بعدها قال تعالى ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾

---

(١) رواه الدارمي، سنن الدرامي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن حديث رقم (3197).

(٢) تفسير القرآن العظيم ج3/ ص475.

[سورة الأحزاب/ الآية 22]، أي ما وزادهم أي ذلك الضيق والشدة إلا إيمانا بالله (وتسليما) أي انقيادا وطاعة لرسوله ﷺ [١].

يتبين مما سبق أهمية طاعة الرسول الكريم ﷺ في كل صغيرة وكبيرة ولذلك وكما بينا أن الله نصر عباده في هذه المعركة الكبيرة من دون نزال ولا مبارزة ولا قتال بسبب طاعتهم لله تعالى ولرسوله الكريم ﷺ.

وحينما لم تتوفر الطاعة كما قرأنا في سيرة نبينا ﷺ وصحابته الكرام حينما لم يطيعوا النبي ﷺ كيف خسروا المعركة وذهب الكثير من الصحابة المعتبرين منهم عم نبينا ﷺ الحمزة رضي الله عنه وكذلك حادثة النبي حينما أراد أن يقتله المشركون وتجمعوا عليه ولكن حفظ الله تعالى كان حائلا بينهم وبين قتله صلوات ربي وسلامه عليه.

فكلما كان العبد أكثر طواعية لربه وإتباعا لسنة نبيه كان اقرب إليه وأحب إليه وأكثر نصرا له من غيره لأنه عبد الله وأطاعه كما أراد (ويقال من صح قراره إلى الله صح قراره مع الله، ويقال يجب على العبد أن يفر من الجهل إلى العلم، ومن الهوى إلى التقى، ومن الشك إلى اليقين، ومن الشيطان إلى الله)[٢].

ومما سبق يتبين أنه يجب على العبد أن يصلح نفسه مع ربه عن طريق تعلم أمور دينه وسؤاله عنها حتى يتحصن بسلاح العلم ضد الجهل، وباجتناب الهوى عن طريق إتباعه الهدى الذي هو دين الحق وهو طاعة الله وإتباع منهج رسول الله ﷺ بطاعته وابتغاء مرضاته وسلوك منهجه وسبيله.

(والسلوك بالمعنى الأخلاقي الإسلامي هو الاتجاه إلى الله تعالى والأخذ في الطريق الموصل لمرضاته، والذي لا يسلك الإسلام طريقا أقوم منه، فلا يلتفت عنه ولا يمد عينيه إلى غيره بل يمضي في مسيرته بجد واجتهاد قال تعالى ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 153]).

(أساس السلوك والسير على الله تعالى هو بهذه العوامل وهي (الحب والخوف والرجاء) وقيل عن هذه الفضائل بأنها قطب رحى العبودية وعليها دارت رحى الأعمال

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج3/ ص457.

(2) احمد الشرباصي، موسوعة خلاق القرآن ج6/ ص115

(3) المصدر نفسه:ج6:ص 115 .

وقد ذكر الأعمال الثلاثة في قوله تعالى﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [سورة الإسراء/الآية57][(١)].

وإن تمام السلوك يتحقق بأن يربط الله تعالى قلب العبد السالك إليه كما في الحديث عن أنس بن مالك ﷺ قال ﷺ ((***ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار***))[(٢)].

يتبين لنا مما سبق أن هذا الحديث هو جماع الأحاديث التي تتكلم عن الطاعة بشكل عام وإن كان في الظاهر لا يشير إلى ذلك إلا أننا حينما نرجع إلى شرحه نجد ذلك واضحا وجليا فمثلا يقول (أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سوهما) فالمقصود هنا ليس فقط الحب الذي يفهمه عامة الناس أو ما تنصرف إليه الأذهان حينما يُذْكَر وإنما أيضا بالإضافة والعشق والوله والتعلق بذلك المحبوب وكذلك يراد وبشكل أساسي مرضاتهما وإتباعهما فيما أمروا به وما نهوا عنه وكما هو الواجب أمام الله ورسوله وهو التصديق بما أخبر والعمل بما أمر به والانتهاء عما نهى عنه وزجر، وكل طاعة يجب فيها الإخلاص، ولا يكون الإخلاص إلا ويتضمن معه الصدق والصواب.

والصدق في النية لله تعالى والصواب أن يكون على السنة أي على إتباع الرسول ﷺ وطاعته.

(وبما أن وظيفة العبد الحقيقية هي إطاعة سيده وامتثال أوامره فحتما يتبعه تصور الإطاعة، ثم إذا كان العبد لم يقف به الأمر على أن يكون قد أسلم نفسه لسيده طاعة وتذللا، بل كان مع ذلك يعتقد بعلائه ويعترف بعلو شأنه وكان قلبه مفعما بعواطف الشكر والامتنان على نعمه)[(٣)].

فيجب على العبد أن يكون شاكرا لله ﷻ وممتنا بالفضل على نبيه ﷺ لأنه هو الرسول الذي بعث من أجل هدايته أولا وأخرا قال تعالى ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 153]، فتكون سبب

---

(١) الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن ج6/ ص121.

(٢) البخاري، صحيح البخاري ، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان حديث رقم (15).

(٣) أبو الأعلى المودودي، المصطلحات الأربعة في القرآن/ ص97.

الهداية عن طريق الإتباع وطاعة رسوله ﷺ وكما يقول الله تعالى في سورة أخرى يبين سبب رحمة الله لعباده في طاعة الله ورسوله ﷺ فيقول ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ .

فالطاعة دائما متعلقة بمحبة الله ورسوله ﷺ وطاعتهما بالقلب واللسان والجوارح (ولهذا كان الرسول ﷺ أعظم الخلق اجتهادا وقياما بالأعمال ومحافظة عليها إلى أن توفاه الله، وهو أعظم ما كان اجتهادا وقياما بوظائف العبودية ويذكر من السالكين من يكون سيره ببدنه وجوارحه أغلب عليه من سيره بقلبه وروحه، ومنهم من يكون سيره بقلبه أغلب عليه، ومنهم من يعطي كل مرتبة حقها فيسير إلى الله تعالى ببدنه وجوارحه وقلبه وروحه وهؤلاء هم الأقوياء الكاملون)[١].

ويذكر ابن قيم الجوزية أن السلوك يصح ويكمل إن أسلم من الآفات والعوائق والقواطع وذلك بثلاثة أشياء[٢]:

الأول: أن يكون على الدرب الأعظم وهو الدرب النبوي المحمدي.

الثاني: أن لا يجيب على الطريق داعي البطالة والوقوف والدعة.

الثالث: أن يكون في سلوكه ناظرا إلى المقصود.

والمقصود هنا بالسالك: هو الذي اتبع الرسول واقتدى به وجعله قائدا وموجها إليه في كل ما يعرض عليه من الأحوال والأمور التي يتعرض إليها فيكون رسول الله وقائده ومسدد خطاه إلى ما يحبه الله ويرضاه.

يقول ابن القيم (إن السالك إلى ربه لا تزال همته عاكفة على أمرين: استفراغ القلب في صدق الحب، وبذل الجهد في امتثال الأمر... فهمة المحب إذا تعلقت روحه بحبيبه عاكفا على مزيد محبته وأسباب قوتها فهو يعمل على هذا..فهو يتقرب إلى ربه حفظا لمحبته له بأنواع التقرب إليه، فقلبه للمحبة والإنابة والتوكل والخوف الرجاء، ولسانه للذكر وتلاوة كلام حبيبه الذي هو كلام الله، وجوارحه للطاعات صلاة وزكاة وحج، فهو لا يفتر من التقرب إلى الله تعالى)[٣].

---

(١) احمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن ج6/ ص123.

(٢) المصدر نفسه، ج6/ ص124.

(٣) ابن القيم، مدارج السالكين ج2/ ص89.

وختاما يقول ابن القيم (العلم الصافي المتلقى من مشكاة النبوة والوحي، يُهَذِبْ صاحبه لسلوك طريق العبودية لله تعالى وحقيقتها التأدب بآداب رسول الله ﷺ باطنا وظاهرا، وتحكيمه ظاهرا وباطنا، والوقوف معه حيث وقف بك والمسير معه حيث سار بك لأنه قد ألقيت إليه أمرك كله، واقتديت به في جميع أحوالك، فأنت خالص له، وأنت مثل الصفاء معه، ترضى لرضاه، وتغضب لغضبه)(١).

الصدق في الطاعة:

إن مفهوم الصدق في الشرع هو ضد الكذب، فالصدق من صفات المؤمنين كما قال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ ، وبعكسه قول المنافقين الذين توعدهم الله بالعذاب الأليم في الآخرة وصفهم بأنهم كاذبين، قال تعالى ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ* يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ* فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ** ﴾ [سورة البقرة/ الآية 8-10].

وبهذا يتبين الصادق من الكاذب من الناس من خلال أقوالهم وأفعالهم بالإضافة إلى ما يضمرونه ويخفونه أمام الناس في قلوبهم، وسنأخذ على الطاعة مثالاً نجعله أنموذجا من القرآن الكريم نبين فيه الصدق في طاعة العباد لربهم:

قال تعالى ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وأولئك هُمُ المفلحونَ** ﴾ [سورة النور/ الآية 51].

إن المناسبة التي جاءت من أجلها هذه الآية هو أن الله تعالى لما نفى عن المنافقين الإيمان مع ما يدعونه من نطق كلمة التوحيد كان كأنه سأل عن حال المؤمنين فأتبع ذلك عما يجب عليهم أن يفعلوه إذا دعوا إلى حكم الله ورسوله فقال ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا** ﴾ [سورة النور/ الآية51].

---

(١) ابن القيم، مدارج السالكين ج2/ ص91.

والحكم: هو مصدر قولك حكم بينهم يحكم أي قضى وفصل في الأمر. وحكم لـــه وحكم عليه[١]. ويقال حكموه: جعلوه حكما، وحاكَمْتَهُ وإلى القاضي: رافعته وتحاكمنا إليه واحتكمنا وحاكمه إلى الله وإلى القرآن إذا دعاه إلى حكمه[٢].

ثم أعقب الله تعالى هذا الكلام بقوله ﴿وأولئك هـم المفلحون﴾ فمعنى ﴿المفلحون﴾ الفاء واللام والحاء أصلان صحيحان:

أحدهما يدل على شق مثل فلحت الأرض: شققتها.

والأصل الثاني الفلاح: البقاء والفوز[٣] والنجاة وحي على الفلاح: أي أقبل على النجاة[٤] وأفلح: ظفر بمطلوبه فهو مفلح، والظفر في القرآن الكريم دنيوي وأخروي[٥].

في هذه الآية جيء (إنما) بصيغة الحصر أن يكون مخالفاً لهذه الحالة في شيء من الإيمان وإن قال بلسانه أنه مؤمن وهذا القصر إضافي أي قول المؤمنين الصادقين قي إيمانهم لا كقول الذين أعرضوا عن حكم الرسول حين قالوا ﴿ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ﴾[٦] [سورة النور/ الآية 47]، فلما دعوا إلى حكم الرسول عصوا أمره[٧] كذلك فيه تعريض بموقف المنافقين النقيض من هذا الموقف، وهو العمل بالمطابق للقول، وفي هذه إشارة في لفظ الحكم منسوباً إلى الله ورسوله ﷺ لكنه لم يقُل ليحكم **لأن المعنى** بذلك الرسول ﷺ وإنما بدأ بالله إعظاماً له، وفيه إشارة إلى أن حكم الله ورسوله واحد[٨].

---

(١) الجوهري، كتاب الصحاح، ج5/ ص1901، مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم ج 1/ ص300.

(٢) أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت 538ه)، أساس البلاغة درا صادر بيروت 1399هـ-1979م/ ص137.

(٣) ابن الفارس، معجم مقاييس اللغة ج4/ ص450.

(٤) الجوهري، الصحاح ج1/ ص392.

(٥) مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم ج2/ ص435.

(٦) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج4/ ص2525-2527.

(٧) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ج18/ ص274.

(٨) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت 207هـ)، معاني القرآن بتحقيق محمد علي النجار، دار السرور، ج2/ ص258.

وفي هذه الآية لنضع الفاصل بين المؤمن الحق وبين الذي يرائي بإيمانه في حين يُدعى إلى الحكم عند رسول الله ﷺ فتقتضي أن يبين للسائل الفرق بين الحالتين لئلا يلتبس عنده الإيمان المزور بالإيمان الصادق(١) لأن الإيمان الصحيح متى استقر في القلب ظهرت آثاره في السلوك فهي بمجرد تحققها في عالم الفكر والوجدان والشعور تتحرك لتحقق مدلولها في الخارج وما ذلك إلا لأن الإسلام عقيدة متحركة ومنهج متكامل واضح يقوم على أساس تحويل الشعور الباطن إلى حركة سلوكية واقعية بحيث تتحول هذه الحركة إلى عادة ثابتة أو قانون فإذا ما دعى المرء إلى التحاكم إلى الله ورسوله فما عليه إلا السمع والطاعة بلا تردد ولا جدال ولا انحراف لها بل هي الثقة المطلقة في أن حكم الله ﷻ ورسوله ﷺ هو الحُكُم الحق وأن ما يشاءه الله للناس خير مما يشاؤونه لأنفسهم، لذلك لم يأتِ القصر قصرا حقيقيا لأن أقوال المؤمنين حين يُدْعَون إلى رسول الله ﷺ ليحكُمَ بينهم غير منحصرة في قول (سمعنا وأطعنا) (٢)، ولا في مرادفه فلعل منهم من يزيد على ذلك، وإذا ما عاينا حديث القرآن في الآية المتقدمة عن المنافقين أدركنا أن معنى هذا القصر هو الثناء على المؤمنين برسوخ إيمانهم وثبات طاعتهم في المنشط والمكره وفيه تعريض بالمنافقين إذ يقولون كلمة الطاعة ثم ينقضونها بضدها من كلمات الإعراض والارتياب(٣).

تمييز الطائع من الكاذب:

قال تعالى عن هذا الموضوع: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة النور/ الآية 53].

لما ذكر الله ﷻ ما رتب على الطاعة الظاهرة التي هي دليل الانقياد الباطن، ذكر حال المنافقين فيه، فقال عاطفا على (ويقولون) لأنه ليس المراد منه إلا مجرد القول من غير إرادة تقييد بزمان معين(٤)، (وأقسموا) ثم لما بين الله ﷻ كراهية المنافقين لحكم رسول الله ﷺ نهاهم عن هذا القسم بقوله (قل لا تقسموا)(٥).

---

(١) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ج18/ ص274.
(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن ج4/ ص2525-2527.
(٣) ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير ج18/ ص274-275.
(٤) برهان الدين أبو الحسن بن عمر البقاعي (ت 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور دار الكتب العلمية بيروت-لبنان ط1، 1415هـ-1995م ج5/ ص277.
(٥) الرازي، التفسير الكبير ج12/ ص23-24.

وأما وجوه القراءات على قوله (طاعة معروفة): عامة القراء يقرؤونها على رفع (طاعةٌ معروفةٌ) خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ محذوف الخبر وقرأت بالنصب (طاعةً معروفةً) على نصبها بفعل مضمر أي أطيعوا طاعةً(١).

ويتبين مما سبق ذكره من القراءات أن الوجه الأول بمعنى أن طاعتكم معروفة بأنها القول دون الفعل أو أن الطاعة التي تطلب منكم هي طاعة معروفة لا شك فيها(٢).

وعلى القراءة الثانية: أن المطلوب هو الامتثال للأمر الذي يقتضي الوجوب وتقديره: أطيعوا الله طاعة(٣).

---

(١) ينظر الزمخشري، الكشاف ج3 ص243.

(٢) شهاب الدين، أبو العباس بن يوسف ابن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي (ت 756ه) ، الدُر المصون في علم الكتاب المكنون، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان ط 1، 1414هـ–1994م ج5/ ص231، وينظر الزمخشري، الكشاف ج3/ ص243.

(٣) المصدر نفسه ج3/ ص243.

المبحث الثاني
أركان العبودية

أركان العبودية ثلاثة وهي:

1- الحب.

2- الخوف.

3- الرجاء.

المطلب الأول : الركن الأول : الحب:

تعريف الحب لغة واصطلاحا:

عند الرجوع إلى الجذر الثلاثي لكلمة الحب وهي (حبب).

يقول ابن فارس: عن معنى كلمة الحب، الحاء والباء أصول ثلاثة، أحدها اللزوم والثبات، والآخر الحبة من الشيء ذي الحب، والثالث وصف للقصير.

فالأول: الحَبْ معروف من الحنطة والشعير، فأما الحب بالكسر فبذور الرياحين، الواحدة حبة، قال رسول الله ﷺ في **قوم (يخرجون من النار فينبتون كما ينبت الحبة في حميل السيل)**[١] من هذا الباب حبة القلب: سويداؤه ويقال ثمرته ومنه الحبب وهو تضدد الأسنان. وأما اللزوم فالحب والمحبة اشتقاقه من أحبه إذ ألزمه والمحب: هو بعيد فيــلزم مكانه[٢].

قال الراغب الأصفهاني: عن كلمة الحب **(إرادة ما تراه أو تظنه خيرا).**

وتقول حببت فلانا في الأصل بمعنى أصبت حبه قلبه نحو شغفته أو كبته وفأدته، وتستعمل في اللغة على ثلاثة أوجه[٣]:

1- محبة لذة: كمحبة الرجل للمرأة ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [سورة يوسف/ الآية 30].

---

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال حديث رقم 22.

(٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج2/ ص26-27.

(٣) المفردات، مادة (الحب)/ ص105.

2- **محبة للنفع:** كمحبة شيء ينتفع به ومنه قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ [سورة الصف/ الآية 13].

3- **محبة للفضل:** كمحبة أهل العلم بعضهم للبعض بسبب العلم(١).

وقال ابن منظور عن كلمة الحب (الحب نقيض البغض، الحب الوداد والمحبة، وكذلك الحب بالكسر ... واحبه فهو محب ... وأستحبه كأحبه، والاستحباب كالاستحسان عن الفراء: والحب الحبيب مثل خد وخدين، قال ابن بري (رحمه الله): الحبيب يجيء تارة بمعنى المحبوب، وكان أسامة بن زيد بن حارثة رضي الله عنه يدعى حِبُّ رسول الله ﷺ وفي حديث: ومن يجترئ على ذلك إلا أسامة حِب رسول الله ﷺ(٢)، أي محبوبه وكان ﷺ يحبه كثيرا... وجمع الحب: أحباب، وحباب، حبوب، وحبه...، وحبب إليه الأمر جعله يحبه وهم يتحابونه، أي يحب بعضهم بعضا، وحبابك أن يكون ذلك أو حبابك أن تفعل ذلك أي غاية محبتك...، والتحبب إظهار الحب)(٣).

تعريف الحب اصطلاحا:

أختلف العلماء في تعريف المحبة كلا بحسب اختصاصه وذوقه، وكأن كل واحد من أهلها قد ذاق ذوقا مختلفا عن الآخر:

فعند أهل التفسير عرفها كثير منهم بأنها : **(إرادة يقترن بها إقبال من النفس وميل بالمعتقد)**(٤).

وقيل أيضا هي: **(الحب والمحبة عند العرب إرادة الشيء على قصد له)**(٥).

وقيل: **(الحب أصله من المحبة حبته أصابت حبه قلبه وهي في اللفظ فعل وفي الحقيقة إنفعال)**(٦).

---

(١) المصدر السابق،المفردات, ص105.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحدود، حديث رقم (1688).

(٣) ابن منظور: لسان العرب، مادة (حب)، ج1/ ص289-295.

(٤) أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت 546هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، قطر، ط1 1402هـ-1982م، ج3/ ص80.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج4/ ص59-60.

(٦) أبو عبد الله محمد بن حيان الأندلسي الغرناطي (ت 754هـ)، التفسير الكبير المسمى "البحر المحيط"، الرياض، مكتبة النصر الحديثة (د.ت)، ج2/ ص91.

وقيل الحب: **(ميل القلب من الحب واستعير لحبة القلب ثم اشتق منه الحب لأنه أصابها ورسخ فيها)**(١).

أقوال السادة الصوفية في تعريف الحب: لقد تنوعت في هذا الجانب وحفلت بها كتبهم التي حاولوا من خلالها أن يعطوا معنى قريبا للحب ليقربوه من الأذهان لأنه شيء ذوقي، **(فالحب والمحبة عندهم حالة ذوقية تفيض على قلوب المحبين مالها سوى الشوق إفشاء)**(٢)، ولهذا فإنهم يعدون المحبة عندهم مقاما من المقامات وحالا من الأحوال كالصبر والرجاء والرضا وغيرها من الأحوال، ولقد ذكر الإمام القشيري في كتابه من هذه الأقوال والتعريفات: **(فالمحبة: الميل الدائم بالقلب الهائم)**(٣)، ومبتغاها أن يكون القلب دائم الميل نحو المحبوب.

وقيل: **(إيثار المحبوب على جميع المصحوب)**(٤)، ومعناه أن يؤثر المحبوب على على كل شيء.

منزلة المحبة

وأما منزلة المحبة فهي من المنازل التي ذكرها ابن القيم في كتابه وهي (المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون وعليها تفانى المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون فهي قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من ظفر بها فعيشه كله هموم وآلام، وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال التي متى خلت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا أبدا إلا بشق الأنفس باليغها وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا أبدا واصليها وتبوئهم من مقاعد من مقامات لم يكونوا لولاها داخليها وهي مطايا القوم التي مسراهم على ظهورها دائما إلى الحبيب وطريقهم الأقوم الذي يبلغهم إلى منازلهم الأولى)(٥).

---

(١) أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت 951هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن، القاهرة، ج1/ ص143.

(٢) عبد القادر عيسى، حقائق عن التصوف، مطبعة الرمادي مطبعة النواعير ط 5، 1413هـ-1992م/ ص272.

(٣) عبد الكريم القشيري، الرسالة القشيرية/ ص246-247.

(٤) المصدر نفسه/ ص247.

(٥) مدارج السالكين، ج3: ص6-7.

ولا نجاة للعباد من دون هذه الأركان الثلاثة لأن كل محبة أو خوف أو رجاء يكون لغير الله تعالى أو يقدم على محبة الله أو الخوف من غيره أو رجاءه يكون شركا به سبحانه.

وشاهد ذلك هو ما أشار إليه ابن القيم عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 56]، فيقول رحمه الله: (ولما كان قوله تعالى وادعوه خوفا وطمعا مشتملا على جميع مقامات العبودية وهي الحب والخوف والرجاء عقبها بقوله إن رحمت الله قريب من المحسنين أي إنما ينال من دعاه خوفا وطمعا جعله الله محسنا والرحمة قريب منه لأن مدار الإحسان على هذه الأصول الثلاثة)(١).

فيتبين للباحث هنا أن الخوف والطمع يتضمن المحبة والخوف والرجاء من الله ﷻ هو المقصود لا غيره وهو نفسه الذي يكون مشتملا على هذه المراتب التي هي أركان العبودية التي تقوم عليها العبودية وهي عبودية الحب والخوف والرجاء والتي هي تكون الدافع للمؤمن الذي يسعى للطاعات ويغتنم كل وقت من أجل العبودية التي تقوم عليها جميع العبادات إذ هي بمثابة المحرك لجميع الطاعات والأوامر والنواهي التي يقوم بها.

يقول ابن تيمية: (أعلم أن محركات القلوب إلى الله ﷻ ثلاثة المحبة والخوف والرجاء وأقواها المحبة وهي المقصودة تراد لذاتها لأنها تراد في الدنيا والآخرة بخلاف الخوف فإنه يزول في الآخرة قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة يونس/ الآية 62] والخوف المقصود الزجر والمنع للخروج عن الطريق، فالمحبة تلقي العبد في السير إلى محبوبة، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إليه، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده فهذا أصل عظيم يجب على كل عبد أن ينتبه له فإنه لا تحصل له العبودية بدونه وكل أحد يجب أن يكون عبدا لله لا لغيره)(٢).

---

(١) بدائع الفوائد، ج3/ ص526.

(٢) مجموع الفتاوى، ج1/ ص95.

وهذا يبين أهمية الحب والخوف والرجاء لأنها هي التي تحرك القلوب والنفوس وهي الأركان التي تستند وتقوم عليها العبادة وذلك لأن هذه العبادة مرادة ومقصودة. لأن كل عبادة من العبادات يجب أن يكون فيها إما حب لشيء حاصل في الدنيا أو في الآخرة فمثلا حب المؤمن لكل عبادة يعملها في الدنيا من أمور الدنيا لأنه يجد سعادته فيها كالصدق في الحديث والإخلاص في العبادة وهذه الأمور قررها الشارع الحكيم وأكدها في الكثير من الآيات والأحاديث وكذلك في كل أمر يحبه الله ورسوله، ويقول ابن تيمية في تعريفه للعبادة: **(هي أسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة)**(١).

وكذلك الخوف بأن يخاف العبد من الله ومن عقابه وناره وكذلك الخوف والوجل من المعاصي التي قد تخيب العبد وتسيء حاله في دنياه قال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 175]، وكذلك رجاء العبد لربه بأن يكون حالة عباده بين الحب والخوف ورجاؤه له أن يغفر له ويرحمه ويدخل الجنة يزحزحه عن النار قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 185].

أصل كل فعل وحركة في العالَم من الحب والإرادة

إن الأصل في كل ما يقوم به الإنسان بشكل عام هو من حب الشيء المراد تحقيقه ثم إرادته ثم سعينا من أجل تحقق هذا الأمر المراد فعله أو تركه، فتكون هذه المحبة من أجل محبة الله وإرادة طاعته وترك ما نهى عنه: (فأصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة، فهما مبدأ لجميع الأفعال والحركات، كما أن البغض والكراهية مبدأ كل ترك وكف)(٢).

فيكون كل أمر وفعل وترك عن طريق المحبة والإرادة لذلك الشيء أو بغضه وتركه ولا يحب ولا يترك الشيء إلا تبعا لمحبة الله ورسوله ورضاهما ويقول ابن القيم: (والإرادة تقتضي أمرا هو أحب إليه من هذا الذي كف نفسه عنه فيتعارض عنده الأمران، فيؤثر خيرهما وأعلاهما وأنفعهما له وأحبهما إليه على أدناهما فلا يترك

(١) العبودية/ ص5.

(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان، ج1: ص123.

محبوبا إلا لمحبوب هو أحب إليه منه، ولا يرتكب مكروهاً أو مبغوضاً إلا ليتخلص من مبغوض هو أكره إليه منه)(١).

وإذا علم أن هذا المكروه يفضي إلى ما يحبه يصير محبوبا له وإن كان يكرهه فهو يحبه من وجه ويكرهه من وجه، وكذلك إذا علم أن هذا المحبوب يُفضي إلى ما يكرهه فيصير مكروها له وإذ كان يحبه فهو يكرهه من وجه ويحبه من وجه (٢)، فالنفس لا تترك محبوبا إلا لمحبوب، ولا تتحمل مكروها إلا لتحصيل محبوب،أو للتخلص من مكروه آخر و المحبة لله تعالى لا تكون بالحب وحده دون طاعته لأن الله أراد وعلل الحب بالطاعة فقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 31]، فعلل إتباع الله ومحبته بطاعته وإتباع حكمه وذلك بطاعة أمره واجتناب نهيه.

فلا يترك الإنسان ما يحبه ويهواه مع قدرته إلا لما يحبه، ولا يرتكب ما يكرهه ويخشاه إلا حذارِ وقوعه في ما يكرهه ويخشاه، ولكن خاصية العقل أن يترك أدنى المحبوبين وأقلهما نفعا لأعلاهما وأعظمهما نفعا، ويرتكب أدنى المكروهين ضررا ليتخلص به من أشدهما ضررا(٣).

فيتبين للباحث مما سبق أن المحبة والإرادة أصل للبغض والكراهية وعلة لهما من غير عكس، فكل بغض تكون فيه منافاة البغيض للمحبوب، ولولا وجود المحبوب لم يكن البغض بخلاف الحب للشيء، فإن الحب لهذا الشيء قد يكون لنفسه وهواه لا لإرادته ولا من أجل منافاته للبغيض أو للشيء المبغوض، وبغض الإنسان لما يضاد محبوبه مستلزم لمحبته ضده، وكلما كان الحب أقوى كانت قوة البغض للمنافي أشد (٤)، فمثلا المؤمن الموحد فإنه يكون محبا لله تعالى ومحبا لإفراده بالعبودية دون ما سواه لأنه يكون عارفا بالله تعالى وأسمائه وصفاته وعارفا بأنه الإله الوحيد المستحق للعبادة دون غيره من الأنداد التي تعبد من دون الله تعالى فيكون بذلك أشد حبا للتوحيد وأشد بغضا للشرك والكفر.

---

(١) المصدر السابق، اغاثة اللهفان ,ج2/ ص123.

(٢) ابن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان، ج2/ ص124.

(٣) المصدر نفسه : ج2/ ص124.

(٤) م.ن :ج2/ ص124.

ولذلك كان أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله لما روينا من الحديث الذي أخرجه أحمد بن حنبل (رحمه الله) عن البراء بن عازب ﷺ قال: **(كنا جلوسا عند النبي ﷺ فقال: أي عرى الإسلام أوسط، قالوا: الصلاة، قال: حسنة وما هي بها، قالوا: الزكاة، قال: حسنة وما هي بها، قالوا: صيام رمضان، قال: حسن وما هو به، قالوا: الحج، قال: حسن وما هو به، قالوا: الجهاد، قال: حسن وما هو به، قال: إن أوسط عرى الإيمان أن تحب في الله وتبغض في الله)**(١) وعن أبي أمامة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: ***(من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان)***(٢).

فإن الإيمان علم وعمل، والعمل ثمرة العلم، وهو نوعان: عمل القلب حبا وبغضا ويترتب على هذه الأعمال التي ذكرت في هذا الحديث عمل الجوارح فعلا وتركا وهما العطاء والمنع(٣).

فإذا كانت هذه الأربعة لله تعالى، كان صاحبها مستكمل الإيمان، وما نقص منها كان لغير الله تعالى نقص من إيمانه بحسبه.

وعبودية المحبة هي من العبادات التي ترجع القلب إلى خالقها وفاطرها ومربوبها، لأن العبد إذا أحب الله كان معه على كل حال وهي من أهم أنواع العبادات ويجب التفريق بين من يحب الله وبين من يحب غيره قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة/ الآية 165].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: **(فمن أحب مخلوقا مثل ما يحب الله فهو مشرك ويجب الفرق بين الحب في الله والحب مع الله)**(٤).

فالحب لله هو أن تحب أخوك أو المرء أو أي شخص لا تحبه إلا لله تعالى ولا تكون ولا تجتمع معه إلا على محبة الله وطاعته، وإلا لأنه قائم على طاعة الله، وإلا أن يكون اجتماعك معه لتتعلم منه شرع الله وحكمه وأمره ونهيه ولذلك جاء في الآية

---

(١) رواه أحمد، مسند أحمد، كتاب أول مسند المكثرين باب حديث البراء بن عازب، حديث رقم (17793).

(٢) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم (4061).

(٣) ابن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان، ج2/ ص124.

(٤) مجموع الفتاوى، ج15/ ص49.

الكريمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ كما ورد عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قوله *(المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)*[١].

وهذا يدلنا على أن العبد إن يصحب المرء كما في حديث **آخر (وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله)**[٢]، لا أن نتخذ الناس أندادا نحبهم كحب الله كما فعل النصارى في غلوهم بالمسيح حتى عبدوه مع الله وكما فعل غلاة الشيعة حتى ألَّهوا علي بن أبي طالب ﷺ وعبدوه من دون الله تعالى وكما يفعل الناس اليوم من عبادة أهل القبور حتى أحبوهم مع الله تعالى.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: **(ولهذا كان أهل التوحيد والإخلاص أكمل حبا لله من المشركين الذين يحبون غيره الذين اتخذوا من دونه أندادا يحبونهم كحبه)**[٣].

ويقول أيضا: والمحبة جنس تحته أنواع كثيرة فكل عابد محب لمعبوده فالمشركون يحبون آلهتهم كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ..﴾ وفيه قولان:

أحدهما: يحبونهم كحب المؤمنين لله.

والثاني: يحبونهم كما يحبون الله لأنه قال (والذين آمنوا أشد حبا لله) فلا يمكن أن يقال أن المشركين يعبدون آلهتهم كما يعبد الموحدون الله كما يحبون-هم-الله فأنهم يعدلون آلهتهم برب العالمين[٤].

ولذلك قال ابن القيم رحمه الله: أخبر تعالى أنه من أحب من دون الله شيئا كما يحب الله تعالى فهو ممن أتخذ من دون الله أندادا فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية فإن أحدا من أهل الأرض لم يثبت هذا الند بخلاف ند المحبة فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أندادا في الحب والتعظيم[٥].

---

(١) رواه أحمد، مسند أحمد، كتاب باقي مسند المستكثرين، حديث رقم (8065).

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم (16).

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج17/ ص144.

(٤) المصدر نفسه، ج8/ ص357.

(٥) التفسير القيم/ ص140.

ويظهر لنا مما سبق ذكره أن حب الله لا ينافي التوحيد بل قد يكون من تمام حب العبد لله وذلك بأن يحب في الله ويبغض في الله ويوالي في الله ويعادي في الله ويحب ما يرضاه من الأشخاص والأخلاق والأعمال ويبغض ما يبغضه الله تعالى كذلك(١).

المحبة هي التي تحرك المحب في طلب محبوبه

يرى ابن القيم أن المحبة تدفع المحب إلى الاستجابة إلى محبوبه لذلك يقول: (فالمحبة إذا هي التي تحرك المحب في طلب محبوبه الذي يكمل بحصوله له(٢)، فَتَحرُك مُحِبْ الرحمن، ومحب القرآن، ومحب العلم والإيمان، ومحب المتاع والصلبان، ومحب النسوان والمردان، ومحب الأوطان، ومحب الأخوان، فتثير وتهز من كل قلب حركة إلى المحبوب الذي أحبه من هذه الأشياء، فيتحرك عند ذكره لمن يحب دون غيره، ولهذا تجد محب النساء والصبيان ومحب قرآن الشيطان بالأصوات والألحان الذي هو الغناء لا يتحرك عند سماع العلم وشواهد الإيمان، ولا عند تلاوة القرآن، ح تى إذا ذكر له محبوبه أهتز له وربا، وتحرك باطنه وظاهره شوقا إليه وطربا لذكره...)(٣).

فكل هذه المحاب مضمحلة وزائلة سوى محبة الله وما والاها، من محبة كتابه ورسوله ودينه وأوليائه فهذه المحبة تدوم ثمرتها ونعيمها بدوام من تعلقت به، وفضلها على سائر المحاب كفضل من تعلقت به على ما سواه.

(فإذا انقطعت علائق المحبين وأسباب توادهم وتحابهم لم تنقطع أسبابها قال تعالى: ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ [سورة البقرة/ الآية 166](٤)، إذا فالأسباب هي المودة والصلة في الدنيا ومعنى الآية أي تقطعت بهم الأرحام في الدنيا وتفرقت بهم المنازل في النار كل بحسب عمله وسعيه.

فإن الأسباب هي حلقة الوصل التي كانت بينهم في الدنيا، وتقطعت بهم في وقت أحوج ما كانوا إليها، وأما أسباب الموحدين والمخلصين لله تعالى بالحب له وحده دون

---

(١) محمد خليل الهراس، دعوة التوحيد، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت سنة 1406هـ/ ص41.

(٢) ابن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان، ج2/ ص132.

(٣) المصدر نفسه، ج2/ ص132.

(٤) م.ن: ج2/ ص132.

ما سواه فاتصلت بهم هذه المحبة ودام اتصالها بدوام معبودهم ومحبوبهم وهو الله تعالى. فإن السبب تبع لغايته في البقاء والانقطاع.

وإن الحب يجب أن يكون كله لله تعالى وكل حب بعده تابع لحب الله تعالى وطاعته فحب رسوله ﷺ ودينه الذي جاء به من قِبَلِ ربه وإتباع سنته التي أمرنا أن ننقاد لها وحب أزواجه وآل بيته وأصحابه (رضوان الله عليهم جميعا) والإقتداء بهم والتأسي بأفعالهم كل ذلك يكون تابعة لمحبة الله تعالى فمثلا: (إن الحب العميق والشامل للرسول ﷺ من قبل الصحابة (رضوان الله عليهم) يرتبط هذا الحب بحب الله وكان هذان الحبان يمتزجان في نفوسهم فيصبحان هذان الحبان في مشاعرهم هما نقطتا ارتكاز المشاعر كلها ومحور الحركة الشعورية والسلوكية كلها كذلك)[١].

ويظهر مما سبق ذكره أن هذا الحب قد أستحوذ على قلوب الصحابة فضلا عن نفوسهم الذي أمتزج بها حب الله تعالى حتى ظهرت على أفعالهم بعبوديتهم الخالصة لله تعالى وإقتدائهم بنبيهم بفعل كل شاردة وواردة، ومن واجبنا نحو الرسول ﷺ: محبته وتوقيره وتبجيله واحترامه وعدم إيذائه[٢].

(كان هذا الحب هو الذي حرك الرعيل الأول من الصحابة وهو مفتاح التربية الإسلامية، ونقطة ارتكازها، ومنطلقها الذي تنطلق منه)[٣].

لقد حصل للصحابة ببركة صحبتهم للنبي ﷺ وتربيتهم على يديه أحوال إيمانية عالية، وسنذكر هنا بعض الأمثلة التي توضح مدى محبة الصحابة للنبي ﷺ ومن هنا يتبين أن الذين عاشروا الرسول ﷺ أحبوه إلى حد الهيام وكانوا لا يبالون أن تقطع أعناقهم ولا يخدش له ظفر. كان ثوبان مولى الرسول ﷺ شديد الحب له، قليل الصبر عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه، وعرف الحزن في وجهه فقال له رسول ﷺ ما غير لونك؟ فقال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير أني إذا لم أراك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم إني إذا ذكرت الآخرة أخاف أن لا أراك لأنك ترفع إلى عليين مع النبيين وإني إن دخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، وإن لم أدخلها لم أرك أبدا فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ

---

(١) الدكتور علي بن محمد الصلابي، سيرة أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) شخصيته وعصره، دار المعرفة بيروت (2005هـ)/ ص40-41.

(٢) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، دار الوفاء ط3، 1987م، مؤسسة الرسالة/ ص35-36.

(٣) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، ط5 سنة 1403هـ-1983م/ ص34-35.

﴿ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ [سورة النساء/ الآية 69]، وفي الحديث الشريف عـــن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال ***(المرء مع من أحب)*** [١]، وأن المقصود حب الأسوة لا حب الهوس، فإن الرجل إذا أحب من هو مثله أو أعلى منه فأساس هذا الحب هو تفتح قلبه لخلال النبل التي خُصُوا بها وعَظَمة المواهب التي ميزهم بها القدر... فليس من السهل أن يبذل الناس لشخص أموالهم أو يعادون من يعادي من الناس كلهم لكن الحبيب المصطفى بما أسبغه الله تعالى من نعمة ومقومات ذاتية تمثلت في شخصه الكريم إحتاز تلك المنزلة التي كانت بعيدة كل البعد عن الرياء لأن أساسها الصدق والخشية من الله تعالى[٢].

مدار كتاب الله تعالى على حب الله وحده ولوازمها

إن مدار جميع الكتب التي أنزلها الله ﷻ التي بين من خلالها توحيده وطاعته فإنها تُركز بشكل أساسي على حُبِ الله وحب العبادة وحب الطاعة.

إذا تبين هذا فأصل المحبة المحمودة التي أمر الله تعالى بها وخلق الخلق لأجلها هي محبته وحده لا شريك له، المتضمنة لعبادته دون عبادة ما سواه.

(فإن العبادة تتضمن غاية الحب بغاية الذل لله ﷻ)[٣].

إذن العبادة لله تعالى تكون بغاية الحب لله تعالى في كل ما أمر به، فيجب علينا أن نحب هذا الأمر وهذا الشرع الذي جاءنا من قبل ربنا والابتعاد عن كل نهي نهانا عنه وزجرنا عنه وأمرنا باجتنابه فتكون محبتنا لما أمر ونهى.

(ولما كانت المحبة جنسا تحته أنواع متفاوتة في القدر والوصف، كان أغلب ما يذكر فيها حق الله تعالى: ما يختص به ويليق به، كالعبادة والإنابة والإخبات، ولهذا لا يذكر فيها لفظ العشق والغرام والصبابة والشغف والهوى)[٤].

ويظهر لنا مما سبق ذكره أن العبادة أصلها حب وذل أي مقتسمة على قسمين فنصف العبادة في (الحب) والنصف الآخر (الذل) والله سبحانه يجب أن يحب فلا يبغض لأن الله ﷻ ما خلقنا إلا لأجل هذه الغاية التي هي محبته وتوحيده وذكر لفظ المحبة في

---

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري في كتاب الآداب، باب علامة حب الله ﷻ، حديث رقم (5702).

(٢) د.شاكر محمود عبد المنعم، شواهد من حب الصحابة للنبي ﷺ مجلة الروضة (عدد خاص بمناسبة مولد النبي)/ ص24-25.

(٣) ابن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان، ج2/ ص133.

(٤) المصدر نفسه، ج1/ ص133.

القرآن كثيرا كقوله تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [سورة المائدة/ الآية 54]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 31] وقوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة/ الآية 165].

(ومدار كتب الله تعالى المنزلة من أولها إلى آخرها على الأمر بتلك المحبة ولوازمها والنهي عن محبة ما يضادها وعدم ملازمتها وضرب الأمثال والمقاييس لأهل المحبين، وذكر قصصهم، ومآلهم ولا يجد حلاوة الإيمان بل لا يذوق طعمه إلا من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما كما في الصحيحين من حديث أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: ***(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أ، أنقذه الله من كما يكره أن يقذف في النار)***[١].

وكما في حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ***(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)***[٢].

ومحبة الرسول ﷺ من محبة الله واتباعه وطاعته لأن المحبة المرادة من محبـــة الله هي الطاعة، قال: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [سورة النساء/ الآية 60]، ولهذا كانت عبودية المحبة من العبادات التي يتقرب العبد بها إلى الله المنوطة برضا الله عنه.

(وأصل العبادة وكمالها هو المحبة وإفراد الرب سبحانه بها فلا يشرك العبد به فيها غيره)[٣].

وهي الكلمة المتضمنة لهذين الأصلين هي الكلمة التي لا يدخل في الإسلام إلا بها ولا يعصم دمه وماله إلا بالإتيان بها ولا ينجو من عذاب الله إلا بتحقيق هذه الكلمة بالقلب واللسان وذكرها أفضل كما في حديث عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم (16).

(٢) البخاري، صحيح البخاري، الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان، حديث رقم (14).

(٣) ابن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان، ج2/ ص134.

رسول الله ﷺ قال: ***(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله)***(١).

(هي التي يدخل بها العبد على ربه ويصير في جواره وهي مفزع أوليائه وأعدائه فإن أعداءه إذا مسهم الضر في البر والبحر فزعوا إلى توحيده وتبرؤوا من شركهم ودعوه مخلصين له الدين قال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [سورة لقمان/ الآية 32])(٢).

أي أن المشركين كانوا إذا أصابتهم مصيبة أو شدة فإنهم يلجؤون إلى الله مستغيثين مخلصين له الدين، إلا أنهم في الأيام القليلة ذات الرخاء فإنهم يدعون الله ويدعون معه غيره فعاب الله عليهم عملهم هذا وأراد العبادة خالصة له وحده لأنه هو وحده المستحق للعبادة والمحبة والطاعة وغيرها التي تحقق عبودية العبد لربه وطاعته له وهذا كله لا يتم إلا بمحبته ومحبة ما جاء به سبحانه على لسان رسوله ولذلك قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 31]، يقول ابن كثير: **(هذه الآية حاكمة على كل من أدعى محبة الله وليس هو على طريقة محمد فهو كاذب حتى يكون على النهج المحمدي بأقواله وأفعاله)**(٣).

إذا عرفت أن كل حركة أصلها الحب والإرادة فلابد من محبوب مراد لذاته أو لنفسه، فلا يطلب ويحب لغيره، إذ لو أن كل محبوب يحبه الناس لغيره للزم منه الدور والتسلسل في العلل والغايات، وهو باطل باتفاق العقلاء (٤)، والشيء قد يحب من وجه دون وجه، وليس شيء يُحَبُ لذاته من كل وجه إلا الله تعالى فتجد من الناس من هو مقيم بحب بلغ فيه درجته القصوى وإعجاب يسيطر على مشاعره وتصرفاته في الوقت الذي تجد أن حبا أقل من ذلك يكفي في هذا الموطن ما يجعل الأثر يظهر في معالجة كثير من القضايا، وهذا هو حب الله الذي هو جزء من العبودية التي خلقنا الله لأجلها

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة فخلوا سبيلهم، حديث رقم (24).

(٢) ابن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان، ج2: ص135.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج1: ص419.

(٤) ابن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان، ج2: ص135.

فقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات/ الآية 56]، فلو كانت في السماوات والأرض آلهة غير الله لفسدنا قال تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية 22]، والعبودية التي دعت الرسل إليها أممهم هو إلى توحيد الرب بها: هي العبادة والتأليه، ومن لوازمها: توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون، فأحتج الله عليهم به، فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الألوهية وهذه الألوهية هي المتضمنة لمحبته سبحانه، ويشير ابن القيم أيضا إلى معنى المحبة فيقول: (فالعبد أحوج شيء إلى ما يضره ليتجنبه، وما ينفعه ليحرص عليه ويفعله، فيحب النافع ويبغض الضار، فتكون محبته وكراهيته موافقين لمحبة الله تعالى وكراهته وهذا من لوازم العبودية والمحبة، ومتى خرج عن ذلك أحب ما يسخطه وكره ما يحبه فنقصت عبوديته بحسب ذلك)[١].

(فسؤال الله والتوسل إليه بامتثال أمره واجتناب نهيه، وفعل ما يحب من العبودية والطاعة هو من جنس فعل ذلك رجاء لرحمة الله وخوفا من عذابه وسؤاله كقوله أسألك بأن لك الحمد أنت الله المنان بديع السماوات والأرض وبأنك أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ونحو ذلك يكون من باب التسبب فإن كون المحمود المنان يقتضي منته على عباده وإحسانه الذي يحمد عليه)[٢].

وكونه الأحد الصمد الذي يُصمد إليه ويلتجأ إليه الناس في جميع حوائجهم والمستغنى عما سواه مفتقر إليه محتاج إليه ولا غنى للعباد عنه طرفة عين، وهذا سبب لقضاء حوائج الناس.

وهذا يبين سبب محبة العباد لربهم وخالقهم ورازقهم والله يجب أن يحب ويرضى به وبأمره ونهيه وبحكمه وشرعه والعمل لدينه يقول تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [سورة الزخرف/ الآية 61][٣].

---

(١) إغاثة اللهفان، ج2/ ص 135-138.

(٢) محمد بن أبي بكر أبو عبد الله المعروف بابن القيم الجوزية (ت 751هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم، ج2/ ص418.

(٣) محمد بن أبي بكر أبو عبد الله المعروف بابن القيم الجوزية (ت 751هـ)، طريق الهجرتين، ج1: ص442.

(وأما المحبة الخالصة التي لا تصلح إلا لله وحده ومتى أحب العبد بها غيره كان شركا لا يغفره الله فهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثاره على غيره فهذه المحبة لا يجوز تعلقها بغير الله أصلا وهي التي سوى المشركون بين آلهتهم وبين الله فيها كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ [سورة البقرة/ الآية 165]، يشير ابن كثير إلى معنى هذه الآية فيقول: (يذكر الله تعالى حال المشركين في الدنيا ومآلهم في الدار الآخرة حيث جعلوا لله أندادا أي أمثالاً ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه وهو الله لا إله إلا هو ولا ضد له ولا ند ولا شريك كما في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود قال: قلت يا رسول الله أي الذنب أعظم قال: أن تجعل لله أندادا وهو خلقك)[١]، وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ ولحبهم لله وتمام معرفتهم به وتوقيرهم وتوحيدهم له لا يشركون به شيئا بل يعبدونه وحده، ويتوكلون ويلجؤون إليه ثم توعد المشركين به الظالمين لأنفسهم فقال: (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا) [٢]، فلا ينفع الندم حينئذ ويتبين المقصود أن الحب هو حب الطاعة والانقياد والخضوع لما أراد الله تعالى ومتى صرف العبد هذه العبودية لغير الله تعالى لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، وقد تكون المحبة تابعة لمحبة الله فهذا لا ينقص عبوديته لله لأنه بهذه المحبة أحب غيره لله أي لطاعته ومحبته كما في الحديث (وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله)[٣].

(فأخبر سبحانه أن من أحب شيئا دون الله كما يحب الله فقد أتخذه ندا وهو معنى قول المشركين لمعبوداتهم ﴿ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء/ الآية 97-98]، فهذه تسوية في المحبة والتأليه لا في الذات والأفعال والصفات، والمقصود أنه سبحانه يحب نفسه أعظم محبة ويحب من يحبه وخلق خلقه، لذلك شرع شرائعه وأنزل كتبه لأجل ذلك وأعد الثواب والعقاب لأجل ذلك وهذا هو محض الحق

---

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، في كتاب الأدب، باب قتل الولد خشية أن يأكل معه، حديث رقم (5542).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج1/ ص240.

(٣) رواه البخاري، صحيح البخاري في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم (16).

الذي به قامت السماوات والأرض وكان الخلق والأمر فإذا قام به العبد فقد قام بالأمر الذي خلق له فرضي عنه صانعه وبارئه)(١).

ويظهر مما سبق ذكره أن من أحب شيئا أو شخصا وآثر محبته على محبة سبحانه كأن يكون أطاعه وأتبع أمره وأستسلم له أكثر من استسلامه لله فقد أتخذه ندا لله تعالى كحال اليهود الذين قال الله عنهم: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [سورة التوبة/ الآية 31]، يشير البيهقي إلى أن مدار العبودية على ستة أشياء: التعظيم والحياء والخوف والرجاء والمحبة والهيبة، فمن ذكر التعظيم يهيج الإخلاص والمراقبة له سبحانه ومن ذكر الحياء يكون العبد على خطرات قلبه حافظا ومذكرا نفسه لكل خطوة وفكرة، ومن ذكر الخوف يتوب العبد من الذنوب التي تكون عليه كالجبال للمؤمن الموحد وتكون للفاسق للذبابة يذبها عن وجهه ومن ذكر الرجاء يتسارع إلى الطاعات التي تقربه إلى ربه وتنجيه من أليم عقابه وتأخذ بيده إلى الجنات، ومن ذكر المحبة التي هي موضوع بحثنا تصفو له الأعمال ويكون أكثر حبا وأشَدُّ طاعة لربهم بحبهم، لأن المحب لمن يحب مطيع، ومن ذكر الهيبة يدع التملك والاختيار(٢)، وبالتعليق على حديث حلاوة الإيمان الذي رواه سيدنا أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: ***(ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار)***(٣)، يشير ابن حجر في شرحه لهذا الحديث فيقول: فالتقدير هنا ثلاث خصال خصلتين له، وقوله حلاوة الإيمان استعارة تخيلية شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو لأن المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرا والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه وكلما نقصت الصحة نقص ذوقه بقدر ذلك، وقيل إنما عبر الله تعالى عن الإيمان بالشجرة بقوله تعالى: ﴿ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾ [سورة إبراهيم/ الآية 24]، فالكلمة هي كلمة الإخلاص والشجرة أصل الإيمان

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج6/ ص391.

(٢) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي (ت 458هـ)، كتاب الزهد الكبير بيروت، ط3 سنة 1996م، ج2/ ص289.

(٣) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم (16).

وأغصانها إتباع الأمر واجتناب النهي وورقها ما يهتم به المؤمن من الخير وثمرها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر جني الثمرة، وغاية كماله تناهي نضج الثمرة وبه تظهر حلاوتها، و(أحب إليه) المراد هنا الحب العقلي الذي هو أشار ما يقتضي العقل السلام وإن كان على خلاف هوى النفس فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر ولا ينهى إلا بما فيه صلاح عاجل أو خلاص من آجل فإنه يتلذذ بهذه الطاعات، وعبر الشارع الحكيم عن الحلاوة لأنها أظهر اللذائذ المحسوسة، فلا يحب العبد إلا ما يحب الله ولا يأتمر إلا بأمره ونهيه ومعنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات وتحمل المشاق في الدين [١] وأما المراد بهذه الثلاث التي ذكرها في الحديث فهي حقيقة الإيمان والدين الذي يجب أن يَلتزم به المؤمنون ويعملوا على طريقه وهو الحب والمولاة في الله ومن أجل هذا الدين.

أخبر النبي ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان لأن وجد الحلاوة بالشيء تتبع المحبة له فمن أحب شيئا أو اشتهاه إذا حصل له مراده فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك، وكثير ممن ادعى المحبة يخرج عن شريعته وسنته ويدعي من الخيالات حتى قد يظن أحدهم سقوط الأمر عنه وتحليل الحرام له وغير ذلك ما فيه مخالفة لشريعة الرسول ﷺ وسنته وطاعته بل قد جعل محبة الله ومحبة رسوله ﷺ الجهاد في سبيله والجهاد يتضمن كمال محبة ما أمر الله به وكمال بغض ما نهى الله عنه ولهذا قال في صفة من يحبهم ويحبونه: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [سورة المائدة/ الآية 54][٢].

ومن الأسباب المقوية لمحبة الله وطاعته هو التعلق به دون سواه وهو أن يخلو القلب عن عبادة كل ما سواه وكمال معرفته بربه تعالى وتعظيمه جل وعلا، يشير الإمام الغزالي إلى هذا المعنى بقوله: اعلم أن أسعد الخلق في الآخرة أقواهم حبا لله تعالى إذ الآخرة هي القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبة، ولزيادة المحبة سببان[٣]:

---

(١) فتح الباري، ج1/ ص60-61.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج2/ ص393-395.

(٣) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت 505هـ)، إحياء علوم الدين، اعتنى به وضبطه محمد الدالي بلطه، بيروت، سنة 1421هـ-2001م، ج4: ص417-418.

أحدهما: قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب، فإن القلب مثل الإناء لا يتسع للخل مثلا ما لم يخرج منه الماء ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ [سورة الأحزاب/ الآية 4]، وكمال الحب في أن يحب الله ﷻ بكل قلبه فبقدر ما ينشغل بغير الله ينقص منه حب الله بقدره.

الثاني: لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلاؤها على القلب، وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلائقها يجري مجرى وضع البذر في الأرض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والمعرفة وهي الكلمة الطيبة التي ضرب الله بها مثلا فقال: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [سورة إبراهيم/ الآية 24]، وإليها الإشارة بقوله (إليه يصعد الكلم الطيب) أي المعرفة ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [سورة فاطر/ الآية 10]، فالعمل الصالح كالجمال لهذه المعرفة وكالخادم، وإنما العمل الصالح كله في تطهير القلب أولا من الدنيا ثم إدامة طهارته فلا يراد العمل إلا لهذه المعرفة، وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل، فالعلم هو الأول وهو الآخر وإنما الأول علم المعاملة وغرضه العمل، وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة[١].

وأما أقسام المحبة فيكون تقسيمها بحسب تقسيم ابن القيم إلى محبة ضارة ونافعة، وتكون المحبة ضارة ونافعة فبإعتبار متعلقها ومحبها ومن يحب ذلك الشخص أو يرديه، ويشير ابن القيم عن هذه المحبة بقوله: (وأما تقسيم هذه المحبة والإرادة إلى ضارة ونافعة، فهو باعتبار متعلقها ومحبوبها ومرادها فإن كان المحبوب المراد هو الذي لا ينبغي أن يُحب لذاته ويراد لذاته إلا هو، وهو المحبوب الأعلى، الذي لا صلاح للعبد، ولا فلاح ولا نعيم، لا سرور إلا بأن يكون هو وحده محبوبهُ ومراده وغاية مطلوبه، كانت محبته نافعة له، وإن كان محبوبهُ ومراده ونهاية مطلوبة غيره كانت محبته ضارةً له وعذابا وشقاء)[٢].

---

(١) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج4: ص417–418.

(٢) إغاثة اللهفان، ج2/ ص136.

فالمحبة النافعة هي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه من السعادة والنعيم، والمحبة الضارة هي التي تجلب لصاحبها ما يضره من الشقاء والعذاب والألم والعناء...الخ.

فمحبة الله وطاعته واتباع أمره وشرعه والإقتداء به وبالسلف الصالح ومحبتهم ومحبة المرء لله ومحبة الطعام والشراب للتقوى على طاعة الله، وحب الأموال والأولاد للاستعانة بهم للدعوة وإنشاء الولد والمال من أجل خدمة دين الله وعبادته وطاعته كل هذه من محبة الله النافعة.

وأما الشرك بالله وعدم التذكر بالآخرة وبعذاب الله وأليم عقابه، وحب الدنيا واتباع شهوات النفس والمعاصي التي نهى الله عنها وحب غيره من الأنداد والأوثان ولم يتبع شرعه وتعلق قلبه بغير الله تعالى فإن جزاءهم يكون كما في قوله تعالى: ﴿لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [سورة الحج/ الآية 9]، وهذه هي المحبة الضارة وهذا هو استحقاقه من العذاب لمن أرادها وسعى إليها.

وأما المحبة النافعة التي ينال بها العبد حب الله تعالى ومحبته معرفته ومعرفته، كما في قوله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ (سورة التوبة/ الآية 108)، أي أن الله يحب الذين يريدون أن يتطهروا من الذنوب وكانوا حريصين على أن يتطهروا من كل ذنب فعلوه من قبل والله يحب المتطهرين.

منزلة المحبة والأسباب الجالبة لها

ومن المنازل التي درجها ابن القيم في كتابه مدارج السالكين بين منازل (إياك نعبد وإياك نستعين) هي منزلة (محبة الله تعالى):

(وهي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون، وإليها شخص العاملون، وإلى علمها شمر السابقون وعليها تفانى المحبون وبروح نسميها تروح العابدون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح وقرة العيون، هي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحر الظلمات، والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة الذي من لم يظفر بها فعيشه كله همومٌ والآم، وهي روح الإيمان والأعمال وأعلى مقامات المؤمنين وأعمالهم، التي متى خلت منه فهي كالجسد الذي لا روح فيه، تحمل أثقال السائرين إلى بلاد لم يكونوا إلا بشق الأنفس بالغيها، وتوصلهم إلى منازل لم يكونوا بدونها أبدا واصليها، وتبوئهم من مقاعد الصدق مقامات لم يكونوا لولاها

داخليها، تاالله لقد ذهب اهلها بشرف الدنيا والآخرة إذ لهم من محبة محبوبهم أوفر نصيب وقد قضى الله يوم قدر مقادير الخلائق بمشيئته وحكمته البالغة: إن المرء مع من أحب، فيالها من نعمة على المحبين سابقة)[١].

ويتبين مما سبق ذكره مهمة المحبة وأهميتها للعبد المؤمن وأنها الطريق الموصل لله تعالى.

وأما الأسباب الجالبة للمحبة والموجبة لها فهي عشرة أسباب وهي فيما يأتي:

1) قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه ولما أريد به ليتسنى فهمه والعمل به.
2) التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض فإنها توصله إلى درجة المحبوبية بعد المحبة.
3) دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال، فنصيبه من المحبة على قدر نصيبه من هذا الذكر.
4) إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى، والتسنم إلى محابه، وإن صعب المرتقى.
5) مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها ومعرفتها والتقلب في رياض هذه المعرفة ومباديها.
6) مشاهدة بره وإحسانه وآلائه، ونعمه الباطنة والظاهرة، فإنها داعية إلى محبته.
7) وهو من أعجبها، انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالى.
8) الخلوة به وقت النزول الإلهي لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بآداب العبودية.
9) مجالسة المحبين الصادقين والتقاط أطيب ثمرات كلامهم كما ينتقى أطايب الثمر.
10) مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله ﷻ[٢].

ثمرات محبة الله تعالى:-

إن محبة الله تعالى لها حلاوة عند عباده تؤنس وحشتهم وتطيب خاطرهم وتلهيهم عند ذكره، ذكر من سواه ولم يهمه من أمر دنياه بهذه المحبة، يقول أبو بكر ﷺ: **(من ذاق خالص محبة الله ورسوله شغله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر)**[٣].

---

(١) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج3: ص8.

(٢) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج3: ص16-17.

(٣) الغزالي، مختصر أحياء علوم الدين/ ص257.

ومعنى المحبة: أن يميل الطبع لكونه لذيذا عنده والبغض ضده وهو نفرة الطبع لكونه غير موافق له، وكلما زادت لذته كان أبلغ في الحب كما في حديث أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: ***(حبب إلي من الدنيا النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة)***[١].

فكان ذلك كل ما حبب لنبينا عليه الصلاة والسلام من أمر دنياه وكانت اثنان منهما متعلقة بالعبادة وهما الطيب الذي هو من السنة أن يضعه المسلم عند ذهابه للمسجد والصلاة التي كانت قرة عينه ﷺ.

وجاء في معنى قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [سورة إبراهيم/ الآية 24–25]، يشير منصور أبـو الفتوح إلى هذا المعنى بقوله **(إذا غرست شجرة المحبة في القلب وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب ﷺ أثمرت أنواع الثمار، وآتت أكلها كل حين بإذن ربها: أصلها ثابت في قرار القلب وفرعها متصل بسدرة المنتهى)**[٢].

ويقول أيضا: **(إذا رأيتم الناس مشغولين بأمر الدنيا فاشتغلوا انتم بأمر الآخرة وإذا رأيتم الناس مشغولين بتزيين ظاهرهم فاشتغلوا انتم بتزيين بواطنكم، وإذا رأيتم الناس قد اشتغلوا بعمارة البساتين والقصور فاشتغلوا أنتم بعمارة القبور، وإذا رأيتم الناس قد اشتغلوا بعيوب الناس فاشتغلوا أنتم بعيوب أنفسكم، ولتتخذوا من هذه الدنيا زادا يوصلكم إلى الآخرة، فإنما الدنيا مزرعة الآخرة)**[٣].

ومن ثمرات محبته ﷺ أن كل محبة يحبها العبد هي تابعة لمحبة الله تعالى كمحبة رسوله ﷺ والصحابة الكرام رضوان الله عليهم وسلفهم وتابعيهم ومحبة المؤمنين الصالحين والصادقين وجميع المسلمين هي تابعة لمحبة الله تعالى وطاعة له أيضا لذلك يقول ابن تيمية: (فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسر، ولا يلتذ ولا يطيب، ولا يسكن ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحده والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن، إذ فيه فقر ذاتي –بالفطرة– من حيث هو

---

(١) رواه أحمد، مسند أحمد، كتاب باقي مسند المكثرين، باب باقي المسند السابق، حديث رقم (13536).

(٢) منصور أبو الفتوح، همس القلوب، دار ابن حزم، ط2، 1424هـ–1994م/ ص42.

(٣) المرجع نفسه/ ص43.

معبوده ومحبوبه ومطلوبه، وبذلك يحصل الفرح والسرور واللذة والنعمة، والسكون والطمأنينة، وهذا لا يحصل له إلا بإعانة الله له، فإنه لا يقدر على تحصيل ذلك له إلا الله فهو دائما مفتقر إلى حقيقة (إياك نستعين)، فإنه لو أعين على حصول ما يحبه ويطلبه ويشتهيه ويريده ولم يحصل له عبادة لله، فلن يحصل إلا على الألم والحسرة والعذاب، ولن يتخلص من الآم الدنيا ونكد عيشها إلا بإخلاص الحب لله بحيث يكون هو غاية مراده ونهاية مقصوده، وهو المحبوب له بالقصد الأول، وكل ما سواه إنما يحبه لأجله، لا يحب شيئا لذاته إلا الله)(١).

إن محبة الله تعالى لعدة أصناف وصفهم بأنه يحبهم قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة/ الآية 4-7]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 222]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [سورة الصف/ الآية 4]، وأنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها فهو إلهها ومعبودها ووليها ومولاها، وربها ومدبرها ورازقها ومحييها ومميتها، فبمحبته نعيم النفوس، وحياة الأرواح، وسرور النفوس، وقوت القلوب ونور العقول وقرة العيون وعمارة الباطن(٢).

وإن الدين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل وجه، وتحقيق محبة الله بكل أمر ونهي وبقدر حب العبد لربه تكون المحبة لله وبقدر نقصه يكون النقص بالعبودية وكلما كانت المحبة لغير الله كانت عبودية لغير الله (وإنما دين الحق تحقيق العبودية لله بكل وجه، وهو تحقيق محبة الله بكل درجة، وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده، وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا، وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك، وكلما كان فيه عبودية لغير الله كان فيه حب لغير الله بحسب ذلك وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة، وكل عمل لا يراد فيه وجه الله فهو باطل، فالدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان لله، ولا يكون لله إلا ما أحبه الله ورسوله وهو المشروع، وكل عمل أريد به غير الله لم يكن لله)(٣).

فعلل محبة الله ورضاه هو أن يكون موافقا لحب الله ورسوله وتشريعهما لهذا الأمر والنهي وكل عمل لا يوافق شرع الله ورسوله لا يقبل، يقول ابن تيمية: (كل عمل

---

(١) القرضاوي، العبادة في الإسلام/ ص108-109.
(٢) ابن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان، ج2/ ص197.
(٣) ابن تيمية، العبودية/ ص41.

لا يوافق شرع الله لم يكن لله، بل لا يكون لله إلا ما جمع الوصفين: أن يكون لله، وأن يكون موافقا لمحبة الله ورسوله وهو الواجب والمستحب كما قال تعال: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف/ الآية 110])[١].

وهذا الأصل هو أصل الدين وبحسب تحقيقه يكون تحقيق الدين، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب وإليه دعا الرسول ﷺ وعليه جاهد وبه أمر وفيه رغب الناس في هذا الدين، وهو قطب الدين الذي تدور عليه رحاه وتقوم عليه.

(وكثيرا ما يخالط النفوس من الشهوات الخفية ما يفسد عليها تحقيق محبتها لله وعبوديتها له وإخلاص دينها له كما قال شداد بن أوس: يا بقايا العرب، إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء، والشهوة الخفية، قيل لأبي داود السجستاني: وما الشهوة الخفية؟ قال: حب الرئاسة)[٢].

وأن العبد كلما ازداد تحقيقاً للعبودية ازدادت محبته لله وعبوديته له وطاعته له وإعراضه عن عبادة غيره ومحبة غيره وطاعة غيره[٣].

وأن الكاملين في محبته تعالى الذين كملت عقولهم ليس فيها سوى محبة الله وإرادته وعبادته.

وتوحيد الله وطاعته وصرف جميع أنواع العبودية له وحده هي أحب الطاعات إلى الله تعالى التي يحبها الله تعالى ومن أشد الطاعات التي يحبها الله تعالى هي عبودية الذِكر كما في الحديث الشريف عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله تعالى)[٤].

وهذا العمل أو هذه الطاعة من أفضل القربات والطاعات التي تعلق العبد بربه وتجعله يحبه لأنه على كل حاله يلهج بذكره لأن الله خلق الخلق لمعرفته وتعظيمه والثناء عليه ومدحه وذكره، ولأن العبد بهذه الطاعة يثني على الله ويسبحه ويقدسه

---

(١) ابن تيمية، العبودية/ ص41.

(٢) المصدر نفسه/ ص41.

(٣) ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، ج2/ ص400.

(٤) سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب منه، حديث رقم (3299).

ويذكر نعمة ربه وفضله عليه، وهذه من أفضل العبادات التي تحبب العبد بربه وتقوى عزيمته على طاعته وإتباع أمره والانقياد لشرعه وحكمه.

ونختم كلامنا عن المحبة بقول ابن القيم إذ يقول: (لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى فلو يعطى الناس بدعواهم لا دعى الخلي حرقة الشجي فتنوع المدعون في الشهود فقيل لا تقبل هذه الدعوى إلا ببينة ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 31]، فتأخر الخلق كلهم وثبت اتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه فطولبوا بعد اله البينة بتزكية يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون فقيل لهم عن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فهلموا إلى بيعة ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [سورة التوبة/ الآية 111]، فلما عرفوا عظمة المشتري وفضل الثمن وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع عرفوا قدر السلعة وأن لها شأنا فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي من غير ثبوت خيار وقالوا والله لا نقيلك ولا نستقيلك، فلما تم العقد وسلموا المبيع قيل له منذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعافها معا ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 169-170])(١).

إذا غرست شجرة المحبة في القلب وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب أثمرت أنواع الثمار وآتت أكلها كل حين بإذن ربها أصلها ثابت في قرار القلب وفرعها متصل بسدرة المنتهى(٢).

فلا يزال سعي المحب صاعدا إلى حبيبه أو محبوبه بالعمل الصالح لا يحجبه دونه شيء قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [سورة فاطر/ الآية 10]، يقول الشيخ سعد القحطاني ولابد للمحبة ثلاثة مقامات:

الأول: مقام التكميل: وهو أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما.

---

(١) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج3/ ص8.

(٢) المصدر نفسه، ج3/ ص9.

الثاني: مقام التفريق: وذلك بأن يحب المرء لا يحبه إلا لله فيفرق بين ما يحبه لله وبين ما يكرهه.

والمقام الثالث: مقام دفع الضد: وذلك بأن يكره ما يضاد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار[١].

المطلب الثاني: الركن الثاني: الخوف

الخوف لغة واصطلاحاً:-

أولا: الخوف لغة:

الخاء والواو والفاء أصل واحد **يدل على الذُعر والفزع**[٢]، يقال: خاف الرجل يخاف خوفا وخيفة فهو خائف، وقوم خوف على الأصل ... والإخافة والتخويف، والمخافة والمخيفة: موضع الخوف، يقال طريق مخوف يخافه الناس، ومخاف يخيفه الناس، والخيفة: الخوف، والجمع: خيف[٣].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 175]، يخوفكم بأوليائه وخوفت الرجل -جعلت الناس يخافونه-والاسم من ذلك خيفة [٤]، ويقال خاف الرجل وفزع وخشي ووجل وفرق ورهب ووهل وأرتاع وأرتعب وأنذعر، وقد ريع من الأمر[٥].والخوف يتعدى إلى مفعول واحد [٦]، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 175]، وقوم (خُوَفْ): خائفون (أو هذه إسم للجمع) ومنه قوله تعالى: ﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [سورة الأعراف/ الآية 56]، أي اعبدوه خائفين، وطامعين في ثوابه[٧].

---

(١) سعد بن محمد القحطاني، مختصر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في علم التوحيد للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، تقديم ناصر بن عبد الكريم العقل، دار إشبيليا، الطبعة الثانية سنة 1419هـ-1999م/ ص130.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (خوف)، ج2/ ص230.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج9/ ص99-100.

(٤) ابن سيده، المخصص، السفر الثاني عشر/ ص121.

(٥) إبراهيم اليازجي، نجعة الرائد وشرعه الوارد في المترادف والمتوارد-مكتبة لبنان-بيروت/ ص218.

(٦) ابن عاشور، تفسير الحرير والتنوير، ج2/ ص409.

(٧) الزبيدي، تاج العرس، ج6/ ص105.

والخوف: مصدر خاف، الفزع: القتل: القتال، جمع أو إسم جمع للخائفين[١].

وقيل: طريق مخوف، ومخيف يخافه الناس، ووجع مخوف ومخيف يخيف من رآه، وفي الحديث (من أخاف أهل المدينة أخافه الله)[٢].

ثانياً: الخوف إصطلاحا:

لقد عُرِفَ الخوف بتعاريف متعددة منها: **بأنه توقع حصول ما تكرهه النفس وهو ضد الأمن، ويطلق على أثره، وهو السعي في مرضاة المخوف منه (وهو الله تعالى عند جميع المسلمين وامتثال أوامره كقوله تعالى:** ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 175]، **وترادفه الخشية لأن عدم إقامة حدود الله مما يخافه المؤمن)**[٣].

وعرفه أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى الخوف **أنه (عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال)**[٤].

وعرفه الجرجاني بأنه **(توقع حصول مكروه أو فوات محبوب)**[٥].

وقال بعضهم: **الخوف من الله ملك لا يسكن إلا في قلب متقٍ**[٦].

يقول الجنيد: **هو توقع العقوبة مع مجاري الأنفاس**[٧].

وقد وردت أقوال أخرى في تصوير معنى الخوف، فقيل: **هو هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره، وقيل: هو قوة العلم بمجاري الأحكام)**[٨].

---

(١) الشيخ أحمد بن رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة–بيروت 1377هـ– 1958م، ج2/ ص357.

(٢) رواه ابن حبان، باب ذكر البيان بأن الله جل وعلا يخوف من أخاف أهل المدينة بما أشاء من أنواع بليته، حديث رقم (3738).

(٣) تفسير التحرير والتنوير، ج2/ ص409.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج4/ ص205.

(٥) التعريفات/ ص60.

(٦) الإمام القشيري، الرسالة القشيرية / ص308.

(٧) المصدر نفسه/ ص309.

(٨) عبد الله البستاني اللبناني، البستان معجم لغوي، المطبعة الأمريكانية، بيروت–لبنان سنة 1927/ ص729.

والخوف من الله علامة على قوة الإيمان به سبحانه إذ يخاف المؤمن ممن لا يراه، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ [سورة المائدة/ الآية 94]، على حين يراه الله سبحانه لأنه بكل شيء محيط.

ولذا قيل: كل واحد إذا خفته هربت منه إلا الله، فإذا خفته هربت إليه(١).

فالخوف من الله يجعل العبد سالكا الطريق القويم الذي يرضي الله ﷻ من دون الوقوع في المعاصي وخصوصا الكبائر.

من خلال ما سبق من هذه التعريفات نلخص تعريف الخوف بأنه استشعار بالعقوبة يحول دونه ارتكاب السيئات أو الخوض في المحرمات مع جعل إرضاء الله ﷻ الغاية التي نسعى إليها جميعا.

وعرف الخوف الكثير من المختصين في كثير من المجالات فمن الوجهة النفسية:

يحدد سعد جلال مفهوم الخوف فيقول: **(الخوف انفعال ودافع يتضمن حالة من حالات التوتر التي تدفع بالخائف إلى الهرب من الموقف الذي أدى إلى استثارة الخوف حتى يزول التوتر ويزول الانفعال)**(٢).

أما الدكتور جميل صلبيا: **(الخوف انفعال نفساني فطري ينجلي في الهرب من الأخطار والابتعاد عنها)**(٣).

ويقول الدكتور محمد عثمان نجاتي : **(الخوف حالة من الاضطراب الحاد الذي يشمل الفرد كله)**(٤).

ويقول الأستاذ محمود الزيني: **(الخوف انفعال هروبي مؤلم يدفع الفرد إلى تجنب المواقف التي تهدد بإلحاق الضرر بالذات)**(٥).

---

(١) الإمام القشيري، الرسالة القشيرية/ ص309.

(٢) الدكتور سعد جلال، علم النفس الاجتماعي، منشأة المعارف بالإسكندرية ط 2/ 1404هـ-1984م/ ص330.

(٣) جميل صلبيا، علم النفس/ ص271.

(٤) الدكتور محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، بيروت/ 1982م// ص65.

(٥) محمود محمد الزيني، سيكلوجية النمو الدافعية/ ص 381 نقلا عن رسالة ماجستير بعنوان آيات الخوف والرجاء في القرآن الكريم، عبد الله خلف أسود الجوالي/ ص13.

وقد عرف الخوف أيضا بأنه سلوك يتميز بصيغة انفعالية غير سارة ويصحبه نشاط في الجهاز السمبتاوي وردود فعل حركية وأوضاع جسمية مختلفة مثل الاهتزاز، والتذلل والهروب والنوبات التشنجية أو الاهتزازية، وهو يفترق عن الإرهاب أو الخوف المرضي الذي يدل على مخاوف ملحة وغير معقولة، خوف الأماكن المغلقة، الحرب، الرعد، البرق، الأماكن الشاهقة[١].

ويتضح مما سبق ذكره أن تعاريف الجميع تكاد تكون متقاربة، والملفت للنظر هو تقارب الجميع من أن الخوف: انفعال فطري نفساني، كما أن هذه التعريفات ركزت على أن الانفعالات تجاه الخوف يكون بالهرب مع أن الانفعال قد يكون في كثير من الأحيان بمقاومة الخطر ومواجهته، ويعد انفعال الخوف حالة الاضطراب الذي يشمل الفرد كله، فهو يحدث تغيرات كثيرة في الوظائف الداخلية في الجسم، وفي ملامح الوجه، ونبرات الصوت، وهيئة البدن وغيرها[٢].

وقد فرق الراغب بين الخوف من الله والخوف مما يعرض من أمور الدنيا نذكر أن: (الخوف من الله لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكف عن المعاصي واختيار الطاعات، ولذلك قيل: لا يعد خائفا من لم يكن للذنوب تاركا)[٣].

وهذا هو الذي نميل إليه أي الخوف القائم على المراقبة لأن الخوف من الله كون الإنسان عبداً، وليس حالة مرضية، وإنما هي حالة إيجابية ترتقي بالمؤمن إلى أعلى درجات الهدوء والراحة النفسية، فإذا ما اطمأن إلى أنه حقق في الخوف ما أراده القرآن. شعر حينئذ بالطمأنينة والسعادة لأن الله تعالى بشر المؤمنين ﴿أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 170].

كما أن هذا الخوف قائم على أسس نفسية تمتلك إرادة عالية في ضبط الجوارح عن ارتكاب المناهي وهذا ما نلحظه في الآية التي تصور ذلك لدن أحد ولدي آدم عليه السلام

---

(١) نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم، دار الحضارة العربية، بيروت ط 1- 1974م/ ص379.

(٢) محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس/ ص64.

(٣) المفردات في غريب القرآن/ ص162.

إذ هم أخوه بقتله ثم قتله فقال له حين هدده بالقتل: ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة المائدة/ الآية 28].

إن عبودية الخوف من العبادات البالغة الأهمية عند العبد المسلم لأنها من أشد وأكثر الوسائل شدة التي تردع العبد عن فعل المعاصي وترك الطاعات ونشر الفساد في الأرض وهي تكون في جانبين فمن وجه تكون عبادة قلبية ومن وجه تكون عبادة بدنية فأما من جهة القلب فهي الخوف من الله ﷻ لذاته لأنه هو الإله الذي يجب أن يطاع ويدعى ويوحد وهو صاحب كل نعمة تحصل للإنسان وخوفا من عتابه ووقوفه أمام الخلائق ويقره بسيئاته وكل هذا شعور يستشعر الإنسان بقلبه ونفسه.

ومن ناحية أخرى هي عبادة بدنية فأنه يخاف على بدنه ونفسه من عقاب الله وأليم عذابه وما أعده الله للكافرين من النار والحميم وأنواع العذاب التي ذكرها الله في كتابه، قال تعالى: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [سورة غافر/ الآية 46]، وهنا يبين شدة عذاب الكافرين في الآخرة والخزي في الدنيا.

اعلم إن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في المستقبل مثال ذلك من جنى على ملك جناية، ثم وقع في يده، فهو يخاف القتل، ويتوقع العفو ولكن يكون تألم قلبه بحسب قوة علمه بالأسباب المفضية إلى قتله، وتفاحش جنايته، وتأثيرها عند الملك (وبحسب ضعف الأسباب يضعف الخوف، وقد يكون الخوف لا عن سبب جناية، بل عن صفة الخوف وعظمته وجلاله، إذ قد علم أن الله سبحانه لو أهلك العالمين لم يبال، ولم يمنعه مانع، فبحسب معرفة الإنسان بعيوب نفسه، وبجلال الله تعالى واستغنائه، وأنه لا يسأل عما يفعل، يكون خوفه)[(١)].

وأخوف الناس أعرفهم بنفسه وبربه ولذلك كان النبي ﷺ أشد الناس خشية، عن مسروق عن عائشة (رضي الله عنها) صنع النبي ﷺ شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي ﷺ فخطب فَحَمِدَ الله ثم قال: ما بالُ أقوام يتنزهون عن شيء أصنعه فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية[(٢)].

---

(١) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين/ ص383.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب،لا باب من لم يواجه الناس بالعتاب، حديث رقم (5636).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر/ الآية 28].

وإذا تمت وكملت المعرفة أثرت الخوف ففاض أثره على القلب ثم ظهر على الجوارح والصفات بالنحول والاصفرار والبكاء والغشي، وقد يفضي إلى الموت وقد يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل(١).

وأما أثره على الجوارح فيكفيها عن المعاصي، وإلزامها الطاعات، تلافيا لما فرط، واستعدادا للمستقبل، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا أن سلعة الله الغالية ألا أن سلعة الله الجنة)(٢).

قال أحد السلف ليس الخائف من بكى وإنما الخائف من ترك ما يقدر عليه، ومن ثمرات الخوف أنه يقمع الشهوات، ويكدر اللذات ويردها، تقصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه إذا علم أن فيه سما (فتحترق الشهوات بالخوف، وتتأدب الجوارح، ويذل القلب ويستكين، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، ويصير مستوعب الهم لخوفه، والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرغ لغيره) (٣)، قال تعالى: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 175]، ولا يكون له شغل أو عمل إلا عبودية المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمات(٤).

فقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخوف وحال الخائف، وقوة الخوف تكون بحسب قوة معرفة العبد بجلال الله تعالى ومعرفة أسمائه وصفاته وتذكر نعمه وأفضاله عليه وبعيوب النفس وذنوبها وتقصيرها وما بين يديها من الأخطار والأهوال.

والخوف هي منزلة من منازل (إياك نعبد وإياك نستعين) التي درجها ابن القيم وهو من أجل منازل الطريق، وأنفعها للقلب وهي فرض على كل أحد(٥).

---

(١) ابن قادمة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين/ ص383.

(٢) سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، باب ما جاء في صفة أواني الحوض، حديث رقم (2374).

(٣) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين/ ص384.

(٤) المصدر نفسه/ ص384.

(٥) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج1/ ص410.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 175]، وقال تعالى: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [سورة البقرة/ الآية 40]، وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِي﴾ [سورة المائدة/ الآية 44]، ومدح أهله في كتابه وأثنى عليهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [سورة المؤمنون/ الآية 57-61]، وفي صحيح الترمذي عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت: **(قلت يا رسول الله قول الله (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ) يا رسول الله هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله قال لا يا بنت أبي بكر يا بنت الصديق ولكنه الذي يصلي ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله ﷻ)**[١].

(قال الحسن أعملوا لله بالطاعات واجتهدوا، وخافوا أن ترد عليهم. إن المؤمن من جمع إحسانا وخشية والمنافق من جمع إساءة وأمنا)[٢].

والوجل والخوف والخشية والرهبة ألفاظ متقاربة في معانيها غير مترادفة، وقيل الخوف اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف، وقيل الخوف هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره[٣].

(والخشية أخص من الخوف، لأن الخشية خاصة بالعلماء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر/ الآية 28]، فهي خوف مقرون بمعرفة)[٤].

قال النبي ﷺ: (إني أتقاكم لله وأعلمكم بالله أنا)[٥].

فالخوف مقارب للوجل، فالوجل هو رجفان القلب وإنصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته، أو لرؤيته[٦].

---

(١) رواه أحمد، مسند أحمد، كتاب مسند الأنصار، باب باقي مسند الأنصار، حديث رقم (24102).
(٢) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج1/ ص410.
(٣) المصدر نفسه، ج1/ ص411.
(٤) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج1/ ص411.
(٥) صحيح البخاري، كتاب الإيمان باب قول النبي أنا أعلمكم بالله، حديث رقم (19).
(٦) أنظر ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج1/ ص411.

وأما الهيبة: فهو خوف مقارن للتعظيم، وأكثر ما يكون مع المحبة والمعرفة، والإجلال: تعظيم مقرون بالحب(١).

إذن فالخوف لعامة المؤمنين، والخشية للعلماء العارفين، والهيبة للمحبين والإجلال للمقربين من عباد الله الصالحين، وعلى قدر العلم بالله ومعرفته سبحانه يكون الخوف والخشية وكانوا أشد الناس تقوى وخشية هو الرسول ﷺ كما في حديث عائشة (رضي الله عنها) عن النبي ﷺ قال: ((***إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية***))(٢)، وكما في حديث أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: ((***لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله***))(٣).

فصاحب الخوف دائما يلتجئ إلى الهرب والإمساك، وصاحب الخشية يلتجأ إلى الاعتصام بالعلم، ومثلهما مثل من لا علم له بالطب، ومثل الطبيب، فالأول يلتجأ إلى الحماية والهرب، والطبيب إلى معرفته بالأدوية والأدواء(٤).

(والخوف سوط الله يُقوِمُ به الشاردين عن بابه، والخوف سراج في القلب به يبصر ما فيه من الخير والشر)(٥).

وكل أحد إذا خفته هربت منه إلا الله عز وجل فإنك إذا خفته هربت إليه، فالخائف يكون هارباً من الله إليه، قال تعالى: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة الذاريات/ الآية 50].

فيتبين أن الخائف مهما ذهب وهرب وابتعد فإن الله قريب منه عليم بحاله وبما يفعل وما يَكُن بنفسهِ وقد بشر الله أهل الخشية بالغيب بالمغفرة والأجر الكبير، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [سورة الملك/ الآية 12-13].

---

(١) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج1/ ص411.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الآداب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، حديث رقم (5636).

(٣) سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله، باب في قول النبي لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، حديث رقم (2234).

(٤) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج1/ ص412.

(٥) المصدر نفسه، ج1/ ص412.

ولذلك أشد الناس خوفا وخشية هم الأنبياء ثم العلماء ثم المقربون ثم الصادقون العارفون بجلال الله وعظمته ولذلك قال أحدهم **(ما فارق الخوف قلباً إلا خَرِبَ)** وقيل **(إذا سكن الخوف القلوب أحرق مواضع الشهوات وطرد الدنيا عنها)**[١].

وقال ذو النون: **(الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلوا الطريق)**، وقال حاتم الأصم : **(لا تغتر بمكان صالح، فلا مكان أصلح مـــن الجنة...)**، والخوف ليس مقصودا لذاته بل هو مقصود لغيره قصد السؤال، ولهذا يزول بزوال المخوف، فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولاهم يحزنون[٢].

درجات الخوف

والخوف يتعلق بالأفعال، والمحبة تتعلق بالذات والصفات، ولهذا تتضاعف محبة المؤمنين لربهم إذا دخلوا دار النعيم، ولا يلحقهم فيها خوف ولهذا كانت منزلة المحبة أعلى وأرفع من منزلة الخوف ومقامه[٣].

والخوف الصدق المخلص والمحمود: هو الذي يحول بين المؤمن وبين محارم الله ﷻ حتى يبعده عنها، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط.

وقيل: صدق الخوف هو الورع عن الآثام ظاهرا وباطنا، يقول ابن القيم سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: الخوف المحمود: ما حجزك عن محارم الله[٤].

الخوف يكون على ثلاث درجات:

1) الخوف من العقوبة وهو الخوف الذي يصح به الإيمان وهو خوف العامة وهو يتولد من تصديق الوعيد، وذكر الجناية، ومراقبة العاقبة.
2) خوف المكر في جريان الأنفاس المستغرقة في اليقظة المشوبة بالحلاوة.
3) وليس في مقام أهل الخصوص وحشة الخوف إلا هيبة الجلال، وهي أقصى درجة يشار إليها في غاية الخوف[٥].

---

(١) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج1/ ص154.

(٢) المصدر نفسه، ج1/ ص412.

(٣) المصدر نفسه، ج1/ ص412.

(٤) المصدر نفسه، ج1/ ص413.

(٥) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج1/ ص413-414.

(وأقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع المخطورات، فإن منع ما يتطرق إليه إمكان التحريم سمي ورعا، وإن انظم إليه التجرد والاشتغال بذلك عن فضول العيش فهو الصدق)[1].

أقسام الخوف

إعلم إن مقامات الخائفين تختلف فمنهم من يغلب على قلبه خوف الموت قبل التوبة، ومنهم من يغلب عليه خوف الاستدراج بالنعم، أو خوف الانحراف عن الاستقامة ومنهم من يغلب عليه خوف سوء الخاتمة، ومنهم من يخاف هيبة الوقوف بين يدي الله تعالى، ومنهم من يخاف مناقشة الحساب، ومنهم من يخاف النار وأهوالها، ومنهم من يخاف أن يحرمه الله الجنة.

(ومنهم من يخاف الحجاب عن الله ...ﷻ فأعلاها رتبة هي رتبة خوف الحجاب عن الله تعالى، وهو خوف العابدين، ما قبل ذلك خوف الزاهدين العابدين)[2].

فضيلة الخوف

إن فضيلة الشيء بقدر إعانته على طلب السعادة وهي لقاء الله تعالى والقرب منه فكل ما أعان على ذلك فهو فضيلة، قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ **[سورة الرحمن/ الآية 46]، وذكر فضل المرضي عنهم فقال** ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ **[سورة البينة/ الآية 8]، وكما في الحديث القدسي عن أبي هريرة**ﷺ **قال النبي**ﷺ**: فيما يرويه عن ربه** ﷻ **قوله** ((*وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين وأمنين إذا خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة وإذا أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة*))[3].

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ أنه قال: ***(عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله)***[4].

وأخيرا نقول إن منشأ الخوف من ثلاثة أمور وهي:

---

(١) ابن قدامة المقدسي، مختصر منهاج القاصدين/ ص384.

(٢) المصدر نفسه، ص386.

(٣) ابن حبان، صحيح بن حبان، باب البيان بأن حُسن الظن يجب أن يكون مقرونا بالخوف منه جل وعلا، حديث رقم (640).

(٤) سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد عن رسول الله، باب فضل الحرس في سبيل الله، حديث رقم (1563).

1) معرفة العبد بجنايته وقبحها.

2) التصديق بوعيد الله، وأن الله رتب على المعاصي عقوبتها.

3) أن يعلم أنه ربما حيل بينه وبين التوبة(١).

المطلب الثالث : الركن الثالث .. الرجاء

تعريف الرجاء لغة واصطلاحاً:

أولاً: الرجاء لغةً: الرجاء من الأمل: نقيض اليأس ممدود رجاه يرجو رجواً ورجاءً ورجاوةً. ومرجاة ورجاة.

وأنشد ابن الإعرابي:

غدوت رجاة ان يجود مقاعس وصاحبه، فاستقبلاني بالغدر(٢)

ثانياً: الرجاء اصطلاحاً: الرجاء بمعناه غير الحسي: **(هو الظن بوقوع الخير الذي يعتري صاحبه الشك فيه إلا أن ظنه فيه أغلب، وليس هو من قبيل العلم وهو الأمل في الخير)**(٣).

فهذا الخير هو الفارق الأساسي بين الرجاء وبين الخشية والخوف فهما أيضاً رجاء ولكن في الشر والخير.

قال الراغب الأصفهاني: **والرجاءُ ظنٌّ يقتضي حصول ما فيه مسرة** (٤) ويرى الجرجاني أن **الرجاء في اللغة: الأمل واصطلاحاً: تعلق القلب بحصول محبوب في المستقبل**(٥).

وعرفه الإمام الغزالي بأنه : **(حالة إيمانية يرتاح القلب فيها لانتظار ما هو محبوب عنده)**(٦). وهو أحد مقامات السالكين إلى الله تعالى الملتمسين رضا الطامعين بالفوز عنده بأعلى المراتب ولذا عدّه ابن القيم الجوزية: المنزلة التاسعة عشر من منازل

---

(١) سعد القحطاني، مختصر معارج القبول/ ص133.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة (رجا)، ج14/ ص309.

(٣) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، (ت 395 هـ)، الفروق في اللغة، دار الآفاق الحديثة، بيروت الطبعة الخامسة 1981م/ ص238.

(٤) المفردات، مادة (رجا)/ ص190.

(٥) التعريفات/ ص64.

(٦) إحياء علوم الدين، ج4/ ص188.

العبودية لله. فقال في مدارج السالكين: الرجاء: رجاء يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب. وهو الله والدار الآخرة ويطيب لها السير[١].

وقيل: هو الاستبشار بجود الرب تبارك وتعالى وفضله، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه. **وقيل:** هو الثقة بجود الرب تعالى. وقيل الرجاء هو النظر إلى سعة رحمة الله تعالى. أما الإمام الغزالي: فقال: الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين وهو يضاد اليأس[٢].

وقد وردت مادة (ر، ج، ا) في القرآن الكريم في (28) موضعاً: جاءت طائفة منها بالدلالة اللغوية الحسية: وهي طرف الشيء وجوانبه وذلك عند الحديث عن السماء، قال تعالى ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴾ [سورة الحاقة/ الآية 17]. فالآية تحدثت عن الملائكة الذين يحملون العرش الكريم، يقول الزمخشري في تفسيره (أرجائها) إنها جوانبها وحافاتها[٣]. وقال السيوطي (أرجائها) نواحيها على لغة هذيل[٤]. وجاءت بدلالة لغوية بالتعبير عن مجرد الأمل والتوقع والطمع بالشيء في قوله قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾ [سورة القصص/ الآية86].

والذي يظهر أن الرجاء: هو توقع الخبر والطمع بمغفرة الله وعفوه ﷻ وجزائه للمؤمن أحسن الجزاء على ما قدم من خير في هذه الحياة الدنيا.

وهو الأمل برحمة الله ﷻ وجزيل ثوابه والطمع بما عند الله من عفو وإحسان وتجاوز عن المعاصي والآثام. وهو نقيض اليأس والقنوط. قال تعالى ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة الزمر/ الآية 9]، وقوله ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا

---

(١) ابن القيم الجوزية، ج2/ ص30.

(٢) انظر: إحياء علوم الدين، ج4/ ص187-189.

(٣) الكشاف، ج4/ ص152.

(٤) عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر بيروت، الطبعة الأولى 1403هـ - 1983م، ج8/ ص368-369.

﴿صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف/ الآية 110]، وهذه الآيات بينت حقيقة الرجاء.

والرجاء من الأركان التي تقوم عليها العبودية وهو أن يرجو العبد رحمة ربه ولطفه ومنته وأن لا ييأس من رحمته لأن العبد بين هذه الأركان يدور. والرجاء من منازل إياك نعبد وإياك نستعين التي بينها الإمام ابن القيم في كتابه وكما في قوله تعالى ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [سورة الأعراف/ الآية 56]، يقول القرطبي: **(أمر الله أن يكون الإنسان في حالة ترقب وتخوف وتأميل لله ﷻ حتى يكون الرجاء والخوف للإنسان كالجناحين للطائر يحملانه في طريق استقامته وإنْ انفرد أحدهما أهلك الإنسان)** [1]، وقال تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [سورة الإسراء/ الآية 57]، فانتفاء الوسيلة إليه أي طلب القرب منه بالعبودية والمحبة فذكرت مقامات الإيمان الثلاثة التي عليها بناؤه وهي (الحب والخوف والرجاء)[2]، قال تعالى ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ [سورة العنكبوت/ الآية 5]، وقال سبحانه ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف/ الآية 110]، وقال تعالى ﴿أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة البقرة/ الآية 218]، وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ ***((إن حسن الظن بالله من حسن عبادة لله))***[3] وعن واثلة بن الاسقع أنه سمع رسول الله ﷺ يقول قال ﷻ ***(أنا عند حسن ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء)***[4]. والفرق بين الرجاء وبين التمني، إن (التمني) يكون مع مع الكسل، ولا يسلك بصاحبه إلى طريق الجد والاجتهاد. (والرجاء) يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل فالأول كحال من يتمنى أن تكون له ارض يبذرها ويأخذ زرعها. والثاني كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها، ويرجو طلوع الزرع، ولهذا أجمع العارفون على أن (الرجاء) لا يصح إلا مع العمل.

---

(١) تفسير القرطبي، ج7/ ص227.
(٢) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج2/ ص30.
(٣) رواه احمد، مسند احمد، كتاب باقي مسند المكيين، باب باقي المسند السابق، حديث رقم (8353).
(٤) رواه احمد، مسند احمد، كتاب مسند المكثرين، باب واثلة بن الاسقع من الشاميين، حديث رقم (15442).

إن حقيقة الرجاء: **هو إرتياح القلب لانتظار ما هو محبوب للنفس عند حصول أكثر أسبابه فإن كان انتظاره مع فقد أسبابه كان حمقاً وغروراً**[١]. يتبين لنا مما سبق ذكره أن الرجاء لا يكون وحده إلا وأن يكون العمل مقترناً معه، فلا رجاء بلا عمل.

والرجاء ثلاثة أنواع نوعان محمودان ونوع غرور مذموم.

فالأولان: رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله، فهو راجٍ، لثوابه، ورجل أذنب ذنوباً ثم تاب منها، فهو راجٍ لمغفرة الله تعالى له وعفوه وإحسانه وجوده وكرمه.

والعمل بطاعة الله يكون على وفق شرع الله، مستشعراً رجاء رحمة الله تعالى له ومغفرته ذنبه إضافة إلى خوفه منه ومحبته إياه فهو يعبده بما أمره وشرعه له ويخاف تقصيره تجاه ربه ﷻ وعفو الله عنه ورجاء لرحمته وخوفه من عذابه والله تعالى يقول ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [سورة البقرة/ الآية 218]. والثالث: رجل متمادٍ في التفريط والخطايا ويرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب[٢].

وهذا كحال من عمل قليلاً من العمل، أو أنه مسلم بسيط لا يؤدي عباداته كما أمره ربه وهداه رسوله ﷺ ضائع ومتخبط في وسط الشهوات متمادٍ في بعض المعاصي والمنكرات ولا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ويرجو مغفرة ربه لذنبه وكل حاله يرجو بلا خوف من الله ولا حباً لطاعته إلا ما شاء الله ولا خوفاً من عقابه فهذا هو الرجاء الذي لا يقبله الله تعالى لأنه كالجناح للعبادة. وللسالك نظران (نظر إلى نفسه وعيوبه وآفات أعماله، يفتح عليه باب الخوف إلى سعة فضل ربه وكرمه وبره، ونظر يفتح عليه باب الرجاء[٣].

(وأن الخوف والرجاء عند المؤمن يجب أن يعتدلا وذلك الاعتدال لا يحصل إلا بهذا الطريق)[٤].

---

(١) عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة/ ص341.

(٢) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج2/ ص31.

(٣) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج2/ ص31.

(٤) الرازي، التفسير الكبير للرازي، ج3/ ص584.

ولولا الخوف من الله ﷻ لما نفع الرجاء لأن الرجاء لرحمة الله وعفوه وحصول الكرم والفضل لا يكون إلا بالخوف فلا خوف بغير رجاء ولا رجاء بغير خوف، قال تعالى ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ [سورة الإسراء/ الآية 57].

إعلم إن الرجاء من مقام السالكين وأحوال الطالبين، وإنما يسمى الوصف حالاً مادام يعرض ويزول ويسمى مقاماً إذا ثبت ... واذا كان مما يفرح القلب سمي رجاءً[١]، إذن يتبين مما سبق ذكره أن الرجاء هو ارتياح القلب وطمأنينته وفرحه لما هو محبوب.

وقد علم أرباب القلوب أن الدنيا مزرعة الآخرة والطاعات جارية مجرى سقي الماء وقلب الأرض والإمداد بما يقويها ... فيتبين بعد هذا أن من زرع الإيمان في قلبـــه وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن الخبائث كما تطهر الأرض من الشوك فله بعد ذلك أن يرجو[٢].

وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال: **دخل النبي ﷺ على شاب وهو في الموت وقال: *كيف تجدك*: فقال والله يا رسول الله اني أرجو الله واني أخاف ذنوبي فقال رسول الله ﷺ ((*لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف*))**[٣].

والعالم هو الذي لا يُقنَط الناس من رحمة الله، ولا يُؤمِنُهم من مكر الله (ولما كان العلماء ورثة الأنبياء كانوا أطباء القلوب واستعملوا ما كان لائقاً بحال كل مريض، ومن الدواء النافع في جلب الرجاء أن يتأمل الإنسان فيما انعم الله به عليه من صحة البدن وسلامة الأعضاء، ثم بعثة الأنبياء لهدايته، ثم خلق الأطعمة والأشربة لإصلاحه[٤].

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج4/ ص188.

(٢) المصدر نفسه، ج4/ ص188.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الجنائز عن رسول الله، باب ان المؤمن يموت بعرق الجبين، حديث رقم (905).

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج4/ ص193.

(وكذلك طمع العبد في ربه ورجائه يوجب عبوديته له وإعراض قلبه عن الطلب من غير الله والرجاء له يوجب انصراف القلب عن العبودية لله لا سيما من كان يرجو المخلوق ولا يرجو الخالق)(١).

وكل من علق قلبه بالمخلوقات أن ينصروه أو يؤمنونه من خوف أو يرجو منهم العون والمساعدة فهو لم يحقق حقيقة الرجاء ولا هذه المنزلة التي عدها ابن القيم من منازل (إياك نعبد وإياك نستعين) ولم يحقق حقيقة (إياك نعبد وإياك نستعين).

الرجاء أضعف منازل المريدين

يقول ابن القيم: **(الرجاء اضعف منازل المريدين، لأنه معارضة من وجه واعتراض من وجه، وهو وقوع في الرعونة في مذهب هذه الطائفة وفائدة واحدة نطق بها التنزيل والسنة وتلك الفائدة هي كونه يُبَرِد حرارة الخوف، حتى لا يفضي بصاحبه إلى اليأس)**(٢).

والمقصود بهذا الكلام إنه اضعف منازل المريدين بالنسبة لما فوقها من المنازل كمنزلة معرفة الله تعالى ومحبته ومخافته والإخلاص والصدق والتوكل، ولم يرد أن يضعف هذه المنزلة وأنها منزلة ناقصة.

لأن عبودية الرجاء من المنازل التي يقوم عليها الدين وتجنبه اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى.

(وقوله معارضة من وجه واعتراض من وجه: فانه تعلق بمراد العبد من ربه من الإحسان والثواب والافضال، وقد يكون مراده تعالى من عبده، استيفاء حقه ومعاملته بحكم عدله لما له في ذلك من الحكمة)(٣).

ويكون الراجي كأنه تعلق قلبه بما يعارض تصرف المالك في ملكه، وذلك ينافي حكم إستسلامه وانقياده وانطراحه بين يدي ربه مستسلماً لما يحكم به فيه. فرجاؤه معارض لحكمه وإرادته، ووقوف مع مراده من سيده، ووقوف مع مار أراد منه سيده وما أمره وما نهاه عنه حتى يفني نفسه في مراد من أحب ورجا وهو الله تعالى ويكون كما وصفه القرآن ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة البقرة/ الآية 218]،

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج10/ ص185.

(٢) انظر مدارج السالكين، ج2/ ص32.

(٣) المصدر نفسه، ج2/ ص32-33.

وهذه علامة العبد المحب الصادق المخلص الذي نذر نفسه في طاعته وكان بالإضافة إلى طاعته أنه كان يرجوه.

وأما وجه الاعتراض: فهو أن القلب إذا تعلق بالرجاء ولم يظفر بمرجوه اعترض إذ لم يحصل له مرجوه، ولم يظفر به، وإنْ ظفر به اعترض، إذ فاته غير ذلك المرجو، لأن كل إنسان يرجو فضل الله ونعيمه والجنة ولقائه ويحدث نفسه به(١).

والرجاء من الأسباب التي ينال بها العبد ما يرجوه من ربه، بل هو من أقوى الأسباب. ولو تضمن معارضة واعتراضاً لكان ذلك في الدعاء والمسألة أولى فكان دعاء العبد ربه وسؤاله أن يهديه ويوفقه ويسدده ويعينه على طاعته ويجنبه معصيته ويدخله الجنة وينجيه من النار معارضةً واعتراضاً، لأن الداعي راج وطالب ما يرجوه...وليس في الرجاء والدعاء معارضة لتصرف المالك في ملكه فإنه إنما يرجو تصرفه في ملكه أيضاً وهو أولى وأحب الأمرين إليه فإن الفضل أحب إلى الله من العدل، والعفو أحب إليه من الانتقام، والمسامحة أحب إليه من الاستقصاء، والترك أحب إليه من الاستيفاء، ورحمته سبقت غضبه (فالراجي علق رجاءه بتصرفه المحبوب له المرضي له، فلم يوجب رجاؤه خروجه عن تصرفه في ملكه، بل اقتضى عبوديته له)(٢).

آثار الرجاء في الدنيا والآخرة:

للرجاء فضيلة كبيرة ومنزلة رفيعة في قلوب المؤمنين الصادقين فقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على عظم هذه المنزلة وأهميتها:

يقول الإمام ابن القيم: **(إن منزلة الرجاء منزلة جليلة وشريفة وعلية وعلى الحب والخوف مدار السير إلى الله تعالى)**(٣).

ويبين الإمام الغزالي فضيلة الرجاء فيقول: إعلم إن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف، لأن اقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم له، والحب يغلب الرجاء، واعتبر ذلك بملِكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه والآخر رجاءً لثوابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن رغائب لاسيما في وقت الموت(٤).

---

(١) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج2/ص 33.

(٢) المصدر نفسه، ج2/ ص37.

(٣) م.ن: ج2/ ص41.

(٤) إحياء علوم الدين، ج4/ ص190.

فمن الخير أن تكون حَسِن الظن بالله ﷻ مهما كانت أخطاؤك ما دمت قد تبت إلى الله ﷻ وندمت على ما فعلت، وحسبك ترغيباً لك في هذا قول الله تعالى ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر/ الآية 53]، قوله لا تقنطوا من رحمة الله أي (لا تيئسوا من رحمة الله ومغفرته سبحانه وتفضله ﷻ، على أن المغفرة مدرجة في الرحمة وأن الرحمة مستلزمة لها لأنه لا يتصور الرحمة لمن لم يغفر له(١).

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه وغيره عن هذه الآية: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله سبحانه لاشتمالها على أعظم بشارة ... ثم نهى عن القنوط من رحمة الله ... فإن من اعتقد ذلك فهو قانط من رحمة الله لأنه لا مخلص له من العذاب إلا هو وأنه متى تاب زال عقابه وصار من أهل المغفرة والرحمة والحق أن الآية غير مقيدة بالتوبة بل هي على اطلاقها(٢).

ويمكن تقسيم آثار الرجاء على قسمين:

أ – آثار الرجاء في الدنيا.

ب – آثار الرجاء في الآخرة.

أ – آثار الرجاء في الدنيا:

للرجاء أثر كبير في صناعة الإيمان وتقويته إذ هو الحبل الموصل إلى انتظار ما هو محبوب ألا وهو رضاء الله ﷻ عن العبد ومغفرته له ودخوله الجنة. والآيات والأحاديث التي وردت في آثار هذه الفضيلة خارجة عن الحصر فما ورد في فضل الرجاء أكثر من أن يحصى ولنأخذ قسماً منها:

1. إن الرجاء في الدنيا سبب للمغفرة من الله ﷻ

قال تعالى ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة التوبة/ الآية 106]، كما في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهو مرارة بن الربيع وكعب بن مالك وهلال بن أمية فنزلت توبة أولئك قبل هؤلاء وأرجى هؤلاء عن التوبة حتى أن كعب بن مالك اعتزل زوجته بعد أربعين يوماً حتى جاءت ليلة

---

(١) الآلوسي، روح المعاني، ج24/ ص13؛ الطبري، جامع البيان، ج24/ ص17.
(٢) صدقي حسن خان، فتح البيان، ج8/ ص238-239.

الخمسين التي كانت عيداً لكعب بن مالك وأصحابه بقوله تعالى ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة التوبة/ الآية 117–118]، وهم كانوا في كل هذه المدة الذين قال الله لهم أما يتوب عليهم وأما يعذبهم وحتى ظنوا أن الله قد جعلهم من المنافقين او أنهم من الذين سخط عليهم فكانوا في كل هذه الأحوال يرجون عفواً من الله ويرجون رحمته حتى أن كعب بن مالك حينما جاءه البشير بتوبة الله عليه نزع ثوبه فأهداه للبشير من شدة فرحه لتوبة الله عليه وهذا هو حال المؤمن الذي يكون أضعف منازله في العبودية أن يرجو ربه في كل أحواله كما تحدث ابن القيم عن منزلة الرجاء في كتابه.

2. الرجاء في الدنيا يحقق الحصول على المرجو.

قال تعالى ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [سورة يوسف/ الآية 87].

وقوله **(لا تيئسوا من روح الله)** أي: لا تقنطوا من فرج الله، يريد أن المؤمن يرجو فرج الله، والكافر يقنط بشدة وقال قتادة والضحاك: من رحمة الله(١).

وقري بضم الراء – قوله تعالى (روح الله) أي من رحمته التي يحيي بها العباد، وهذا إرشاد لهم إلى بعض ما أُبهم في قوله ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف/ الآية 86](٢).

وكما ورد في السنة من الأحاديث التي ذكرناها آنفاً عن واثلة بن الاسقع أن النبي

---

(١) جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ج4/ ص574–575.

(٢) أبي سعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى ميزان القرآن الكريم، ج 4/ ص302–303.

ﷺ: ***((انا عند ظن عبدي فليظن بي ما شاء))*** (١) ***وقال ((إن حسن الظن من حسن عبادة الله))***(٢).

وقد ذكر الغزالي أن للرجاء آثاراً يتركها على المؤمن فقال:

ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف في التملق له، فإن هذه الأحوال لابد وان تظهر على كل من يرجو ملكاً من الملوك أو شخصاً من الأشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى؟ فان كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والنزول في حضيض الغرور والتمني، فهذا هو البيان لحاله لما أثمره من العلم ولما استثمر منه من العمل(٣).

وعن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه ﷻ ***(يا بنـي آدم إنك ما دعوتنـي ورجوتنـي غفرت لك علـى ما كان منك ولا أبالـي)***(٤)

لما كان الرجاء فضيلة أخلاقية إسلامية مطلوبة محبوبة، فلا بد أن يكون لها حكمة وفائدة وثمرة وابن القيم يتوسع في الحديث عن فوائد الرجاء فيقول من هذه الفوائد(٥):

1 - إظهار العبودية والافتقار إلى الله والحاجة إلى ما يرجوه من ربه، ويتطلع إليه مـــن إحسانه، وأنه لا يستغني عن فضله وإحسانه طرفة عين.
2 - أن الله ﷻ يحب من عباده أن يرجوه ويسألوه من فضله لأن الملك الحق والجواد، ولأنه أجود من سؤل، وأوسع من أعطى، واحب شيء إلى الجواد يسأله السائلون ويرجوه الراجون.
3 - الرجاء حاد يحد والراجي بمسيرته إلى ربه فيحثه عليها، فلولا الرجاء ما سار أحد، فان الخوف وحده لا يحرك العبد، وإنما يحركه الحب، ويزعجه الخزف، ويحده الرجاء.
4 - أن الرجاء يضع صاحبه على عتبة الحب، ويدخله ساحاته فكلما اشتد رجاء العبد وحصل له ما يرجوه ازداد حباً لله تعالى ورضا عنه وشكر له.

---

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، حديث رقم (7405)؛ مسلم، كتاب الذكر والدعاء، حديث رقم (2675).

(٢) رواه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، حديث رقم (4993).

(٣) إحياء علوم الدين، ج4/ ص190.

(٤) رواه الترمذي، كتاب الدعوات، حديث رقم (3540).

(٥) الغزالي، إحياء علوم الدين ج4: ص190.

5 - إن الرجاء هو الذي يبلغ بصاحبه المقام الأعلى: مقام الشكر الذي هو خلاصة العبودية فإذا حصل له مرجوه كان أدعى لشكره، قال تعالى ﴿ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ [سورة سبأ/الآية 13].

6 - الرجاء يوجب لصاحبه المزيد من معرفة صفات الله وأسمائه الحسنى.

7 - إن الله تبارك وتعالى يريد من عبده تكميل مراتب عبوديته كالذل والانكسار، والرجاء عنصر من عناصر تكملة العبودية.

8 - فالرجاء انتظار وترقب وتوقع لفضل الله، وهذا يجعل القلب متعلقاً على الدوام بذكر الله موصول الالتفات إليه، ومن كان مع الله، كان الله معه، ومن كان الله معه سَعِدَ وفازَ[١].

فوائد تفيد العبد في آخرته ومنها:

1. إن الرجاء يدفع للعبادة.

قال تعالى ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ [سورة الزمر/الآية 9].

ذكر القاسمي في تفسيره هذه الآية (استحباب قيام الليل) وفي قوله (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) رد على من ذمّ العبادة خوفاً من النار أو رجاء الجنة[٢].

2. إن الرجاء يدفع للهجرة والجهاد.

قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة/ الآية 218].

ويرجون رحمة الله –بأعمالهم المذكورة في الآية– أي حَبتْهُ على إيمانهم وهجرتهم وجهادهم وإنما ثبت لهم الرجاء دون الفوز بالمرجو للإيذان بأنهم عالمون بأن العمل غير موجب للأجر، وإنما هو على طريق التفضل منه سبحانه، لا لأن في فوزهم

---

(١) ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، ج2/ ص50-51؛ ينظر موسوعة أخلاق القرآن، ج 2/ ص237-238.

(٢) القاسمي، جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، دار الفكر بيروت، ط 2، 1398هـ - 1978م، ج14/ ص198-199.

اشتباهاً (والله غفور رحيم) لهتكهم حرمة الشهر (رحيم) بما تجاوز عن قتالهم مع قيام دليل الحرمة فلم يعاقبهم(١).

3. إن الرجاء يدفع إلى العمل.

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [سورة فاطر/ الآية 29]، قوله (يرجون تجارة لن تبور) أي أجراً وفضلاً لا يفنى، والتجارة استعارة لتحصيل الثواب بالطاعة والبوار بمعنى الكساد والهلاك ترشيح للاستعارة(٢).

وقال ابن كثير: **(يرجون ثواباً عند الله لابد من حصوله)**(٣).

4. إن الراجين لا يطلبون تقديس الناس لهم.

قال تعالى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [سورة الإسراء/ الآية 57].

قوله (يبتغون) يطلبون من الله الزلفة والقربة، ويتضرعون إلى الله تعالى في طلب الجنة وهي الوسيلة، أعلمهم الله تعالى أن المعبودين يبتغون القربة إلى ربهم. والهاء والميم تعود على العابدين أو على المعبودين أو عليهم جميعاً. وأما (يدعون) فعلى العابدين، و(يبتغون) على المعبودين(٤).

إن عدم الرجاء يؤدي إلى آثار مذمومة تؤدي بصاحبها إلى ما لا تحمد عقباه في الآخرة:

1 - إن عدم الرجاء يسبب الغفلة عن الله.

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة يونس/الآية 7-8]، يقول القرطبي:

---

(١) القاسمي، محاسن التأويل، ج3/ ص209-210.

(٢) المصدر نفسه، ج14/ ص52.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3/ ص622.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10/ ص181-182.

(الرجاء يكون بمعنى الخوف والطمع، أي لا يخافون عقاباً ولا يرجون ثواباً.

و(غافلون): أي لا يعتبرون ولا يتفكرون[١].

قال القاسمي أي (فلا يتوقعون الجزاء) و(غافلون) أي لا يفكرون فيها[٢].

2 - إن عدم الرجاء يسبب الطغيان.

قال تعالى ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة يونس/ الآية 11]. و(في طغيانهم يعمهون) يقول القاسمي أي في ضلالهم وشركهم يترددون[٣]. والطغيان: العلو والارتفاع[٤].

3 - إن عدم الرجاء يؤدي إلى الجهل بقيمة القرآن.

قال تعالى ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة يونس/ الآية 15]، وما قالوا له ذلك إلا لأنهم ليس عندهم خوف من الله تعالى ورجاء به.

4 - إن عدم الرجاء يدفع إلى التكبر في أنفسهم والجهل بتمام كراهيتهم لما جاء به محمد ﷺ.

قال تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا ﴾ [سورة الفرقان/ الآية 21].

يقول ابن كثير: (يقول تعالى مخبراً عن تعنت الكفار في كفرهم وعناده في قولهم (لولا أُنزل علينا الملائكة) أي بالرسالة كما تنزل على الأنبياء[٥].

وهذا من تكبرهم وكراهيتهم وعدم رجائهم لثواب الجزاء عند الله على إيمانهم بالرسالة التي جاء بها النبي ﷺ.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج8/ ص199.

(٢) محاسن التأويل، ج9/ ص10.

(٣) محاسن التأويل، ج9/ ص12.

(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج8/ ص202.

(٥) ابن كثير، ج3/ ص360.

ب– ثمار الرجاء في الآخرة.

من أهم ما يشغل المؤمن ويهمه في حياته هو إعداده ليوم القيامة لأن ما أعد الله تعالى للناس في ذلك اليوم يجعل القلب خائفاً وجلاً، والى جانب هذا ذَكَرَ الله ﷻ أن رحمته أوسع وأن عاقبة الأمر للمتقين كما قال تعالى ﴿والعاقبة للمتقين﴾ [سورة الأعراف، الآية 128]، وكان مما دعا إليه النبي ﷺ هو حسن الظن بالله ﷻ فقال ﷺ: ((***لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله ﷻ***))[١]، قال تعالى في فضيلة وثمرة الرجاء: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة العنكبوت/ الآية 5]، وفضيلة هذه العبادة تظهر ما ورد فيها من محكم التنزيل من آيات ترغب في الرغبة والطمع في رحمته ﷻ. فيقول الطبري: من كان يرجو الله يوم لقائه ويطمع في ثوابه فان أجل الله الذي أجله لبعث خلقه للجزاء والعقاب لآتٍ قريب[٢].

يقول ابن كثير (من كان يرجو لقاء الله) أي في الدار الآخرة، وعمل الصالحات ورجا من عند الله من الثواب الجزيل فان الله سيحقق له رجاءه ويوفيه عمله كاملاً موفراً، فإن ذلك كائناً لا محال لأنه سميع الدعاء بصير بكل الكائنات ولهذا قال تعالى ﴿من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآتٍ وهو السميع العليم﴾ [٣].

ورجاء العبد في الآخرة هو الطمع بمغفرة الله ورضوانه ودخول الجنة والقرب من مراتب الأنبياء والصالحين فما على المرء المسلم المؤدي للفرائض إلا حسن الظن بالله ﷻ لأن الله قال ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [سورة الرحمن/ الآية 60]، فعليك أيها الأخ المذنب أن تتوب إلى الله توبة نصوحاً مطيعاً بها الله راجياً رحمته لأنه إذ عَلِمَكَ صادقاً في توبتك غفر لك ذنبك وأعطاك ما ترجو وأمنك مما تخاف.

---

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب صفة الجنة ونعيمها حديث رقم (2877): وأبو داود، كتاب الجنائز، رقم (3113).

(٢) جامع البيان، ج20/ ص130.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ج3/ ص457.

بل انك إن عدت إلى الله واصطلحت معه سيغفر لك جميع ذنوبك وأخطائك وسيبدلها كلها حسنات كما أشار إليه ﷻ في كتابه ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [سورة الفرقان/ الآية 70](١).

هناك بعض الآثار تترتب على العبد لعدم رجائه منها:

1. إن عدم الرجاء يسبب عدم الاعتبار:

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴾ [سورة الفرقان/ الآية 40].

يقول الطبري: قوله (بل كانوا لا يرجون نشورا) يعني إنهم لا يوقنون بالثواب والعقاب(٢).

2. إن عدم الرجاء يسبب القنوط من رحمة الله:

قال تعالى ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [سورة الزمر/ الآية 53].

3. إن عدم الرجاء سبب من أسباب دخول النار:

قال تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴾ [سورة النبأ/ الآية 27].

يقول القاسمي (قيل: أي ذلك العذاب، لأنهم كانوا موصوفين بهذه الرذائل من عدم توقع المكافآت والتكذيب بالآيات، أي لفساد العمل والعلم: فلم يعملوا صالحاً رجاء الجزاء ولم يعملوا علماً فيصدقوا بالآيات)(٣).

ويتضح لنا مما سبق ذكره أن الرجاء لا يحصل إلا بأمور:-

الأول: شهود كرمه وإنعامه وإحسانه على العبد.

الثاني: صدق الرغبة فيما عند الله من الثواب والنعيم.

الثالث: التسلح بصالح الأعمال والمسابقة في الخيرات(٤).

---

(١) طه عبد الله عفيفي (شرح وتعليق)، من وصايا الرسول ﷺ دار التراث العربي، القاهرة، جمادي الآخرة، سنة 1401هـ-1981م، ج1/ ص568.
(٢) جامع البيان، ج19/ ص16.
(٣) محاسن التأويل، ج17/ ص32.
(٤) سعد القحطاني، مختصر معارج القبول/ ص134.

الفصل الثالث

آثار العبودية في سلوك المسلم

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مقومات الإيمان ودوافعه

وفيه مطلبان:

المطلب الأول :الإيمان لغةً وشرعاً

المطلب الثاني: مقومات الإيمان ودوافعه

المبحث الثاني: مظاهر الإسلام أو أركانه

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول : الركن الأول: الشهادتان

المطلب الثاني: الركن الثاني: الصلاة.

المطلب الثالث: الركن الثالث...الصيام

المطلب الرابع: الركن الرابع: الزكاة

المطلب الخامس: الركن الخامس: الحج

المبحث الاول

مقومات الإيمان ودوافعه

المطلب الأول :الإيمان لغة وشرعاً

الإيمان لغة: **بمعنى التصديق، ضده التكذيب، يقال آمن به قوم وكذب به قوم**. ويأتي الإيمان بمعنى الثقة، ويقال رجل أمنة بالفتح يصدق كل ما سمع ولا يكذب بشيء، ويأتي بمعنى الخضوع، قاله الزجاج(١): الإيمان: **إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به النبي ﷺ واعتقاده وتصديقه بالقلب فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن مسلم غير مرتاب ولا شاك**. قال: واتفق أهل العلم من اللغويين **وغيرهم إن الإيمان معناه التصديق**(٢). وهو قد يتعدى بالياء ويكون حينئذٍ متضمناً معنى الإذعان والقبول كقوله تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة/ الآية 285]، وقد يتعدى فيكون متضمناً معنى الإذعان والقبول كقوله تعالى كما في قصة اخوة يوسف: تعالى ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [سورة يوسف/ الآية 17].

وهل الإيمان بمعنى التصديق والخضوع الإسلام نفسه؟، نجيب عن هذا السؤال بجواب الزجاج عن هذا التساؤل بعد ذكر قوله تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا

(١) هو أبو اسحق إبراهيم بن محمد السري بن سهل الزجاج النحوي من أهل العلم والأدب وله الكثير من المؤلفات مثل كتاب الاشتقاق والعروض والقوافي، من شيوخه المبرد وثعلب ومن تلاميذه أبو علي الفارسي النحوي (ت 310هـ) في بغداد، وفيات الأعيان ج1/ ص49

(٢) انظر ابن منظور، لسان العرب مادة (أم ن) ج3/ ص23.

﴿وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات/ الآية 14]جرات/ الآية 14]

.فيقول: وهذا موضع يحتاج الناس إلى تفهيمه وأين ينفصل المؤمن من المسلم وأين يستويان؟(١).

فالإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي ﷺ وبه يحقن الدم. فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان الذي يوصف به المسلم مؤمناً. وهو المؤمن بالله ورسوله ﷺ غير مرتاب ولا شاك(٢).

وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه لا يداخله في ذلك أدنى شك فهو المؤمن وهو المسلم حقا كما قال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحجرات/ الآية 15]، أي أولئك الذي آمنوا بقلوبهم ثم اظهروا ذلك بأعمالهم التي ظهرت على جوارحهم ومنها الجهاد في سبيل الله بالأموال وباعوا أنفسهم رخيصة أمام هذا الإيمان والدين وأطاعوا الله ورسوله على هذا السبيل.

وأما من اظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم وباطنه غير مصدق. فذلك الذي يقول أسلمت لان الإيمان لابد من أن يكون صاحبه صديقاً لان قولك آمنت بالله أو قال قائل آمنت بكذا وكذا بمعناه صدقت فاخرج الله هؤلاء من الإيمان في قلوبهم أي لم يصدقوا إنما استسلموا تعوذاً من القتل.

فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر. والمسلم التام الإسلام مظهر للطاعة مؤمن بها. والمسلم الذي اظهر الإسلام تعوذاً(*) غير مؤمن في الحقيقة إلا أن حكمه في الظاهر حكم المسلمين. قال تعالى حكاية عن إخوة يوسف لأبيهم ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [سورة يوسف/ الآية 17]، لم يختلف أهل التفسير أن معناه: ما أنت بمصدق لنا.

---

(١) انظر ابن منظور: لسان العرب: ج1/ ص23.

(٢) المصدر نفسه:ج13/ ص23 وما بعدها.

(*) تعوذاً: أي خوفاً من القتل أو محاولة التجسس أو له غاية أو مصلحة بدخوله.

والأصل في الإيمان الدخول في صدق الأمانة التي ائتمنه الله عليها فإن اعتقد التصديق بقلبه كما صدق بلسانه فقد أدى الأمانة وهو مؤمن. ومن لم يعتقد التصديق

بقلبه فهو غير مؤد للأمانة التي ائتمنه الله عليها [١] وهو منافق ومن زعم أن الإيمان هو إظهار القول دون التصديق بالقلب فإنه لا يخلو من وجهين! أحدهما أن يكون منافقاً ينضح عن المنافقين تأييداً لهم أو يكون جاهلاً لا يعلم ما يقول. وهو ما يقال له أخرجه الجهل واللجاج إلى عناد الحق وترك قبول الصواب[٢].

الإيمان شرعاً: **فسر بالتصديق أيضاً: أي تصديق النبي ﷺ في كل ما جاء به وعُلِمَ من الدين بالضرورة.** أي عُلِمَ من أدلة الدين بشبه الضرورة[٣].

والمراد بتصديق النبي ﷺ: الإذعان لما جاء به والقبول له والإقرار باللسان أي النطق به، وليس المراد وقوع نسبة الصدق إليه في القلب من غير إذعان ولا قبول ولا إقرار باللسان.

فإن هذا يلزمنا الحكم بإيمان الكثير من الكفار الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوته ورسالته ﷺ بقلوبهم وأنكروها بألسنتهم وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ [سورة البقرة/ الآية 146-147]، قال عبد الله بن سلام حين سأله عمر رضي الله عنه **أتعرف محمداً كما تعرف ولدك؟ قال: نعم وأكثر. نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته وابني لا أدري ما كان من أمه**[٤].

ويدل هذا الحديث حينما سأله جبريل عليه السلام إذ جاء على صورة رجل أعرابي وجلس حتى الصق ركبته بركبة النبي ﷺ وقال: يا رسول الله ما الإسلام؟ فقال: ***أن تشهد أن لا اله إلا الله وأني رسول الله وأن تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم شهر***

---

(١) ابن منظور: لسان العرب مادة (أ م ن) ج31/ ص23 وما بعدها.

(٢) الفيروز أبادي، القاموس المحيط ج4/ ص199، وينظر مختار الصحاح/ ص28.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج1/ ص342.

(٤) انظر القرطبي، تفسير القرطبي ج 2/ ص163، وشرح جوهر التوحيد للعلامة الشيخ إبراهيم الباجوري (طبعة بغداد)/ ص67 وما بعدها.

رمضان وتحج البيت إن استطعت. قال صدقت. ثم قال: ما الإيمان؟ قال ﷺ : ***أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره*** ، قال صدقت. ثم قال: ما الإحسان؟ قال ﷺ : ***أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك***. قال صدقت. ثم قال: متى الساعة؟ قال ﷺ : ***ما المسؤول عنها بأعلم من السائل*** ثم قام وخرج فقال النبي ﷺ : ***هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم***(١).

ويكفي الإيمان فيما يعتبر التكليف به إجمالاً كالإيمان بغالب الأنبياء والملائكة. ولا بد من التفصيل فيما يعتبر التكليف به تفصيلاً كالإيمان بجميع الأنبياء والملائكة.

والجمع الذي يجب معرفتهم به تفصيلاً من الأنبياء خمس وعشرون فهؤلاء المذكورون في القرآن المتفق على نبوتهم. وأما المختلف في نبوتهم فهم ثلاثة: ذو القرنين وعزير ولقمان. وأما الخضر فلم يصرح القرآن باسمه وان كان هو المراد بقوله ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [سورة الكهف/ الآية 65]، وكذا يوشع بن نون فتى موسى لم يصرح القرآن باسمه أيضاً(٢).

ومعنى كون الإيمان واجباً بهم تفصيلاً أنه لو عرض عليه واحد منهم لم ينكر نبوته ولا رسالته، فمن أنكر نبوة واحد منهم أو رسالته كفر. لكن العامي لا يحكم عليه بالكفر إلا أن أنكر بعد تعليمه وليس المراد أنه يجب حفظ أسمائهم. والجمع الذي يجب معرفته تفصيلاً، والإيمان بهم من الملائكة فهم: جبريل وميكائيل وإسرافيل و(عزرائيل) الذي هو ملك الموت ورضوان خازن الجنة. ومنكر ونكير، ويجب الإيمان كذلك بحملة العرش والحافين به إجمالاً كسائر الملائكة.

والتفصيلي أكمل من الإجمالي من حيث التفصيل وإلا فهو مثله من حيث الخروج من عهدة التكليف بكل منهما،

---

(١) رواه الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ وأوله (بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ الحديث في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم (9).

(٢) العلامة الشيخ إبراهيم الباجوري، شرح جوهر التوحيد/ ص67-68.

وبالجملة فالإيمان شرعاً: هو التصديق بجميع ما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة إجمالاً في الإجمالي وتفصيلاً في التفصيلي(١).

والذي يبدو لي أن الإسلام والإيمان وإنْ تغايرا مفهوماً لكنهما متحدان تحققاً وتعلقاً. فكل ما يتعلق به الإيمان تعلق به الإسلام وكل ما تعلق به الإسلام تعلق به الإيمان.

فان التصديق كما تعلق بالله وملائكته وكتبه ورسله إلى آخره يتعلق بمدلول الأعمال المذكورة. والإسلام والانقياد كما يتعلق بتلك الأعمال يتعلق بالأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها.

لكن لما كان الإسلام بمعنى الانقياد، والانقياد وإنْ كان شاملاً للانقياد القلبي والظاهري لكن تحققه إزاء الأعمال الظاهرة اظهر ففسره عليه السلام في أكثر الأحاديث فيما يتعلق بالأعمال.

والإيمان لما كان هو التصديق وهو أمر قلبي لا غير فسره بما يتعلق بالأمور الغيبية(٢).

قول السلف الصالح في تعريف الإيمان:

لخص بعض أهل العلم قول السلف في الإيمان تلخيصاً جيداً فارتأيت أن انقله نصاً قال (ومن أصول أهل السنة والجماعة، إن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا يُكفِّرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي كما قال ﷻ في آية القصاص ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة/ الآية 178]، وقال ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا

---

(١) المصدر نفسه: ص68.

(٢) انظر عبد الكريم المدرس (1425) الوسيلة في شرح الفضيلة في علم أصول الدين، طبعة بغداد/ ص65-66.

﴿بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ* إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [سورة الحجرات/ الآية 9-10]، ولا يسلبون الفاسق المليّ الإسلام بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقول المعتزلة(١)، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق، كما في قوله تعالى

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [سورة النساء/ الآية 92]،وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله ﷻ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [سورة الأنفال/ الآية 2]، وقوله ﷺ: ((***لا يزني الزاني حيث يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حيث يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حيث ينهبها وهو مؤمن***))(٢) ونقول هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن فاسق بإيمانه، فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم(٣).

يقول ابن القيم عن الإيمان عن الحسن أنه قال (**ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر بالقلب وصدقه العمل)**(٤).

وهذا يبين (قوة إيمانه وصدقه لرسوله وللمسلمين وما هو من تمام نعمة الله عليه ولطفه به وجبره لكسره وهذا البلاء يظهر لب الرجل وسره وما ينطوي عليه فهو كالكير الذي يخرج الخبيث من الطيب) (٥)، وفي شرح مسلم (قال الشيخ الإمام أبو عمر بن الصلاح رحمه الله في قوله ﷺ عند تعريفه الإسلام والإيمان هذا بيان لأصل الإيمان وهو التصديق الباطن وبيان لأصل الإسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر، وحكم الإسلام في الظاهر ثبت بالشهادتين وإنما أضاف إليهما الصلاة والزكاة والصوم والحج لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيامه بها يتم استسلامه وتركه لها يشعر

---

(١) حكم المعتزلة إن مرتكب الكبيرة خارج عن الإيمان بالكلية قالوا لا نسميه كافراً بل هو في منزلة بين منزلتين وسموه فاسقاً، قالوا وهو معذب في النار عذاباً أبدياً خالداً.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المظالم، باب النهبى بغير إذن صاحبه ج3/ ص177، ومسلم كتاب الإيمان، باب نقصان الإيمان بالمعاصي، رقم الحديث (100).

(٣) ابن تيمية، الواسطية بشرح الشيخ صالح بن فوزان/ ص134-138.

(٤) ابن القيم، حاشية ابن القيم، ج12/ ص294.

(٥) ابن القيم، زاد الماد، ج3/ ص481.

بانحلال انقياده أو اختلاله، ثم أن اسم الإيمان يتناول ما فُسر به الإسلام في هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات للتصديق الباطن الذي هو أصل الإيمان ومقويات ومتممات وحافظات له(١).

وعلى هذا فمن ترك العمل فهو خارج عن الإيمان داخل في الكفر عند الخوارج أو خارج عن الإيمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وليس بخارج عن الإيمان

وعليه أكثر السلف وهو المحكي عن الإمام مالك والإمام الشافعي والإمام الاوزاعي(٢) إلى ما هو الأساس في النجاة(٣).

ويتبين لنا مما سبق ذكره أن الإيمان هو إقرار باللسان والتصديق بالجنان والعمل بالأركان وهذا الذي إليه معظم أهل السنة(٤).

أقسام الإيمان:

وينقسم الإيمان من حيث الرسوخ والقوة على خمسة أقسام(١):-

---

(١) النووي، شرح مسلم، ج1/ ص148.

(٢) هو الإمام مالك بن انس ﷺ إمام أهل المدينة والمذهب المعروف الآن في الحجاز وأفريقيا وكان إذا حدث عن رسول الله ﷺ اغتسل وتبخر وتطيب ومنع الناس أن يرفعوا أصواتهم. أخذ العلم عن تسعمائة شيخ ثلاثمائة من التابعين. وكان إذا مشى في أزقة المدينة مشى حافياً حياء أن يطأ تربة بنعله فيها قبر النبي ﷺ ولد سنة 93هـ وتوفي سنة 179هـ ودفن في المدينة. (الإمام الشافعي) هو محمد بن إدريس الشافعي أحد المذاهب الأربعة يلتقي نسبه مع رسول الله ﷺ في عبد مناف. ولد في غزة ورحل إلى مكة ودرس على الإمام مالك وقرأ إليه الموطأ. رحل إلى اليمن والعراق وناظر محمد بن الحسن تلميذ الإمام أبي حنيفة ونشر علم الحديث ورحل إليه الناس من سائر الأقطار. عاش أربعاً وخمسين سنة توفي في مصر سنة 204هـ وقيل 205هـ بالقاهرة، انظر الطبقات الكبرى للشعراني/ ص50 وما بعدها. و(الإمام الأوزاعي) هو أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الاوزاعي، إمام الديار الشامية في الفقه والزهد. وأحد الكتاب المترسلين. ولد في بعلبك ونشأ في البقاع وسكن في بيروت وتوفي عام 157هـ وعرض عليه القضاء فامتنع. له كتب السنن في الفقه والمسائل راجع ابن النديم ج 1/ ص227، الوفيات ج1/ ص275، وتاريخ بيروت/ ص15، وحلية الأولياء ج6/ ص135.

(٣) انظر سعد الدين بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت 793 هـ)، شرح النسفية، بيروت-لبنان، 1989م، ص175 وما بعدها.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق ومراجعة جماعة من العلماء، المكتب الإسلامي ط 4، 1391هـ/ ص373.

الأول: إيمان عن تقليد وهو الإيمان الناشيء عن الأخذ بقول الشيخ من غير دليل وهذا ما عليه سائر العوام والغالبية العظمى من المسلمين المؤمنين.

الثاني: إيمان عن علم وهو الإيمان الناشيء عن معرفة العقائد بأدلتها وهذا يخص طلبة العلم والعلماء وهم أصحاب العلم بأدلته من مصادر التشريع كالكتاب والسنة.

الثالث: إيمان عن عيان وهو الإيمان الناشيء عن مراقبة القلب لله ﷻ بحيث لا يغيب عنه طرفة عين وهو لأهل المراقبة ويسمى مقام المراقبة.

الرابع: إيمان عن حق[٢] وهو الإيمان الناشيء عن مشاهدة الله في القلب وهذا إيمان العارفين بالله ويسمى مقام المشاهدة.

الخامس: إيمان عن حقيقة وهو الإيمان الناشيء عن كونه لا يشهد إلا الله وهذا إيمان الواقفين على الحقيقة ويسمى مقام الفناء (لأن أصحابه يفنون عن غير الله ولا يشاهدون في الوجود حقيقة لشيء إلا الله[٣])[٤].

المطلب الثاني: مقومات الإيمان ودوافعه

إن مقومات الإيمان ودوافعه التي تدفع بالعبد إلى التعبد لله تعالى والإكثار من الطاعات والتقرب إلى الله بأنواع القربات والطاعات من الأوامر والنواهي التي أمرنا الله ورسوله بها وما نهانا عنه الله ورسوله، ومن اكثر الدوافع والمقومات التي تحثنا على فعل الطاعات وترك المنهيات والمنكرات هي أركان الإيمان.

وهي كما في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ حينما سأله جبريل عن الإيمان فقال **((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره ...))**[١] فأركان الإيمان هي:

---

(١) علي حسين محمد أحمد العيساوي، الإيمان ماهيته، حقيقته عند فرق المتكلمين (إطروحة دكتوراه) في كلية العلوم الإسلامية (جامعة بغداد)، طبعة بغداد سنة 1998م/ ص13.

(٢) الباجوري، شرح جوهرة التوحيد/ ص66-67.

(٣) انظر كلام العلامة الباجوري، شرح جوهرة التوحيد/ ص 69، الشيخ عبد الكريم المدرس في كتابه الوسيلة في شرح الفضيلة في علم الأصول للعلامة السيد عبد الكريم الكردي المولوي المتوفى سنة (1300هـ)، الطبعة الأولى، مطبعة الإرشاد، بغداد سنة 1972م/ ص72.

(٤) علي حسين العيساوي، الإيمان ماهيته حقيقته/ ص13.

1. الإيمان بالله.
2. الإيمان بالملائكة.
3. الإيمان بالكتب السماوية.
4. الإيمان بالرسل (عليهم الصلاة والسلام).
5. الإيمان باليوم الآخر.
6. الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره.

الركن الأول: الإيمان بالله تعالى.

والإيمان بالله تعالى يتضمن أربعة أمور وهي:[٢]

1 - الإيمان بوجود الله تعالى.

2 - الإيمان بربوبيته.

3 - الإيمان بألوهيته.

4 - الإيمان بأسمائه وصفاته.

أولاً: الإيمان بوجود الله تعالى:-

إن الإيمان بوجود الله تعالى له دلائل كثيرة لكنه اختص بعدة دلائل وهذه الدلائل التي دلت على وجوده ﷻ هي:

1) الفطرة.
2) العقل.
3) الشرع.
4) الحس.

1 - فأما دلالة الفطرة على وجوده ﷻ:

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم (9).

(٢) محمد بن صالح العثيمين، شرح أصول الإيمان.

فان كل مخلوق قد فُطِرَ على الإيمان من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف من مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها.

كما في الحديث الذي بينه النبي ﷺ بقوله ((***ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه***))[1].

وقوله تعالى ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة الروم/ الآية 30-32].

إن الشعور الفطري بوجود الله تعالى: إن وجود الخالق وهو الله تعالى حقيقة ثابتة في الأنفس، إذ كل واحد من بني آدم يقر بوجود الخالق ويعترف به والدليل على

ذلك أن أعتى إنسان ملحد إذا ما وقع بشدة أو أحدق به خطر عظيم، ففي تلك اللحظات تتطاير منه الأوهام والخيالات، وتنتفي عنه الأباطيل والتزييفات، ولا يبقى في نفسه إلا ما كان ذا أساس عميق ومتين راسخ في أصول الحقيقة وعندئذٍ يصيح بأعلى صوته مستجيراً مستعيناً متوكلاً قائلاً **(يا الله)** والقرآن الكريم يعطينا الدليل على هذا الشعور الفطري فيبين حال المشركين كيف انهم يلجؤون إلى الله حينما يصابون بمصاب اليم أو يقعون في مأزق لا يجدون في ذلك الوقت إلا الله، يقول تعالى ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة يونس/ الآية 22]، وأن الفطرة السليمة التي تتلوث بأدران الشرك تقر بوجود الله وتقر أيضاً بوحدانيته لأنه أمر فطري، قال سبحانه ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [سورة الروم/ الآية 30].

---

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز باب إذا اسلم الصبي هل يصلى عليه، حديث رقم (1270).

فالشعور الفطري بوجود الخالق من الدلائل الصادقة على وجود الخالق [١] وإنما نشأ هذا الانحراف عن الفطرة التي توقن بوجود الله تعالى المتجه إلى الخالق الحق وتولت إلى عبادة المخلوقات سبب المبالغة في الانحراف بدافع لا أخلاقي، وظلم مرأة فطرته بدخان نار الشهوات، وبعض الغرائز النفسية العاتية المستكبرة[٢].

فالانحراف والميل عن الخط السوي أمر طاريء على البشرية، وذلك حين فساد الفطرة[٣] ولأجل ذلك يذهب الكثير من أهل العلم إلى القول بأن القرآن لم يطل في الاستدلال على وجود الله وإنما ركز على تصحيح الاعتقاد به وتوحيده التوحيد الصحيح.

والأدلة على وجود الله تعالى لا تحصى، وعددها كعدد مخلوقات الله، فكل مخلوق يحمل أدلة تدلنا على خالقه وتعرفنا بموجده العليم[٤].

2 – دلالة العقل على وجوده ﷻ:

وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى: فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها:

وذلك لأن هذه المخلوقات لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، ولا يمكن أن توجد هكذا من غير شيء يوجدها صدفة.

ولا يمكن أن توجد نفسها بنفسها لان الشيء أو الشخص أو الكائن أو المخلوق لا يمكن أن يخلق نفسه بنفسه لأنه قبل أن يكون موجوداً كان عدماً فكيف يكون خالقاً؟!

---

(١) ينظر الدكتور عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت/ ص65.

(٢) علي محمد ناصح الفقيهي، منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان، رسالة ماجستير قدمت في جامعة الملك عبد العزيز فرع مكة المكرمة، جامعة أم القرى حالياً سنة 1395هـ/ ص36؛ وعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها ط 2، منقحة ومزيدة، دار العلم، دمشق، بيروت/ ص59.

(٣) ابن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان ج2/ ص152؛ وابن تيمية منهاج السنة ج2/ ص202.

(٤) عبد المجيد الزنداني، توحيد الخالق، منشورات مكتبة المثنى، بغداد/ ص27.

ولا يمكن أن توجد صدفة لان كل حادث لابد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام والشكل البديع، والتناسق المتآلف والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعضها الآخر، وكل هذا يمنع ويستحيل أن يكون قد جاء وجودها هكذا صدفة(١).

وأن الذي نراه يكون صدفة لا يكون على أساس نظام في أصل وجوده، فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟

فمثلاً البيت حينما يبنى، يبنى بتناسق بديع وخارطة تبين حدوده وأبعاده وبناء الحائط وترتيب الطابوق بشكل معين .. الخ مع مكملات البنيان يستحيل أن نراه بعد اكتماله ونقول هذا كان أو صار صدفة! فكيف بهذه المخلوقات التي تحيط بنا من كل جانب فيستحيل أن نطلق عليها لفظ الصدفة كما قال أحد السلف حينما جاء إلى قرية فقال أنا عندي ألف دليل ودليل على وجود الله تعالى فأجابته عجوز شمطاء طاعنة في السن بقولها: البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير، فسماوات ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا يدلن على السميع البصير. أفيمكن بعد ذلك أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها أو أن توجد صدفة فتعين هنا أن يكون لها موجد وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في كتابه الحكيم إذ قال سبحانه ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [سورة الطور/ الآية 35]. فيتبين مما سبق ذكره أن يكون خالقهم هو الله ﷻ، ولهذا لما سمع -جبير بن مطعم- ﷺ رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ [سورة الطور/ الآية

---

(١) محمد بن صالح العثيمين، شرح أصول الإيمان/ ص15-16.

35-37]، وكان -جبير- يومئذٍ مشركاً قال: **(كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي)**[١].

ولنضرب مثلاً آخر يوضح ذلك فانه لو حدثك شخص عن قصر مشيد تحيط به الحدائق والأنهار ومليء بالفرش والأسرة، وزين بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته ما يتمم به القصر وقال لك: إن هذا القصر وما فيه من كمال قد أوجد نفسه، أو وجد هكذا صدفة بغير موجود، أفلا يكون حالك في هذا الموقف أن تبادر إلى تكذيبه والإنكار عليه، وجعلت حديثه سفهاً من أقوال السفهاء وحمقاً من الحماقات.

أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وبسمائه وأفلاكه وأحواله، ونظامه البديع الباهر المتناسق، قد أوجد نفسه من غير موجد أو حدث صدفة بغير محدث له؟!

يشير ابن عثيمين إلى دلالة العقل على وجود الله تعالى فيقول:

يستحيل على هذه المخلوقات أن توجد نفسها بنفسها أو توجد هكذا صدفةً، فمستحيل عقلاً أن توجد نفسها وهي معدومة كيف تكون موجودة وهي معدومة، المعدوم ليس بشيء حتى يوجد، إذاً لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها، وإنْ قلت وجدت صدفة فهذا يستحيل أيضاً، فأنت أيها الجاحد هل ما انتج من الطائرات والصواريخ والسيارات والآلات بأنواعها، هل وجد هذا صدفة؟! فيقول: لا يمكن أن يكون. فكذلك هذه الأطيار والجبال والشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب والجمر والرمال والبحار وغير ذلك لا يمكن أن توجد صدفة أبداً[٢].

3 - دلالة الشرع على وجود الله تعالى:

وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى فلأن الكتب السماوية تنطق بذلك وما جاءت به من الأحكام المتضمنة لمصالح الخلق دليل على أنها من رب حكيم عليم

---

(١) سنن ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب القراءة في صلاة المغرب، حديث رقم (824).

(٢) محمد بن صالح العثيمين، شرح العقيدة الواسطية/ ص29.

بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما اخبر به.

يقول ابن حجر على دلالة الشرع على وجود الله تعالى:

وقد اكتفى العلماء بإطلاق لفظ الإيمان على من آمن بالله ورسوله ولا اختلاف أن الإيمان برسول الله المراد به الإيمان بوجوده وبما جاء به عن ربه فيدخل جميع ما ذكر تحت ذلك(١). وقيل الإيمان بالله هو التصديق بوجوده وأنه متصف بصفات الكمال منزه عن صفات النقص(٢).

وكذلك الملائكة الذين وظفهم الله تعالى بأعمال الكون فمثلاً جبريل موكل بالوحي ينزل آيات الله من الله تعالى إلى رسله وأنبيائه، وإسرافيل موكل بنفخ الصور وميكائيل موكل بالقطر والنبات، ومنهم من وكل بقبض أرواح بني آدم وهو ملك الموت وهناك من يكتبون أعمال الناس، قال تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الانفطار/ الآية 10-12].

وكذلك إرساله للرسل وإنزاله الكتب وبعثة الناس ليوم القيامة التي أعدها لمحاسبة الناس على كل عمل قاموا به وعملوه وكل هذه من مستلزمات الإيمان التي يجب على العبد أن يؤمن بها.

وكما في مسند أبي عوانة كما في حديث المرأة التي أقرت بوجود الله فأعتقها سيدها فيقول (اطلعت لي غنيمة ترعاها جارية لي قبل أحد والجوانية فوجدت الذئب قد ذهب منها شاة وأنا رجل من بني آدم أسف كما يأسفون واغضب كما يغضبون فصككتها صكّة فأخبرت بذلك رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي قلت يا رسول الله لو أعلم أنها مؤمنة لأعتقتها قال ائتني بها فجئت بها فقال لها أين الله فقالت في السماء قال فمن أنا قالت أنت رسول الله قال إنها مؤمنة فاعتقها فعتقتها(٣).

---

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ج1/ ص119.

(٢) المباركفوري، تحفة الاحوذي، ج7/ ص289.

(٣) أبو عوانه يعقوب بن إسحاق الاسفرايئني (ت 316هـ) ، مسند أبي عوانه، دار المعرفة، بيروت، ج2/ ص142.

وهذا يدل على أنها أقرت بوجود الله وبمعرفة رسول الله وعلمت أن الله موجود في السماء وذلك حين قال أن الله في السماء.

4 - دلالة الحس على وجود الله تعالى:

وأما أدلة الحس على وجود الله تعالى فمن وجهين:

أحدهما: إننا نسمع ونشاهد من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدل دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله تعالى ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية 76]، وقوله تعالى ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال/ الآية 9]، وكما في صحيح البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال **(قام إعرابي يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فقال يا رسول الله، هلك المال وجاع العيال، فادع الله لنا، فرفع يده ودعا فثار السحاب أمثال الجبال فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته، وفي الجمعة الثانية قام ذلك الأعرابي أو غيره فقال: يا رسول الله تهدم البناء وغرق المال فادع لنا الله، فرفع يده وقال: اللهم حوالينا ولا علينا، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت)**[١].

وما زالت إجابة الداعين أمراً مشهوداً إلى يومنا هذا لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى وأتى بشروط الإجابة التي تستجاب بها الدعوة.

الوجه الثاني: إن آيات الأنبياء التي تسمى (**المعجزات**) ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر يجريها الله تعالى تأييداً لرسله ونصراً لهم.

ومثال ذلك آية موسى عليه السلام حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق اثني عشر طريقاً يابساً، والماء بينهما كالجبال، قال الله تعالى ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الشعراء/ الآية 63]، ومثال ثانٍ آية عيسى عليه السلام حيث كان يحي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال تعالى ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 49]، وقوله ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ [سورة المائدة/ الآية 110].

---

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، حديث رقم (881).

ومثال ثالث لمحمد ﷺ حين طلبت قريش آية، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ * وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ ﴾ [سورة القمر/ الآية 1-2].

فبهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله/ ونصراً لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى.

ثانياً: الإيمان بربوبيته:-

ومعناه الإجمالي: وهو أن الله تعالى هو خالق الكون وما فيه من المحيي والمميت، والنافع والضار والمعطي والمانع وهذه صفاته ﷻ فمن نقل صفة من صفاته إلى جهة أخرى فقد أشرك شرك ربوبية(١).

والإيمان بربوبيته: أي نؤمن بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين وانه هو الخالق الرازق المدبر لكل ما في هذا الكون، والملك له والأمر له سبحانه فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، ولا أمر إلا لَهُ ﷻ قال تعالى ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 54]، وقال ﷻ ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ [سورة فاطر/ الآية 13].

ولم يعلم أن أحداً من الخلق أنكر ربوبيته سبحانه، إلا أن يكون مكابراً غير معتقد بما يقول، كما حصل من **(فرعون)** إذ قال لقومه ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ [سورة النازعات/ الآية 24]، وقال ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ [سورة القصص/الآية38].

لكن ذلك لم يكن عقيدة، قال الله تعالى ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [سورة النمل/ الآية 14]، وقال موسى لفرعون فيما حكم الله عنه ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [سورة الإسراء/ الآية 102].

ولهذا كان المشركون يقرون بربوبية الله تعالى مع إشراكهم به في الألوهية، قال الله تعالى ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَنْ رَبُّ

---

(١) نعمان عبد الرزاق السامرائي، الإسلام/ ص35.

السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ [سورة المؤمنون/ الآية 84-89].

وقال تعالى ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ [سورة الزخرف/ الآية 9]، وقال ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة الزخرف/ الآية 87].

وأمرُ الرب سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعي فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه بما يريد بحسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه يشرع العبادات وأحكام المعاملات بحسب ما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرعاً في العبادات أو حاكماً في المعاملات فقد أشرك به سبحانه ولم يحقق الإيمان، قال تعالى ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة الشورى/ الآية 21].

يختبر الله في هذه الآية (إن المشركين اتخذوا شركاء يوالونهم ويشتركون هم وإياهم في الكفر وأعماله من شياطين الإنس والدعاة إلى الكفر ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ من الشرك والبدع وتحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله ونحو ذلك مما اقتضته أهواؤهم، مع أن الدين لا يكون إلا ما شرعه الله تعالى ليدين به العباد ويتقربوا به إليه)[١].

والإيمان بتوحيد الربوبية: هو الإقرار بأنه سبحانه خالق الخلق ومحييهم ومميتهم ونافعهم وضارهم ومجيب دعائهم عند الاضطرار، والقادر عليهم ومعطيهم ومانعهم، وله الخلق وله الأمر كما قال سبحانه عن نفسه ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف/ الآية 54][٢]، وكما في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((*من قال رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً وجبت له الجنة*))[٣].

---

(١) السعدي، تفسير الكريم الرحمن/ ص895-896.

(٢) الدكتور محمد نعيم ياسين، الإيمان أركانه حقيقته نواقضه، دار الفرقان عمان-الأردن/ ص8.

(٣) رواه أبي داود، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، حديث رقم (1306).

يشير أبو الطيب العظيم أبادي إلى معنى هذا الحديث فيقول (وإن الظاهر أن الثواب المذكور مترتب على إجابة بكمالها مع هذه الزيادة -رضيت بالله ربا- أي تميز بربوبيته وبجميع قضائه وقدره وقيل حال أي مربياً ومالكاً وسيداً ومصلحاً)(١).

ثالثاً: الإيمان بألوهيته:-

أي بأنه وحده الإله الحق لا شريك له ولا ند(٢) والإله بمعنى (المألوه) أي المعبود حباً وتعظيماً، وقال الله تعالى ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة البقرة/ الآية 163]، وقال تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 18]، وكل ما اتخذ إلهاً مع الله يعبد من دونه فألوهيته باطلة، قال سبحانه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سورة الحج/ الآية 62].

وأما تسميتها آلهة فلا يعطيها حق الألوهية، قال تعالى (**عن اللات والعزى ومناة):** قوله ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [سورة النجم/ الآية 23]، وقال عن هود (عليه الصلاة والسلام): ﴿أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 71]، وقال عن يوسف انه قال لصاحبي السجن ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [سورة يوسف الآية 39-40]، ولهذا كان الرسل (عليهم الصلاة والسلام) يقولون لأقوالهم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل/ الآية 36]، ولكن أبى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله ﷻ، ويستنصرون بهم ويستغيثون.

وقد ابطل الله تعالى اتخاذ المشركين ببرهانين عقليين هما:

---

(١) عون المعبود في شرح سنن أبي داود ج2/ ص160.

(٢) العثيمين: شرح أصول الإيمان/ ص21.

الأول: إنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية فهي مخلوقة لا تخلق ولا تجلب نفعاً لعابديها، ولا تدفع عنهم ضرراً، ولا تملك لهم حياةً ولا موتاً، ولا يملكون شيئاً من السماوات ولا يشاركون فيه(١). قال الله تعالى ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [سورة الفرقان/ الآية 3]، وقال سبحانه ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ * وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سورة سبأ/ الآية 22-23]، وقوله تعالى ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 191-192].

الثاني: إن هؤلاء المشركين كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجير ولا يجار عليه، وهذا يستلزم أن يوحدوه بالألوهية كما وحدوه بالربوبية، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 21-22].

وقال ﷻ ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة الزخرف/ الآية 87](٢).

وقال تعالى ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [سورة يونس/ الآية 31-32]، (وإن الإيمان بتوحيد الألوهية الذي تعريفها يبين حقيقة الإيمان يقول ابن القيم رحمه الله:

---

(١) ابن عثيمين، شرح أصول الإيمان/ ص22.

(٢) المصدر نفسه/ ص23.

ومعناه بعبارة إجمالية: **(هو الاعتقاد الجازم بأن الله سبحانه هو الإله الحق ولا اله غيره وإفراده سبحانه بالعبادة والإله بمعنى المألوه أي المعبود والعبادة في اللغة: هي**

الانقياد والتذلل والخضوع وقد عرفها بعض العلماء بأنها كمال الحب مع كمال الخضوع)(١).

والإيمان بتوحيد الألوهية على إخلاص العبادة لله وحده في باطنها وظاهرها بحيث لا يكون شيء منها لغيره سبحانه: فالمؤمن يعبد الله وحده بالحب والخوف والرجاء والتوكل وجميع أنواع العبادة وأشكالها وهذا النوع من التوحيد يتضمن في حقيقته جميع أنواع التوحيد الأخرى: فيتضمن توحيد الله في ربوبيته وتوحيده في أسمائه وصفاته وليس العكس لأن توحيد العبد في ربوبيته لا يعني أنه يوحده في ألوهيته فقد يقر بالربوبية ولا يعبد الله ﷻ، كذلك توحيد الله في أسمائه وصفاته لا يتضمن أنواع التوحيد الأخرى، ولكن العبد الذي يقر بأن الله هو المستحق للعبادة وأن غيرها لا يستحقها، ولا يستحق شيئاً منها يقر بأن الله رب العالمين وبأن له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة لأن إخلاص العبادة لا يكون لغير الرب ولا يكون لمن فيه نقص، وكيف يعبد من كان ناقصاً؟!(٢).

ومن هنا كانت شهادة **(أن لا اله إلا الله)** متضمنة لجميع أنواع التوحيد: فمعناها المباشر توحيد الله في ألوهيته الذي يتضمن توحيد الله في ربوبيته وأسمائه وصفاته.

ومن أجل ذلك كان هذا التوحيد أول الدين وآخره وظاهره وباطنه ومن أجله خلقت الخليقة وقال عنه ابن تيمية: إنه الفارق بين الموحدين والمشركين والذي يقع عليه العقاب والثواب فمن لم يأت به كان من المشركين(٣).

الإيمان بأسماء الله وصفاته:

ومعناه بعبارة إجمالية الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن جميع صفات النقص وأنه متفرد عن جميع الكائنات وذلك بإثبات ما أثبته سبحانه لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات الواردة في الكتاب

---

(١) ينظر ابن القيم، شرح قصيدة ابن القيم ج2/ ص259؛ وإغاثة اللهفان ج2/ ص128-129.

(٢) ينظر شرح العقيدة الطحاوية حققها وراجعها جماعة من العلماء/ ص79 وما بعدها.

(٣) ابن تيمية، الحسنة والسيئة/ ص261.

والسنة من غير تحريف ألفاظها أو معانيها، ولا تعطيلها بنفيها أو نفي بعضها عن الله ﷻ، ولا تكييفها بتحديد كنهها واثبات كيفية معينة لها، ولا تشبيهها بصفات المخلوقين[١].

يتبين من خلال هذا التعريف أن توحيد الأسماء والصفات يقوم على ثلاثة اسس، فمن حاد عنها لم يكن موحد ربه في أسمائه وصفاته[٢]:

الأول:- تنزيه الله جل وعلا عن مشابهات الخلق، وعن أي نقص.

الثاني:- الإيمان بالأسماء والصفات الثابتة في الكتاب والسنة دون تجاوزها بالنقص منها أو الزيادة عليها أو تحريفها أو تعطيلها.

الثالث:- قطع الطمع عن كيفية هذه الصفات.

فأما الأساس الأول: فهو تنزيه الله ﷻ عن أن يُشبهَ شيئاً من صفاته شيئ من صفات المخلوقين. وهذه الأصل يدل عليه قول الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى/ الآية 11]، وقوله تعالى ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص/ الآية 4]، وقوله تعالى ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل/ الآية 74]، يقول القرطبي عند تفسيره قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾: **(والذي يعتقد في هذا الباب أن الله جل في اسمه وعظمته وكبريائه وملكوته وحسنى أسمائه وعليّ صفاته لا يشبه شيئاً من مخلوقاته، ولا يشبه به، وما أطلقه الشرع على الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي إذ صفات القديم جل وعلا بخلاف صفات المخلوق)**[٣].

ويقول الواسطي رحمه الله **(ليس كذاته ذات، ولا كاسمه إسم، ولا كفعله فعل، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة أن يكون لها صفة**

---

(١) محمد نعيم ياسين، الإيمان (أركانه، حقيقته، نواقضه)/ ص16.

(٢) ينظر محمد أمين الشنقيطي، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات/ ص25.

(٣) القرطبي، تفسير القرطبي، ج16/ ص8.

حديثة، وكما استحال للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب أهل الحق والسنة والجماعة)(١).

ويقول سيد قطب رحمه الله في تفسير الآية المذكورة **(والفطرة تؤمن بهذا بداهة، فخالق الأشياء لا تماثله هذه الأشياء التي هي من خلقه)**(٢).

ويدخل في هذا الأساس تنزيهه سبحانه عن كل ما يناقض ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ : فالإيمان بتوحيد الله بصفاته أن يؤمن بما يقتضي على المسلم أن

ينزه ربه جل وعلا عن الزوجة والشريك والولد والكفؤ والظهير والشفيع (بغير إذن الله له)، والولي من الذل.

ويقتضي أن ينزه الله عن النوم والإعياء والتعب والموت والجهل والظلم والغفلة والنسيان والنعاس والتحيز وغير ذلك من صفات النقص.

وأما الأساس الثاني: فيقتضي وجوب الاقتصار فيما أثبته الله تعالى لنفسه من الأسماء والصفات على ما ورد منها في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المشرفة الثابتة، فهي تتلقى عن طريق السمع لا بالآراء، فلا يوصف الله ﷻ إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، ولا يسمى إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله ﷺ لأن الله ﷻ أعلم بنفسه وأسمائه وصفاته، قال تعالى ﴿قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [سورة البقرة/ الآية 140]، وإذا كان أعلم بنفسه، وكان رسله صادقين مصدقين لا يخبرون إلا بما أوحي إليهم من ربهم، فإذن يجب الرجوع بالإيمان بالأسماء والصفات نفياً وإثباتاً إلى ما أخبر به الله ﷻ وما أخبر به رسوله ﷺ.

يقول نُعيم بن حماد شيخ البخاري: **(من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه ولا تمثيل)**(١).

---

(١) المصدر نفسه: ج16/ ص8.

(٢) في ظلال القرآن، ج7/ ص272.

وأما الأساس الثالث: فيقتضي من العبد المكلف أن يؤمن بتلك الصفات والأسماء المنصوص عليها في الكتاب والسنة من غير سؤال عن كيفيتها ولا بحث عن كنهها وكيفيتها فكذلك صفاته سبحانه لا يصح السؤال عن كيفياتها (٢) ولذلك اثر عن كثير من السلف أنهم قالوا حينما سئلوا عن كيفية استواء الله ﷻ: **(**الاستواء معلوم، والكيف مجهول والإيمان به(٣) واجب والسؤال عنه بدعة**)**(٤).

فلو إن قائلاً قال كيف ينزل ربنا إلى السماء الدنيا؟ قيل له: كيف هو؟ فإذا قال: أنا لا أعلم كيفيته، قيل له: ونحن لا نعلم كيفية نزوله، إذ العلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف وهو فرع وتابع له فكيف تطالبنا ببيان كيفية سمع الله وبصره وتكلمه واستواؤه ونزوله؟ وأنت لا تعلم كيفية ذاته! وإذا كنت تقرأ بأن الله ﷻ حقيقة ثانية في نفس الأمر مستوجبة لصفات الكمال التي لا يماثلها شيء، فسمعه وبصره وكلامه ونزوله واستواؤه سبحانه ثابت في نفس الأمر وهو متصف بصفات الكمال التي لا يشابهه فيها سمع المخلوقين وبصرهم وكلامهم ونزولهم واستواؤهم(٥).

ويتبين مما تقدم أن هذا التوحيد يقدح فيه عدة أمور يجب أن لا يقع فيها المسلم وهي:

---

(١) محمود محمد خطاب السبكي، إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات، مطبعة الاستقامة الطبعة الأولى، سنة 1350هـ/ ص6.

(٢) محمد الشنقيطي، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات/ ص25.

(٣) أي بالاستواء.

(٤) زيد بن عبد العزيز بن فياض، الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، المطبعة اليوسفية، الطبعة الثانية سنة 1388هـ - 1968م/ ص29.

(٥) زيد بن عبد العزيز بن فياض، الروضة الندية/ ص34.

1. **التشبيه:** أي تشبيه الله صفات الخالق بصفات المخلوق كتشبيه النصارى المسيح بن مريم بالله سبحانه، وكتشبيه اليهود عزيراً بالله، وكتشبيه بعض الطوائف وجه الله بوجه المخلوق ويد الله بيد المخلوق، وسمع الله بسمع المخلوق ونحو ذلك(١).
2. **التعريف أو التغيير أو التبديل** : كتعريف ألفاظ الأسماء والصفات بزيادة أو نقصان أو تغيير الحركات الإعرابية، أو تحريف معناها مما سماه بعض المبتدعين تأويلاً وهو حمل للفظ على معنى فاسد لم يعهد به استعمال في اللغة، كتحريف بعضهم لقوله تعالى ﴿وكلم اللهَ موسى تكليماً﴾، بنصب لفظ الجلالة ابتغاء نفي صفة الكلام عن الله ﷻ(٢).
3. **التعطيل:** وهو نفي الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذات الله ﷻ كتعطيل الله جل وعلا عن كماله المقدس، وذلك بجحد أسمائه وصفاته. وكتعطيل معاملات الله ﷻ بعبادته بترك عبادته. وكتعطيل المصنوع من صانعه، كمن قال بقدم المخلوقات، وجحد أن الله خلقها وصنعها(٣).

4. **التكييف:** وهو تعيين كيفية الصفات وإثبات كنهها.

وهذا المنهج في أخذ الصفات والأسماء المذكورة في القرآن والسنة على ظاهرها دون تشبيه ولا تحريف ولا تكييف وهو مذهب السلف (رضوان الله عليهم) والتابعين وتابعيهم يقول الشوكاني: **(إن مذهب السلف رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو إيراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها ولا تشبيه، ولا تعطيل يفضي إليه كثير من التأويل وكانوا إذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلوا عليه الدليل وأمسكوا عنه القال والقيل ..)**(٤).

أثر الإيمان بالله ﷻ وثمراته:

---

(١) عبد العزيز المحمد السلمان، الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية ط 4، سنة 1390هـ/ ص35.

(٢) ينظر محمد نعيم ياسين، الإيمان (أركانه، حقيقته، نواقضه)/ ص19.

(٣) ينظر زيد ابن عبد العزيز ابن فياض، الروضة الندية/ ص 35؛ عبد العزيز محمد السلمان، الأسئلة والأجوبة الأصولية/ ص35.

(٤) محمد بن علي الشوكاني، التحف في مذاهب السلف، مطبعة الإمام، مصر ط2/ ص7.

1- **الإيمان بالله وحده وعبادته سبحانه وحده دون سواه،** فما سوى الله تعالى مخلوق لله تعالى سماءً كان أرضاً شمساً كان أو تراباً ملكاً كان أو إنساناً، كوكباً كان أو حجراً، قال الله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 101]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [سورة العنكبوت/ الآية 42].

وحين يتم هذا الإيمان ويقوى حتى يملأ القلب ويشع على جوانب النفس ويملك على المؤمن شعوره وتصرفاته فلا تكون ثمة عبادة لإنسان أو طاعة له، ولا يكون فعلاً ولا تركاً، ولا سيراً ولا سلوكاً بل لا إقدام ولا إحجام، ولا صمت ولا سكوت إلا على وفق أمر الله سبحانه ونهيه. ومن هذه الثمار أو الآثار ما يأتي:

- هذا التوحيد يمتلأ به قلب المؤمن حتى أنه ليؤثر دوام بقاء نعمة الإيمان على ملك الدنيا ولو أن يعيش ساعة أن يكون فيها على الإيمان.
- ومنها لذة الإيمان فإن ساعة إيمان أغلى عنده من الدنيا وما فيها، فإن لذة الإيمان لا تعدلها لذة الغنى، ولذة مناجاة الله ودعائه لا تدنو منها لذة عد الأموال وإحصائها.
- بل إن الإيمان بالله ليدفع المؤمن إلى بذل روحه رخيصة في سبيل الله تعالى، حتى أنه ليود أن لو كانت له أرواح بعدد شعر جسده يبذلها في سبيل الله تعالى[1].

- إن الإيمان بالله تعالى يجعل صاحبه لا يبالي بسلطان ظالم وبطشه، أو إدبار دنيا أو نزول عذاب ولو كان هو الموت، وما أصدق قول سحرة فرعون بعد إيمانهم بقليل لفرعون ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [سورة طه/ الآية 72-73].

---

(١) وهبي سليمان غاوجي الألباني، أركان الإيمان، ط 2، 1399هـ - 1979م، مؤسسة الرسالة/ ص103.

- الإيمان بالله تعالى يدفع صاحبه إلى نبذ الملك وإغضاب الملك، ولتكن العاقبة بعد ذلك الصلب حتى الموت كما كانت آسيا المؤمنة امرأة فرعون، قال تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة التحريم/ الآية 11].

2- **حب الله تعالى والخوف منه** : وهذا ما تكلمنا عنه في الفصل السابق في مبحث أركان العبودية.

3- **تعظيم قدر الله تعالى:** ويتحقق ذلك بأن يكون العبد قد حقق الثمرة التي قبلها وهو بأن يخاف الله حق مخافته وأحب الله حق المحبة فإنه عظم قدر الله حق قدره وإنْ كان كل إنسان مهما عمل لله وتأدب معه فإنه لا يبلغ قدره، قال تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الزمر/ الآية 67][١].

وإنما يقدر العبد ربه حق تقديره بالعلم والمعرفة وذلك حاصل من تلاوة كتابه سبحانه وفهمه وتدبر آياته ومعرفة أغراضه، وكذلك النظر في حديث رسول الله ﷺ وفهمه وتدبر ألفاظه ومعرفة أحكامه وأغراضه وغاياته ومراميه، ثم إعمال النظر العلمي والبحث الفكري في مخلوقات الله تعالى ومعرفة ما أودع الله تعالى من الأسرار فيها.

4-الاستقامة على ذلك: نعني بالاستقامة الدوام والثبات على الإيمان بالله تعالى وحده وعبادته وحده، وطاعته سبحانه وتحري مراضيه، ودوام ترك معاصيه والحذر من مساخطه سبحانه، ودوام محبة الله سبحانه والحرص على ذلك، ودوام الخوف من الله تعالى والحذر من سخطه سبحانه في كل عمل وحال[٢].

قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [سورة فصلت/ الآية 30]، وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ

---

(١) المرجع السابق، أركان الإيمان/ ص106.

(٢) وهبي سليمان الألباني، أركان الإيمان/ ص107.

﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة الأحقاف/ الآية 13]، وقوله ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ [سورة هود/ الآية 112].

وعن عبد الله بن سفيان عن أبيه أن رجلاً قال يا رسول الله أخبرني أمراً في الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قال يا رسول الله فأي شيء أتقي قال فأشار بيده إلى لسانه[١].

الاستقامة تقتضي الصبر على طاعة الله تعالى والدوام عليها من دون انقطاع بدافع من كسل أو غرض، والصبر عن معاصي الله تعالى بغير انقطاع بدافع من هوى أو غرض، والصبر على قضاء الله تعالى والرضا به على الدوام من دون انقطاع بدافع من خرف أو جزع.

والاستقامة هي التي تدفع المؤمن ليجعل همه في الحياة واحداً هو رضوان الله تعالى ثم الأمر عنده سواء رضى الناس عنه أم سخطوا .. فيكفيه الله تعالى هم الدنيا والآخرة ويجعل قلوب الصالحين تتجه إلى حبه.

الإيمان بالملائكة:

خلق الله تعالى هذا الإنسان محدوداً في العمر وفي العيش محدود الفكر والعقل والقوة مع لو يود لوعرف كل شيء.

فتراه مثلاً يسلم بوجود بلاد لم يراها حين يخبر عن صادق أنه رآها ومسموعات لم يسمعها حين يخبره صادق أنه سمعها، وبمعقولات لم يستوعبها بعقله حين يخبره صادق بذلك وهكذا.

بل أما ترى أحدنا يسلم بعقله وفكره وسمعه وبصره وقوته للطبيب الذي يخبره أن في كأس العسل الذي يريد أن يشربه سماً زعافاً قاتلاً! أنه لا يرى السم ولا يجد ريحه، ويأخذ بقول الطبيب المصدق عنده.

---

(١) رواه احمد، مسند احمد بن حنبل، كتاب مسند المكيين، باب حديث سفيان بن عبد الله الثقفي حديث رقم (14870)؛ ومسلم في صحيحه كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام، حديث رقم (55)، واللفظ الأحمد.

كذلك وأكثر نقول في أمور الغيب التي لا تدرك بالحواس أنا نصدق بها حين يكون المخبر بها صادقاً والخبر المنقول عنه صادقاً ثم لا نبالي بعد ذلك رأينا الملائكة –ما مثلهم في أمور الغيب– أم لا، كما لا نبالي بتصديق وجود مدينة بخارى، رأيناها أم لم نرها، وبوجود الروح والعقل مع إننا لا نرى ذلك.

فلا تقل بعد ذلك لم نرَ الملائكة فكيف نؤمن بها؟ فلقد ورد الخبر الصادق بذلك من الله تعالى ورسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، وكفى بذلك حجة.

فلا تقل إن الأمر غيبي هو بعيد المحال .. بل انظر إذا جاء صحيح النقل ونقله ثقة مأمون، فقل أنا مخلوق محدود .. وهذا الأمر فوق حدودي، فعليّ التسليم لله تعالى البريء من الحدود والقيود، والتصديق الحق بذلك الخبر، وكفى بخبر الشارع حجة على العباد(١).

ومن أركان الإيمان، **الإيمان بالملائكة**(٢). هو الاعتقاد الجازم والتصديق بأن لله ملائكة موجودين مخلوقين من نور، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم وأنهم قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله بالقيام بها(٣).

فهم نوع من مخلوقات الله ﷻ، لا يصلح إيمان عبد حتى يؤمن بوجودهم وبما ورد في حقهم من صفات وأعمال في كتاب الله سبحانه وسنة رسوله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف. قال تعالى ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [سورة البقرة/ الآية 285].

---

(١) وهبي سليمان الألباني، أركان الإيمان/ ص118-119.

(٢) يقول ابن حجر في معنى الملائكة (جمع ملك، فقيل: محفف من مالك، وقيل: مشتق من مالك، وقيل مشتق من الالوكة، وهي الرسالة وهي قول سيبويه والجمهور وأصله لاك. وقيل أصله لاك. وقيل أصله الملك بفتح الميم وسكون اللام، وهو الأخذ بقوة، وأصله وزنه (مفعل) فتركت الهمزة لكثرة الاستعمال وظهرت في الجمع .. وقال جمهور أهل الكلام من المسلمين: الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة التشكيل بأشكال مختلفة، ومسكنها السماوات) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ج6/ ص232.

(٣) انظر عبد العزيز المحمد السلمان، الأسئلة والأجوبة الأصولية/ ص21.

وكما في الحديث الذي يرويه عمر بن الخطاب ﷺ عن النبي ﷺ حينما سال جبريل ﷺ عن الإيمان قال ﷺ: ((*أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره*))[١].

والذي يستقصي الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تكلمت عن الملائكة وأوصافهم وأعمالهم وأحوالهم يلاحظ أنها تناولت عن تبيين علاقتهم بالخالق سبحانه وبالكون والإنسان فعرفنا سبحانه من ذلك ما ينفعنا لتطهير عقيدتنا وتزكية قلوبنا وتصحيح أعمالنا.

وأما حقيقة الملائكة وكيف خلقهم الله ﷻ وتفصيلات أحوالهم فقد استأثر الله تعالى بها، وهذه خصيصة من خصائص العقيدة الإسلامية.

والمؤمن الصادق يقر بكل ما أخبر به الخالق مجملاً أو مفصلاً ولا يزيد على ذلك أو ينقص منه، ولا يتكلف البحث عما لم يطلعنا عليه منه، ولا يخوض فيه.

صفات الملائكة الخلقية:

وبناءً على ذلك فالخالق ﷻ لم يخبرنا من صفاته الخلقية إلا النزر اليسير، فاخبرنا سبحانه أنهم قبل خلق آدم، إذ ورد في القرآن الكريم أن الله اخبرهم بأنه سيخلق الإنسان ويجعله في الأرض خليفة، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 30].

وأما عن المادة التي خلقوا منها فقد أخبرنا رسولنا الكريم محمد بن عبد الله ﷺ أن الله خلقهم من نور، فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله ﷺ: ((***خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم***))[٢].

وتدل النصوص في مجموعها على أن الملائكة مخلوقات نورانية ليس لها جسم يدرك بالحواس الإنسانية وأنهم ليسوا كالبشر، فلا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزاوجون، مطهرون من الشهوات الحيوانية ومنزهون عن الآثام والخطايا ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية التي يتصف بها ابن آدم[٣].

---

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الإسلام والإيمان والإحسان، حديث رقم (9).

(٢) رواه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب أحاديث متفرقة حديث رقم (5314).

(٣) الشيخ ملا علي بن سلطان محمد القاري، شرح ملا علي القاري على الفقه الأكبر لأبي حنيفة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2 سنة 1375هـ - 1955م/ ص11.

وبين أن لهم القدرة على أن يتمثلوا بصور البشر بإذن الله تعالى كما أخبر الله ﷻ عن جبريل عليه السلام أنه جاء مريم في صورة بشر، قال تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [سورة مريم/ الآية 16-17]، وكما في حديث جبريل الطويل الذي مرّ ذكره حيث اسند ركبته إلى ركبة النبي ﷺ وسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة وأشراطها[١].

ومن صفاتهم الخلقية أن جعل الله لهم أجنحة يتفاوتون في عددها فقال سبحانه ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة فاطر/ الآية 1].

وقد روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح[٢].

علاقة الملائكة بالله تعالى:

وعلاقة الملائكة بالله تعالى هي علاقة العبودية الخالصة والطاعة والامتثال، والخضوع لأوامره ﷻ، ولا ينتسبون إليه سبحانه إلا بهذه النسبة، فهم ليسوا آلهة من دون الله ولا ذرية ولا بنات بل هم عباد مكرمون، قال تعالى ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية 26-28]، وقال سبحانه ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة النحل/ الآية 50]، وقال أيضاً ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [سورة التحريم/ الآية 6]، فهم من خلق الله لا يقدرون على شيء من تلقاء أنفسهم وهم لا يقترحون شيئاً بل إنهم مسيرون على ما أراد الله تعالى

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم (9).
(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، باب في ذكر سدرة المنتهى، حديث رقم (174).

وهم دائماً منقطعون لعبادة الله وطاعة أمره، قال تعالى ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ*وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ*وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [سورة الصافات الآية 164-166].

الإيمان بالملائكة إجمالي وتفصيلي:

ويجب الإيمان بالملائكة التي وردت أسماؤهم في الكتاب أو في السنة بالتفصيل.

ومن هؤلاء رؤساؤهم الثلاثة: **جبريل وميكائيل وإسرافيل**، وجبريل هو الملك الموكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح(١) وقد ورد ذكره هو وميكائيل في القرآن الكريم بقوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ*مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 97-98]، ولقد أثنى الله على الملائكة أحسن الثناء بقوله ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ*الْجَوَارِ الْكُنَّسِ*وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ*وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ*إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ*ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ*مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [سورة التكوير/ الآية 15-21]، وقال تعالى في وصفه ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى*ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾(٢) [سورة النجم/ الآية 5-6].

وأما ميكائيل فهو الملك الموكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وأما إسرافيل فهو الملك الموكل بالنفخ بالصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم(٣).

ومن الملائكة الذين ورد ذكرهم في القرآن مالك خازن النار. قال تعالى ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [سورة الزخرف/ الآية 77](٤).

---

(١) ابن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان، ج2/ 122.

(٢) المقصود بالمرة: صحة الجسم وسلامته من الآفات والآهات؛ ينظر ابن القيم، إغاثة اللهفان، ج 2/ ص12.

(٣) المصدر نفسه: إغاثة اللهفان، ج2/ ص122.

(٤) ينظر ابن حجر: فتح الباري، ج6/ ص242.

فيجب علينا أن نؤمن بهؤلاء الملائكة الذين ورد ذكرهم في الأحاديث الصحيحة وبما أنيط بهم من الوظائف والأعمال. فكل ما ذكر هو إيمانٌ تفصيلي على ما فضله من ذكر أعمالهم ووظائفهم وأما الذين لم يرد ذكرهم فيجب أن نؤمن بهم بصور إجمالية. ونؤمن بما ذكر من أصنافهم وأفعالهم. فنؤمن بالكرام الكاتبين الذين جعلهم الله علينا حافظين قال تعالى ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الانفطار/ الآية 10-12]، وقال أيضاً ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الرعد/ الآية 11]، وقال ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [سورة الزخرف/ الآية 80].

أي أن هناك ملائكة كاتبين ما يفعل العبد من الحسنات والسيئات عن اليمين والشمال، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحد من أمامه وواحد من ورائه فهو بين أربعة ملائكة[1]. ونؤمن كذلك بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين قال تعالى ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة السجدة/ الآية 11]، ولم يصرح القرآن باسمه ولا الأحاديث الصحيحة، إلى غير ذلك من وظائف الملائكة من ملائكة الجنة والنار وحملة العرش إلى غير ذلك.

اثر الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان:

إن الإيمان بالملائكة هو من الإيمان بالغيب الذي وصف الله به المتقين قال تعالى ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 1-3]، وما أعظم كرم الله ولطفه وفضله أن جعل الملائكة العظام لصالح أمره، وجعل منهم ملائكة ينزلون بالوحي من الله تعالى لصالح أمر المؤمن كي يحيى على هدى من الله تعالى ونور.

وللإيمان بالملائكة أثر عظيم في حياة المؤمن منها:

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق ومراجعة جماعة من العلماء/ ص439.

1. إن الله سبحانه جنبنا بما اطلعنا من أمر هذه الأرواح المؤمنة وأفعالها من الوقوع في الخرافات والأوهام التي وقع فيها من لا يؤمنون بالغيب، ولا يتلقون معارفهم عن الوحي الإلهي(١).
2. جعل منهم ملائكة ترافق المؤمن تعده بالخير إذا أطاع الله تعالى وتعده إن أمر الله خير وثوابه حق وان الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، وسيلقى الجزاء من ربه ومولاه الكريم(٢).
3. الاستقامة على أمر الله ﷻ فإن من يشعر بقلبه بوجود الملائكة الذين هم جنود الرحمن. ويؤمن برقابتهم لأعماله وأقواله، وشهادتهم على كل ما يصدر عنه ليستحي من الله ومن جنوده، فلا يخالفه ولا يعصيه لا في السر ولا في العلانية، إذ كيف له ذلك وهو يعلم أن كل شيء محسوب ومكتوب ومشهود عليه(٣).
4. إن الله جعل ملائكة يحضرون المؤمن عند احتضاره ويبشرونه بإقباله على رب كريم يقبل الحسنة ويضاعفها ويتجاوز عن السيئة ويمحوها. ولا يزالون معه حتى يرى مقعده من الجنة، فإذا دخل الجنة جاءت الملائكة مهنئين مبشرين بفضل الله تعالى وإكرامه، قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ* نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ* نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴾ [سورة فصلت/ الآية 30-32]، وقوله ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ* سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ [سورة الرعد/ الآية 23-24].

إن الإنسان حينما يعلم هذا في حق الملائكة ليجد في قلبه دوافع تدفعه إلى الاستقامة على طاعة الله تعالى والمبادرة إلى طلب مرضاته على كل حال، وذلك لما يرى من إنعام الله عليه.

5. وإنه ليقوى إيمانه بالله تعالى لما يبدو له من أشياء وأشياء تدل على عظمة الله تعالى في خلق جبريل عليه السلام وغيره من الملائكة، وجعلهم إياه واسطة بينه وبين

---

(١) محمد نعيم ياسين، الإيمان (اركانه، حقيقته، نواقضه)/ ص43.

(٢) المصدر نفسه: ص43.

(٣) وهبي سليمان، الألباني، أركان الإيمان/ ص129.

خلقه، وينشط أيضاً في عبادته لله ﷻ لما يرى ويسمع أن الملائكة ذوي القوة والعظمة ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء/ الآية 20]. وإنه ليعيش على طاعة الله تعالى دائماً لا يسبق حكم الله تعالى بهوى أو غرض ولا متابعة للضالين إيثاراً للعاجلة على الآجلة. فإن الملائكة لا يسبقونه سبحانه بالقول وهم بأمره يعملون منقادون تحت مشيئته(١).

6. الصبر ومواصلة الجهاد في سبيل الله تعالى، وعدم اليأس والشعور بالأنس والطمأنينة. فهذه المعاني من لوازم الإيمان بالملائكة. لأن الملائكة تطمئنه وتسدد خطاه على طريق الاستقامة واتباع منهج النبي ﷺ وأصحابه الأبرار.

الإيمان بكتب الله ﷻ المنزلة

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكرم الإنسان بالعقل ويزينه به ويجعله به أهلاً لإدراك الكثير من مصالح العيش وحكم الله تعالى في الإيجاد والعطاء.

لكن عقل الإنسان محدود .. وإدراكه محدود، كما أن سمعه وبصره وقدرته وعمره محدود. كما أن السمع والبصر لا يعاب إذا لم يسمع ويبصر فوق طاقته أو فوق حدوده كذلك العقل فإنه لا يعاب إذا لم يدرك أو يعقل ما فوق حدوده، ولكن يعاب أن لا يُسلِم بما وراء حدوده، أو أن يدعي إن ما وراء حدوده كالذي بين يديه يحكم لهما حكماً واحداً ويزينهما بميزان واحد بغير حجة وبرهان سوى الدعوى والتبجح.

لذا فقد انزل الله كتاباً وصحفاً على من أرسله، وتلك الكتب والصحف عبارة عن أحكام الله تعالى ووصاياه وأوامره ونواهيه ومواعظه وإرشاداته إلى العباد يعقلونها بعقولهم ويفهمونها بقلوبهم(٢). بها تتحرر العقول من الأهواء والشهوات والبدع والضلالات، وتعلم ما لم تكن تعلم وتقوى هذه العقول حتى تنتصر على الأغراض الدنيئة.

---

(١) المصدر نفسه

(٢) نعمان عبد الرزاق السامرائي، الإسلام/ ص131-132.

ولقد أنعم الله تعالى بالهدى على الإنسان الأول آدم عليه السلام حين أهبطه إلى الأرض ليعمرها ويقوم بأمر الله تعالى وطاعته بها، كما قال تعالى ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 38-39].

فإذا زاغ بالإنسان هوى، أو مال به عن الحق ضلال، أو تغلبت عليه شهوة، أو طمس فكره غرض دنيء أو جهل شيئاً ما يجب أن يعرفه لله تعالى، وإذا استبد به ميل في أمر من أمور الغيب وأحوال القيامة هرع إلى كتاب الله تعالى فإذا هو على الجادة، وإذا هو يسير على نور من الله تعالى وهداية(١).

إذن من أركان الإيمان أن نؤمن بالكتب التي أنزلها على أنبيائه ورسله. فكما أن الله عز وجل أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم فقد أنزل كتبه من قبل على سائر الرسل.

ومن هذه الكتب ما سماه الله تعالى في القرآن الكريم، ومنها ما لم يُسمِّ. والذي أخبرنا الله عز وجل أنه أنزلها هي أربعة وهي كالآتي:

1- التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام قال سبحانه ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ [سورة المائدة/ الآية 44].

2- الإنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام قال تعالى ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة المائدة/ الآية 46].

3- الزبور الذي نزل على داود عليه السلام قال تعالى ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [سورة الإسراء/ الآية 55].

4- والصحف التي أنزلها على إبراهيم وموسى التي أخبر عنها الله تعالى بقوله ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى * وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ [سورة النجم/ الآية 36-42]. وبقوله

---

(١) المصدر نفسه/ ص137.

أيضاً ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [سورة الأعلى/ الآية 18-19](١).

5- القرآن الكريم: وهو آخر الكتب المنزلة الذي نزل على نبينا محمد ﷺ قال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [سورة الشورى/ الآية 52-53] وقوله ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [سورة الزمر/ الآية 2].

وأما الكتب الأخرى التي نزلت على الرسل فلم يخبرنا الله تعالى عن أسمائها، وإنما اخبرنا سبحانه أن لكل نبي أرسله الله رسالة بلغها قومه، فقال ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [سورة البقرة/ الآية 213]، فيجب علينا أن نؤمن بهذه الكتب التي لم تُسمَّ إجمالاً، ولا يجوز لنا أن ننسب كتاباً إلى الله تعالى سوى ما نسبه إلى نفسه مما أخبرنا عنه في القرآن الكريم(٢).

ومع إيماننا بالقرآن الكريم بين الله ﷻ أنه خصه بعدة مزايا عن جميع ما تقدمه من الكتب المنزلة ومن هذه المزايا:

1. إنَهُ تضمن خلاصة التعاليم الإلهية، وجاء مؤيداً ومصدقاً لما جاء في الكتب السابقة من توحيد الله وعبادته ووجوب طاعته. وجمع كل ما كان متفرقاً في تلك الكتب من الحسنات والفضائل. وجاء مهيمناً ورقيباً يقر ما فيها من حق، ويبين ما دخل عليها من تحريف وتغيير قال تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [سورة المائدة/ الآية 48]، وإنه جاء بشريعة عامة للبشر فيها كل ما يلزم

(١) محمد نعيم ياسين، الإيمان (اركانه، حقيقته، نواقضه)/ ص60.
(٢) محمد نعيم ياسين، الإيمان (اركانه، حقيقته، نواقضه)/ ص61.

لسعادتهم في الدارين، نسخ بها جميع الشرائع العملية الخاصة بالأقوام السابقة وأثبت فيها الأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان.

2. إن القرآن هو الكتاب الرباني الوحيد الذي تعهد الله بحفظه، فقال ﷻ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [سورة الحجر/ الآية 9] وقال سبحانه ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت/ الآية 41-42].

وهذه مزية مقترنة بمزية أخرى وهو إن القرآن أنزله الله لجميع الناس وليس خاصاً بقوم معينين، كما كانت الكتب السابقة فكان محفوظاً من التحريف، مصوناً من عبث الناس، ليبقى ما فيه من شرائع وأحكام حجة الله على الناس قائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها(١).

فأما الدين الذي بعث الله به الرسل فهو واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له وأما الشرائع فمختلفة في الكتب السابقة قال تعالى ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [سورة المائدة/ الآية 48]. فعن التحريف فإن اليهود والنصارى قد حرفوا كتبهم فان اليهود قد حرفوا وغيروا وبدلوا وأدخلوا فيها ما ليس منها قال تعالى عن اليهود وتحريفهم للتوراة ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 75] وقال أيضاً ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [سورة النساء/ الآية 46](٢).

وأما عن التحريف الذي أدخله النصارى على الإنجيل قال تعالى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [سورة المائدة/ الآية 14-15].

---

(١) المصدر نفسه، ص62.

(٢) محمد نعيم ياسين، الإيمان (أركانه حقيقته نواقضه)/ ص62.

ومن التحريفات التي أدخلها اليهود والنصارى في دينهم بينها القرآن في كثير من الآيات: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة التوبة/ الآية 30] هذا قول اليهود إلا أن القرآن صحح لهم هذا الانحراف الذي صنعوه بأنفسهم فبين أن الله منزه عن أن يكون له ولد فقال تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص/ الآية 1-4].

ومن التحريف الذي اقترفه النصارى بينه الله تعالى في القرآن على ما أدخلوه على حقيقة النبوة من تأليه عيسى عليه السلام وقول بعضهم بالتثليث قال تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [سورة المائدة/ الآية 72] وقال أيضاً ﴿لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله إلا اله واحد﴾ فجاء القرآن الكريم فبين التحريف وبين العقيدة السليمة عن عيسى وأمه فقال ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة المائدة/ الآية 75]، والحق الذي لا يماري فيه منصف أنه لا يوجد اليوم على ظهر الأرض كتاب سوى القرآن تصلح نسبته إلى الخالق غير القرآن الكريم يدل على هذه الحقيقة أدلة حسية فضلاً عما أخبر به القرآن عن التحريف الواقع في الكتب الموجودة، من هذه الأدلة(١):

أ -إن الكتب التي نزلت قبل القرآن، قد ضاعت نسخها الأصلية، ولم يبق في أيدي الناس إلا تراجمها، وأما القرآن فإنه لا يزال محفوظاً بسوره وآياته وكلماته وحركاته كما تلاه جبريل على رسول الله ﷺ وكما تلاه رسول الله ﷺ على صحابته رضوان الله عليهم.

ب -إن هذه الكتب قد اختلط فيها كلام الله بكلام الناس: من تفسير وتاريخ وسير الأنبياء وتلاميذهم واستنباطات الفقهاء، فلا يعرف فيها كلام الله من كلام البشر. وأما

(١) أبو الأعلى المودودي، مبادىء الإسلام، نشر مكتبة الشباب المسلم، ط 3، سنة 1381هـ - 1961م/ ص77.

القرآن فهو جميعه من كلام الله تعالى، ولم يختلط به غيره من حديث الرسول ﷺ أو أقوال الصحابة وغيرهم.

ج- إن تلك الكتب ليست منها كتابات تصح نسبتها إلى الرسول الذي ينسب إليه، فليس لأي منها نسب تاريخي موثوق، فالأسفار الموجودة ضمن ما يسمى بالعهد القديم ويطلق عليه التوراة إنما دونت بعد موسى عليه السلام بقرون عدة قد تصل إلى الأربعمائة عام، وأما القرآن العظيم فهو الكتاب الوحيد الذي ثبتت نسبته بصورة قطعية إلى الرسول الذي أوحي إليه وهو محمد ﷺ فقد نقل هذا الكتاب بسوره وآياته وطريقة ترتيبها وكيفية تلاوته إلى كل عصر جاء بعد عصر نزوله بالتواتر بحيث لا يشك في أن القرآن الذي نتلوه هو الذي نَزَّلَه الله على رسوله الكريم ﷺ.

د- ومن الأدلة على وقوع التحريف في تلك الكتب تعدد نسخها واختلافها فيما نقلته من الأقوال والآراء[١].

هـ- ومن القرائن القاطعة على وقوع التحريف في هذه الكتب ما تضمنته من العقائد الفاسدة والتصورات الباطلة عن الخالق سبحانه، وعن رسله الكرام (عليهم السلام) فانك تجد فيها تشبيه الخالق للإنسان، والقدح بالأنبياء بما يمس شرفهم ويتنافى مع عصمتهم[٢].

آثار الإيمان بكتب الله عز وجل:

1 -كم يشعر الإنسان بعظيم فضل الله تعالى عليه إذا انزل عليه على فترات وصايا وأحكاماً وإرشادات وأوامر وفرائض وتكاليف لتوجه عقله وتهدي فكره وترشد فطرته وتسلك بعواطفه ومشاعره بسبل الخير والسعادة[٣].

2 -وكم يقوى حب هذا الإنسان لربه سبحانه أن تنزل سبحانه لإرشاد هذا الإنسان -والله غني عن العالمين- كي يعيش عيشة الأبرار ويسعد سعادة الأخيار، وهو

---

(١) السيد سابق، العقائد الإسلامية، دار النصر للطباعة، ط2، 1387هـ - 1967م/ ص168.

(٢) المرجع نفسه/ ص167.

(٣) انظر الطبري، جامع البيان ج9/ ص350-352.

يرى أن كل ما أرشده الله تعالى إليه هو الحق لا ريب فيه، ينقاد إليه العقل ويكون تابعاً له وتقبله الفطرة السليمة، ويستقيم عليه الفكر النير الذي تنور بنور القرآن وفهمه وتَتَبّعَ السنة النبوية المشرفة وإدراكها. وتسعد به النفس المؤمنة التقية النقية التي استقامت على منهج الله، قال تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 153] وتكون سعادة هؤلاء من أتم السعادات وأكملها.

3 - يقوى إيماننا بالله وتعالى وحبنا له سبحانه فنؤثر طاعته على طاعة كل من سواه. ونقدم أمره على كل أمر ونصحه على كل نصيحة لا نبتغي بكتاب الله بديلاً فهو وحده الحق، قال تعالى ﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [سورة يونس/ الآية 32] وقال تعالى عن الكتاب ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 2] وهو وحده كل شيء وأن كل ما سواه ليس بشيء، قال تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة المائدة/ الآية 68] أي القرآن الكريم.

4 - أن نقبل على القرآن الكريم نستزيد تلاوته وفهمه، ونزداد به عملاً وتطبيقاً وبه دعوةً، وفي سبيل تقرير أحكامه جهاداً ونصرة لدين الله تعالى حتى يكون السلطان في الأرض لكتاب الله ﷻ قال تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [سورة الأنفال/ الآية 39].

الإيمان بالرسل (عليهم الصلاة والسلام):

ومن أركان الإيمان أيضاً: الإيمان بأنبياء الله ورسله:

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكرم الإنسان بالعقل ويزينه بالنظر والفكر كي يدرك ذلك كثيراً من مصالح العيش ومطالب الحياة ويستزيد يوماً فيوماً من المعارف وإدراك المصالح .. لكن لن يبلغ بعقله الكمال ولن يدرك الحق وحده، فقد صَيَّرَهُ الله تعالى محدوداً في كل شيء، لذا لم يتركه سبحانه إلى عقله القاصر عن الكمال وغير قادر عن إدراك تمام المصالح، فضلاً عما قد يميل به العقل من تأثير وينحرف من داعية شهوة... وكم زين الشيطان ما هو باطل للعقل فطنه صواباً، وكم مالت أهواء بالفكر فظن الانحراف هدى.

فكانت نعمة الله تعالى انه أنزل الصحف والكتب هداية للعقل وإرشاداً للفكر وسلامة للجسم وموافقة بالفطرة ووقوفاً بالإنسان عند حدود الإنسانية وإيثاراً لتسخير الحياة بما يأمر الله تعالى به من الإيمان به وطاعته.وقد جعل الله تعالى حملة تلك الكتب أفضل الناس في أقوامهم، وأشرفهم في أهليهم، وهم رسل الله تعالى وأنبيائه من البشر إلى البشر.

ومعنى الإيمان برسل الله تعالى وأنبيائه: هو الإيمان بما سمى الله تعالى في كتابه من رسله وأنبيائه، والإيمان بأن الله ﷻ أرسل رسلاً سواهم، وأنبياء لا يعلم عددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [سورة غافر/ الآية 78]، وقال سبحانه ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر/ الآية 24] وقال أيضاً: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ [سورة يونس/ الآية 47].

الأنبياء والرسل(١) المذكورون في القرآن:

والمذكورون في القرآن الكريم من الأنبياء والرسل خمسة وعشرون وهم: آدم ونوح وإدريس وصالح وإبراهيم وهود ولوط، ويونس وإسماعيل وإسحاق ويعقوب

---

(١) النبي كل من أوحي إليه من الله تعالى سواء أمر تبليغ غيره أو لم يؤمر فان لم يؤمر بالتبليغ فهو نبي وليس رسولاً، فان أمر بالتبليغ فهو نبي ورسول وهكذا فان كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً، انظر شرح ملا علي القاري عل الفقه الأكبر/ ص60.

ويوسف وأيوب، وشعيب وموسى وهارون واليسع وذو الكفل وداود وزكريا وسليمان وإلياس، ويحيى وعيسى ومحمد (عليهم الصلاة والسلام).

وقد ورد ذكر ثمانية عشر منهم في قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 83-86].

وأما الأنبياء والرسل الذين لم يقصهم القرآن علينا، فقد أمرنا أن نؤمن بهم إجمالاً. وليس لنا أن نقول برسالة أحد من البشر أو نبوته ما دام القرآن لم يذكره في عداد الأنبياء والرسل (عليهم الصلاة والسلام)، ولم يخبرنا به رسول الله ﷺ.

أولوا العزم من الرسل:

وأولوا العزم من الرسل كما ذكره كثير من العلماء خمسة وهم: محمد وإبراهيم وموسى ونوح وعيسى (عليهم الصلاة والسلام)[1] وقد ذكرهم الله تعالى في قوله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [سورة الأحزاب/الآية7].

موضوع الرسالة:

ويجب علينا أن نؤمن بان الله يبعث رسله إلى الخلق لتبشيرهم وإنذارهم، تبشيرهم برضوان الله وثوابه وجنته إن آمنوا به وبرسله وأطاعوه، وإنذارهم من غضب الله إنْ كفروا وعصوا[2]. قال ﷻ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ

---

(١) عبد العزيز محمد السلمان، ينظر الأسئلة والأجوبة الأصولية/ ص 22؛ شرح العقيدة الطحاوية/ ص349.

(٢) محمد نعيم ياسين، الإيمان (أركانه، حقيقته، نواقضه)/ ص47.

﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 48-49].

كما يجب علينا أن نؤمن بأن جميع هؤلاء الرسل بعثهم الله لتحقيق غرض أساسي واحد هو عبادة الله ﷻ، وإقامة دينه قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية 25]. وقال أيضاً ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [سورة الشورى/ الآية 13]، وقال تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل/ الآية 36].

الواجب علينا نحو الرسل:

1. يجب علينا تصديق رسل الله جميعاً، بعد الإيمان بهم وبرسالتهم وأن لا نفرق بينهم، فمن فرق بين رسل الله، فآمن ببعضهم وكفر بالآخرين، أو صدق بعضهم وكذب بعضاً، كان من الكافرين بنص القرآن الكريم، قال ﷻ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء/ الآية 150][1].
2. يجب علينا أن نؤمن بأن كل رسول أرسله الله قد أدى أمانته وبلغ رسالته على الأوجه الأكمل، وبينها بياناً واضحاً شافياً كافياً.
3. ويجب علينا طاعتهم وعدم مخالفتهم، لان ذلك من طاعة الله ﷻ قال تعالى ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [سورة النساء/ الآية 80]، وقال أيضاً ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة النساء/ الآية 64].

---

(١) يقول الطبري عند تفسيره لهذا الآية: يقولون نصدق بهذا ونكذب بهذا، كما فعلت اليهود من تكذيبهم عيسى ومحمداً ﷺ وتصديقهم موسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم، وكما فعلت النصارى من تكذيبهم محمداً ﷺ وتصديقهم بعيسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم، ينظر تفسير الطبري ج 9/ ص352.

4. يجب علينا أن نعتقد بأنهم أكمل الخلق علماً وعملاً، واصدقهم، وأكملهم أخلاقاً، وأن الله سبحانه خصهم بفضائل لا يلحقهم فيها أحد وأنه عصمهم ونزههم عن الكذب والخيانة والكتمان والتقصير في التبليغ وعن الكبائر كلها والصغائر وقد تقع منهم زلات وخطيئات وعثرات بسيطة على الرغم مما هم فيه من علو المقامات كما

حصل لآدم (عليه السلام) في أكله من الشجرة على وجه النسيان ولكنهم لا يصرون عليها ويوفقون للتوبة منها[1].

5. ونؤمن بأن الله سبحانه لم يخصهم بطبائع أخرى غير طبائع البشرية وإنما اختارهم سبحانه من الرجال الذين يأكلون ويشربون وينامون ويضحكون ويجلسون ولهم أزواج وذرية ويتعرضون للأذى وللاضطهاد على أيدي الظلمة ويموتون وقد يقتلون بغير حق وقد دلت على ذلك كثير من آيات القرآن: قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [سورة الفرقان/ الآية 20]، وقوله ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [سورة الرعد/ الآية 38]، وقوله ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [سورة المائدة/ الآية 75]، وأخيراً قال الله تعالى في وفاة الرسول ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ [سورة آل عمران/ الآية 144].

6. ونؤمن أنهم لا يملكون شيئاً من خصائص الألوهية، فلا يتصرفون في الكون ولا يملكون النفع أو الضر ولا يؤثرون في إرادة الله تعالى، ولا يعلمون الغيب إلا ما أطلعهم الله عليه، قال تعالى ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 188]، وقال ﷻ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ

---

(١) ينظر ملا علي القاري، شرح ملا علي القاري على الفقه الأكبر لأبي حنيفة/ ص56-57.

﴿ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾ [سورة الجن/ الآية 26-27]. وإنما أهلهم خصهم الله ﷻ بمؤهلات من المزايا والفضائل والأخلاق تؤهلهم لتلقي الوحي وأهلهم الله لتبليغ الرسالة ليكونوا قدوة وأسوة للناس يقتدى بهم في أمور الدين والدنيا وأنهم معصومون من كل نقيصة تقدح في دينهم وطاعتهم لله ﷻ وبمقدورهم تبليغ

الرسالة[١]. لما يتسمون به من الصدق والأمانة والفطانة والتبليغ التي تجعلهم يتحملون هذه المسؤولية.

7. يجب علينا أن نؤمن بأن الله سبحانه قد أيدهم بالمعجزات الباهرات، والآيات الظاهرات الدالة على صدقهم بما جاؤوا به من عند ربهم تبارك وتعالى.
والمعجزات هي ما يجريه الله على أيدي رسله وأنبيائه من خوارق العادات التي يَتَحدَّون بها العباد[٢] وخاصة ما جاءنا من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

واجبنا تجاه نبينا محمد ﷺ:

1 - يجب علينا أن نؤمن بأن محمد بن عبد الله ﷺ نبي الله ورسوله وعبده وصفيه، لم يعبد صنماً ولم يشرك بالله طرفة عين قط، ولم يرتكب صغيرة ولا كبيرة قط[٣].

2 -نؤمن بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين لما ورد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فأما القرآن فقد قال تبارك وتعالى ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب/ الآية 40]، وأما السنة فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: ((***مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل الرجل يبني بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس***

---

(١) ينظر شرح النووي على صحيح مسلم، ج3/ ص53.

(٢) عبد الملك الجويني (إمام الحرمين)، لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، تحقيق الدكتورة فوقية محمود ط1، سنة 1385هـ-1965م/ ص110.

(٣) ملا علي القاري، شرح الملا علي القاري على الفقه الأكبر/ ص59-61.

يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين))[١].

3 - نعتقد اعتقاداً جازماً: إنه لا نبوة بعده ﷺ وأن كل من ادعاها بعده فهو كذاب فقد قال رسول الله ﷺ: ((***وإنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم انه نبي، وأنا خاتم النبيين لا نبي من بعدي***))[٢].

4 - يجب علينا أن نعتقد: إنه مبعوث إلى الجن عامة والورى كافة بالحق والهدى [٣]: فقد قال سبحانه في القرآن قول الجن: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأحقاف/ الآية 31]، كما أنه مبعوث للناس جميعاً بشيراً ونذيراً، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سورة سبأ/ الآية 28]، وقال أيضاً ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الأعراف/ الآية 158].

5 - ويجب علينا أن نؤمن بأنه ﷺ فُضِلَ على الأنبياء جميعاً، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: ((***فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جَوامعَ الكَلِمْ، ونُصِرْتُ بالرُعب، وأُحلَت لِيَّ الغنائم، وجُعِلت لي الأرض طَهوراً ومسجِداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون***))[٤].

6 - يجب علينا أن نقدم محبته على الوالد والولد والنفس، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((***لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والدِهِ وَولَدِهِ والناسِ أجمعين***))[٥].

---

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه خاتم النبيين حديث رقم (4239).

(٢) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله، باب لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون حديث رقم (2145).

(٣) محمد نعيم ياسين، الإيمان (اركانه، حقيقته، نواقضه)/ ص53.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قول النبي نصرت بالرعب مسيرة شهر حديث رقم (812).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان، حديث رقم (14).

7 –ونؤمن بأن الله جل وعلا قد أيده بالمعجزات الدالة بيقين على صدقه ﷺ في كل ما جاء به وأن القرآن معجزته الباهرة التي تحدى بها العالمين بأن يأتوا بمثله فعجزوا عن الإتيان بمثله، قال تعالى ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 23-24].

8 –ونؤمن بأن الله ﷻ أيده بالمعجزات الحسية الموجودة في الأحاديث الصحيحة مثل انشقاق القمر وتسليم الحجر عليه، وحنين الجذع إليه، ونبوع الماء من بين أصابعه، وإشباع الخلق الكثير من الطعام القليل، وإظلال السحاب له قبل مبعثه، ورميه

التراب في وجوه المشركين، وإخباره المغيبات التي وقعت كما أخبر (عليه الصلاة والسلام) واستجابة الله لدعائه وعصمته من القتل .. الخ.

9 –ونؤمن بأن الله قد حباه خلقة وصورة وحباه أخلاق القرآن كلها مما يدل على صدقه وتأييد الله له، وقد كان خُلقه القرآن كما سئلت سيدتنا عائشة (رضي الله عنها) حينما سألها سعد بن هشام بن عامر قال أخبريني بخُلق رسول الله ﷺ قالت: **(كان خلقه القرآن)** أما تقرأ القرآن قوله ﷻ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [سورة القلم/ الآية 4][(1)].

10 –تعزيره وتوقيره وتعظيم أمره، قال تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [سورة الفتح/ الآية 8-9]. وخير تعظيم لرسول الله تعظيم سنته.

11 –الصلاة والسلام عليه لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب/ الآية 56].

آثار الإيمان بالرسل (عليهم الصلاة والسلام):

---

(١) مسند احمد، كتاب باقي مسند الأنصار، باب حديث السيدة عائشة، حديث رقم (23460).

1. **الاهتداء إلى القدوة الكاملة :** والرسل وحدهم هم القدوة الكاملة الذين يقتدى بأفعالهم لأنهم مكملون في كل شيء وهم معصومون من الشرك والكفر وسوء الأفعال، قال تعالى بعد سرد صفات الأنبياء ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 90]، وقوله ﴿لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ﴾ [سورة الممتحنة/ الآية 6].
2. **الاهتداء إلى العلم الصحيح:** فهم الوحيدون الذين أرشدوا الناس إلى ما ينفعهم في دينهم وأخراهم. من معرفة الله وتوحيده وتحكيم شرعه الذي هو صالح لكل زمان ومكان.
3. **الاهتداء إلى الهدف الحق من الحياة:** ما يزال هذا الإنسان يحب معرفة الطريق الذي يسلكه في حياته والعيش الذي يعيشه، ما يزال هذا الإنسان راغباً في أن تتفتح له أبعاد الشيء الذي يريده وغاياته. فالرسل (عليهم الصلاة والسلام) هم الذين

أرشدوا الناس إلى ما يريدونه وعرفوا لهم الطريق وبينوا لهم لماذا خلقوا وما مهمتهم في هذه الحياة بقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات/ الآية 56].

الإيمان باليوم الآخر:

هو الاعتقاد الجازم بأن هناك يوماً آخر يجازى به الإنسان على ما قدمت يداه في دار الدنيا، الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف كثيرة، أما السيئة بمثلها، قال تعالى ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 60]. وفي هذا اليوم يكون العرض والحساب وقراءة الكتاب، والثواب والعقاب، ففيه حياة غير هذه الحياة ينعم فيها الإنسان أو يعذب على حسب أعماله، كما دل على ذلك الكتاب والسنة(١).

يذكر الشيخ حافظ الحكمي شعراً على ذلك فيقول:

---

(١) إسماعيل رديف يوسف العبيدي، العقيدة الإسلامية بين القرآن الكريم والمنهج العلمي المعاصر، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد سنة 1998م/ ص58.

وبالمعاد أيقن بلا تردد **ولا أدعى علم بوقت الموعد**

لكننا نؤمن من غير أمترا **بكل ما قد صح عن خير الورى**

من ذكر آيات تكون قبلها **وهي علامات وأشراط لها**[١]

والمقصود (بالمعاد) هو المرد إلى الله ﷻ والإياب إليه (أيقن) استيقن بذلك يقيناً جازماً (بلا تردد) وهذا هو الركن الخامس من أركان الإيمان، والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور[٢]:

1 - الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية، فيقوم الناس لرب العالمين.

2 - الإيمان بالحساب والجزاء يحاسب العبد على عمله ويجازى عليه.

3 - الإيمان بالجنة والنار وأنهما المآل الأبدي للخلق.

أولاً: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة فيقوم الناس لرب العالمين حفاة غير متنعلين، عراة غير متسترين، غرلاً غير مختتنين، قال الله تعالى ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية 104].

والبعث يوم القيامة ثابت في الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، قال الله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون/ الآية 15-16]، وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: ((***إنكم محشورون إلى الله حُفاة عُراة غُرلًا***))[٣].

وأجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معاداً يجازيهم به على ما كلفهم به على ألسنةِ رسُلهِ، قال الله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة المؤمنون/ الآية 115]، وقال لنبيه ﷺ ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [سورة القصص/ الآية 85].

---

(١) سعد بن محمد القحطاني، مختصر معارج القبول/ ص197.

(٢) المرجع نفسه/ ص197.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا، حديث رقم (4371).

ثانياً: الإيمان بالحساب والجزاء: وهو أنه يحاسب العبد على عمله ويجازى عليه وقد دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، قال تعالى ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ [سورة الغاشية/ الآية 25-26]، وقوله ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية 47].

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال: إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه، ويستره فيقول أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رَبِّ حتى إذا قرَرَهُ بذنوبه ورأى في نفسه أنهُ قد هلك قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة هود/ الآية 18][1].

يقول ابن عثيمين: وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال وهو مقتضى الحكمة فإن الله تعالى انزل الكتب وأرسل الرسل وفرض على العباد قبول ما جاؤوا به والعمل بما يجب العمل به منه وأوجب قتال المعارضين له وأحل دماءهم وذرياتهم ونساءهم وأموالهم. فلو لم يكن حساب ولا جزاء لكان هذا من العبث الذي ينزه الرب الحكيم عنه ولقد أشار الله تعالى بقوله ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ * فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 6-7][2].

ثالثاً: الإيمان بالجنة والنار وأنهما المآل الأبدي للخلق: يقول ابن القيم **(فالله تعالى لا يعذب أحداً إلا بذنبه فالنار دار عدلهِ لا يدخُلها أحد إلا بعمل وأما الجنة فدار فضله يدخلها بغير عمل)**[3] فالجنة (دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم من الإيمان به، وقاموا بطاعة الله تعالى ورسوله مخلصين لله

---

(١) متفق عليه، واللفظ البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب قوله تعالى (ألا لعنة الله على الظالمين) حديث رقم (2261).

(٢) شرح أصول الإيمان/ ص42.

(٣) شرح قصيدة ابن القيم، ج12/ ص322.

متبعين لرسوله[1]. فيها من أنواع النعيم وفي الحديث كما يرويه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((***أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر***))[2] فاقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة السجدة/ الآية 17]، وقوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [سورة البينة/ الآية 7-8].

وأما النار فهي دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب والنكال ما لا يخطر على بال بشر، قال تعالى ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [سورة الكهف/ الآية 29]. وقوله تعالى ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 24]، وقال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾ [سورة الأحزاب/ الآية 64-66].

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما يكون بعد الموت[3] مثل:

أ - **فتنة القبر**: وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه ودينه ونبيه، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ، ويضل الله الظالمين فيقول الكافر هاه هاه لا أدري، ويقول المنافق أو المرتاب سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

---

(١) ابن عثيمين، شرح أصول الإيمان/ ص42-43.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدأ الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث رقم (3005).

(٣) ابن عثيمين، شرح أصول الإيمان/ ص44.

ب - **عذاب القبر ونعيمه فأما عذاب بالقبر:** فيكون للظالمين من المنافقين والكافرين، قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 93]، وقال في آل فرعون ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [سورة غافر/ الآية 46][(١)].

وفي صحيح مسلم في حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال ((***فلولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل بوجهه فقال تعوذوا بالله من عذاب النار قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قالوا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال***))[(٢)].

وأما نعيم القبر فللمؤمنين الصادقين، قال الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [سورة فصلت/ الآية 30]، وقال تعالى ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة الواقعة/ الآية 83-85].

وعن البراء بن عازب ﷺ أن النبي ﷺ قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره ((***ينادي منادٍ من السماء أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من***

---

(١) م. ن/ ص41.

(٢) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار، حديث رقم (5112).

الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال فيأتيه من روحِها وطِيبها ويفسح له في قبره مد بصره))[1].

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت زاعمين أن ذلك غير ممكن، وهذا الزعم باطل ومردود على من رأى أنه غير ممكن دلّ على بطلانه الشرع والحس والعقل:-

فأما من جهة الشرع: فقد قال سبحانه ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة التغابن/ الآية 7].

وأما من جهة الحس فنذكر ثلاثة أمثلة ذكرت في سورة البقرة:

المثال الأول:- قوم موسى حين قالوا له لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرةً، فأماتهم الله تعالى ثم أحياهم، وفي ذلك يقول تعالى مخاطباً بني إسرائيل ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 55-56].

المثال الثاني:- في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت وهم ألوف فأماتهم الله ثم أحياهم وفي ذلك يقول جل وعلا ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 243].

المثال الثالث:- في قصة إبراهيم الخليل حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى؟ فأمره الله تعالى أن يذبح أربعة من الطير، ويفرقهم أجزاءً على الجبال التي حوله ثم يناديهن فتلتئم الأجزاء بعضها إلى البعض، ويأتين إلى إبراهيم سعيا وفي ذلك يقول تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، حديث رقم (4127)؛ مسند احمد، كتاب أول مسند الكوفيين، باب حديث البراء بن عازب، حديث رقم (17803).

﴿قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة/ الآية 260].

فهذه أمثلة واقعة تدل على إمكان إحياء الموتى من دون سبق الإشارة إلى ما جعله الله تعالى من آيات عيسى بن مريم في إحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم بإذن الله تعالى.

وأما دلالة العقل فمن وجهين:

أحدهما: إن الله تعالى فاطر السماوات والأرض وما فيهما خلقهما ابتداء، والقادر على ابتداء الخلق لا يعجزه عن إعادته، قال الله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [سورة الروم/ الآية 27]، وقوله ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية 104]، وقوله ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يس/ الآية 79][(١)].

الثاني: إن الأرض تكون ميتة هامدة ليس فيها شجرة خضراء، فينزل عليها المطر فتهتز خضراء حية فيها من كل زوجٍ بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها قادر على إحياء الأموات، قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [سورة فصلت/ الآية 39]، وقوله ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ [سورة ق/ الآية 11].

وقد ضل قوم من أهل الزيف والباطل من المنكرين والملحدين الذين أنكروا عذاب القبر ونعيمه.

ففي صحيح البخاري من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما فقال ((***يعذبان وما يعذبان في كبير وإنه لكبيرٌ كان أحدهما لا يتنزه من البول وكان الآخر يمشي بالنميمة ثم دعا بجريدة فكسرها بكسرتين اثنين فجعل كسرة في قبر هذا وكسرة في قبر هذا فقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا***))[(٢)].

---

(١) ابن عثيمين، شرح أصول الإيمان/ ص49.

(٢) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب النميمة من الكبائر، حديث رقم (5595).

وأما الحس: فإن النائم يرى أنه في منامه أنه كان في مكان فسيح يتنعم فيه، وأنه كان في مكان ضيق موحش يتألم منه وربما يستيقظ أحياناً مما رأى، ومع ذلك فهو في فراشه في حجرته على ما هو عليه، والنوم آخر الموت، ولهذا سماه الله تعالى (وفاة)، قال تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [سورة الزمر/ الآية 42].

وأما النائم يرى الرؤيا الحق المطابقة للواقع، وربما رأى النبي ﷺ على صفته ومن رآه على صفته فقد رآه حقاً، مع إنه باقٍ في حجرته التي كان فيها، فإذا كان هذا ممكناً في أحوال الدنيا أفلا يكون ممكناً في أحوال الآخرة. وأما زعم الملحدين والمنكرين لعذاب القبر بأنه لو كُشِفَ عن الميت قبره لوُجِدَ كما كان عليه ولم يتغير بسعة ولا ضيق والجواب من عدة وجوه:-

الأول: إنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمل المعارض بها ما جاء به الشرع حق التأمل لعلم بطلان هذه الشبهات.

الثاني: إن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحس، والتي لو كانت تدرك بالحس لما بقي للإيمان بالغيب فائدة ولتساوى المؤمنون بالغيب والجاحدون في التصديق به.

الثالث: إن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه إنما يدركها الميت دون غيره، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيق موحش أو في مكان واسع بهيج وهو بالنسبة لغيره لم يتغير منامه هو في حجرته وبين فراشه وغطائه[١].

الرابع: إن إدراك الخلق المحدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه، ولا يمكن للخلق أن يدركوا كل موجود كما في قوله تعالى عن تسبيح الخلائق ونحن لا نسمع أو قد نسمع ولا نفهم ما تقول ولكن الله يخبر أنها تسبح، قال تعالى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة الإسراء/ الآية 44].

---

(١) ابن عثيمين، شرح أصول الإيمان/ ص50.

آثار الإيمان باليوم الآخر

1. إن من اعتقد: أن الله مراقب لأقواله وأفعاله، وأنها محسوبة عليه حركاته وتصرفاته، بل حتى أفكاره وإراداته وأنه معروض يوماً في ذلك كله على محاسب دقيق خبير شديد العقاب، فإنه لا ريب يتأنى في أقواله وأفعاله ويتروى في تصرفاته كيف لا يناله العقاب الشديد وينجو من العذاب الأليم.
2. من تيقن بمراقبة والده أو صاحب المكانة بقومه في أقواله وأفعاله ونواياه تحسب عليه حركاته وتصرفاته فإنه يجد في أن يزن أقواله وأفعاله خشية أن يغضب عليه أبوه أو صاحب المروءة أو غيرهم فكيف بالله العزيز الجليل الذي هو مالك الثواب والعقاب حقاً الذي ناصيتك بيده إن شاء عاقبك وإن شاء غفر لك وعفا عنك.
3. من تيقن أن الله مالك كل شيء ومليكه الغني الذي يعطي الكثير على القليل والجليل على اليسير تراه حينذاك أنه يحسن القول والعمل حيث يراه سبحانه فقير إليه محتاج إليه منكسر بضراعته وتوجهه ولجوئه إلى باريه ويُنقي النية والقلب حيث يخشى الخلاف ويخاف العقاب(١).
4. من تيقن أن ذلك اليوم لا ريب فيه فإنه يخشى أن يكتب عليه إلا ما يسره لذلك تراه يعمل لذلك اليوم.
5. حقاً من تيقن مجيء يوم عرض الأعمال على الله تعالى وقيام الحساب وتحقيق الثواب والعقاب أنه يحيى حياة كريمة في ظل طاعة الله والأنس بذكره والإقبال عليه والفرار من المعاصي والعذاب راجياً ثواب الله والنجاة من عذابه(٢).
6. يخيفه الذنب اليسير ويشفق من الخطأ والخطيئة يحاسب نفسه على كل كلمة ويقف مع قلبه على كل خطرة تعرض على قلبه.
7. يذكر ظلام الليل وجلسة الوحدة بظلام القبر ووحدته إذ لا نور ولا جليس إلا الإيمان والعمل الصالح.

---

(١) وهبي سليمان الألباني، أركان الإيمان/ ص300.
(٢) المصدر نفسه/ ص301.

8. يخاف إن خف ميزانه يوم القيامة وأصبح من النادمين ومن كان هذا همه على كل حال كان على أحسن حال.
9. تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من ثواب الآخرة[١].

لذا كانت آيات التذكير باليوم الآخر تعمل عملها في قلوب الذين تنوروا بالهدى فتخاف الله تعالى وتخشاه كثيراً وتُقبِل عليه وتطلب رضاه سبحانه لذلك جاءت كثيراً من آيات الأوامر والنواهي تذكر باليوم الآخر، قال تعالى ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [سورة البقرة/ الآية 177]، وقال عن الذين يسارعون في الكفر ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 176]، ويقول عن صفات الأمة المؤمنة ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 114]، ويربطها بالطاعة عند المنازعة فيقول ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة النساء/ الآية 59].

الإيمان بالقدر خيره وشره

الإيمان بالقدر الركن السادس من أركان الإيمان :

والقدر في اللغة: قدر مثل قدير وقادر وهي صفات الله ﷻ ومنه قوله ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الحشر/ الآية 6]، فالقادر اسم فاعل من قدر يقدر، والقدير فعيل منه، وهو للمبالغة والمقتدر مفتعل من اقتدر وهو أبلغ التهذيب وقيل القدر قضاء الموفق، قدر الإله كذا تقديراً، وإذا وافق الشيءُ الشيءَ، وقيل القدْرُ والقَدَرُ: القضاء والحكم وهو ما يقدر الله ﷻ من القضاء ويحكم به من الأمور[٢].

والقضاء لغةً: مرجعه إلى انقطاع الشيء وتمامه وكل ما ختم أو أدي أو أوجب أو أكمل وأتم فقد قضّي، ومنه القضاء المقرون بالقدر، والمراد بالقضاء بمعنى العمل

---

(١) ابن عثيمين، شرح أصول الإيمان/ ص46.
(٢) ابن منظور، لسان العرب ج5/ ص74.

وقيل القضاء: الحتم والأمر، وقضى أي حكم ومنه ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ أي أمر ربك وحتم وهو أمر قاطع حتم(١).

القضاء والقدر اصطلاحاً:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف القضاء والقدر، فمنهم من جعلهما شيئاً واحداً، ومنهم من عرف القضاء تعريفاً مغايراً للقدر فقال:

---

(١) المصدر نفسه، ج5: ص74.

القدر: **علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل**(١).

والقضاء: **إيجاد: إيجاد الله تعالى الأشياء بحسب علمه وإرادته**(٢).

وقد عكس بعضهم فجعل تعريف القضاء السابق للقدر، والأمر محتمل(٣).

ومن عرفهما تعريفاً واحداً قال: **(هو النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود والقوانين العامة، والسنن ربط بها الأسباب بمسبباتها)**(٤).

وهذا المعنى: هو ما وردت به آيات القرآن التي ذكرت القدر مثل قوله تعالى ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [سورة الرعد/ الآية 8]، وقوله تعالى ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [سورة الحجر/ الآية 21]، وقوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر/ الآية 49].

وما أجمل جواب الإمام احمد حينما سئل عن القدر فقال: القدر قدرة الرحمن يقول ابن القيم في قصيدته الكافية الشافية(٥):

وحقيقة القدر الذي حار الورى في شأنه هو قدرة الرحمن

واستحسن ابن عقيل ذا من احمد **لما حكاه عن الرضا الرباني**

ويتضح لنا مما سبق ذكره أن تعريف احمد بن حنبل (رحمه الله) قد كفى وشفى وأتم وأكمل لهذا المعنى، فالقدر يعني هو ما قدره الله سبحانه في قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 154]، وفي قوله ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ [سورة هود/ الآية 123]، وفي قوله سبحانه ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة يس/ الآية 83]، وقوله ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [سورة يونس/ الآية 3]، وغير ذلك من الآيات التي تدل على أنه لا يحدث شيء في الكون إلا بإرادة الله تعالى ومشيئته.

---

(١) حسن محمد أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية، مكتبة الثقافة العربية سنة 1391هـ - 1971م/ ص77.

(٢) محمد نعيم ياسين، الإيمان (أركانه، حقيقته، نواقضه)/ ص113.

(٣) محمد سعيد رمضان، كبرى اليقينيات الكونية، دار الفكر، الطبعة الأولى، سنة 1389هـ - 1969م/ ص147.

(٤) السيد سابق، العقائد الإسلامية، ص95.

(٥) ابن قيم الجوزية، شرح قصيدة بن القيم ج1 ص254.

وعقيدة القدر مبنية في حقيقتها على الإيمان بصفات الله العليا، وأسمائه الحسنى، ومنها العلم والقدرة والإرادة، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة/ الآية 29]، وقال ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة الحديد/ الآية 2]، وقوله ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [سورة البروج/ الآية 16].

يقول الطحاوي: **(وكل شيء يجري بتقديره و مشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة العباد إلا ما شاء الله فما شاء لهم كان، وما لم يشأ لم يكن، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره)**[١].

معنى الإيمان بالقدر

يجب على كل مسلم أن يؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومره.

ويقصد بالإيمان بالقدر: الإيمان بعلم الله القديم، والإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة. وفي ذلك يقول ابن تيمية (الإيمان بالقدر على درجتين، وكل درجة تتضمن شيئين[٢]: الدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون، بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال.ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((***إن أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب فجرى بما هو كائن إلى الأبد***))[٣] كما قال تعالى ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [سورة الحج/ الآية 70].

وأما الدرجة الثانية: فهو الإيمان بمشيئة الله تعالى النافذة، وقدرته الكاملة. وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. وأنه ما في السماوات وما في الأرض

---

(١) ينظر شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق جماعة من العلماء/ ص153.

(٢) ابن تيمية: مجموع الفتاوى ج3/ ص148؛ وابن تيمية العقيدة الواسطية/ ص35.

(٣) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة ن والقلم، حديث رقم (3241).

من حركة ولا سكون إلا بمشية الله سبحانه، لا يكون في ملكه ما لا يريد، وأنه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا

الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه. ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد. والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم، والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر، والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة، والله خالق قدرتهم وإرادتهم(١).

فيتبين لنا مما سبق ذكره من كلام ابن تيمية (رحمه الله) أن الإيمان بالقدر يشتمل على أربعة مراتب:

1 - الإيمان بعلم الله القديم وأنه علم أعمال العباد قبل أن يعملوها.
2 - كتابة ذلك في اللوح المحفوظ.
3 - مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة.
4 - إيجاد الله لكل المخلوقات، وأنه الخالق وكل ما سواه مخلوق(٢).

وهذا وإن تقسيم القدر الذي يجب الإيمان به إلى خير وشر إنما هو بإضافته إلى الناس والمخلوقات. أما بالنسبة لله ﷻ، فالقدر خير كله، والشر لا ينسب إلى الله(٣). فعلم الله ومشيئته وكتابته وخلقه للأشياء والحوادث، وهذا كله حكمة وعدل ورحمة وخير، فإن الشر لا يدخل في شيء من صفات الله تعالى ولا أفعاله ولا يلحق ذاته تعالى نقص ولا شر، فله الكمال المطلق والجلال التام(٤). لذلك لا يجوز إضافة الشر إلى الله تعالى

---

(١) انظر زيد بن عبد العزيز بن فياض، الروضة الندية/ ص 252-253؛ وابن تيمية مجموع الفتاوى ج3/ ص149.
(٢) محمد نعيم ياسين، الإيمان (أركانه، حقيقته، نواقضه)/ ص116.
(٣) المصدر نفسه/ ص116.
(٤) ابن تيمية، الحسنة والسيئة، ص190.

مفرداً، وإنما يجوز أن يدخل الشر في العموم[1] كقوله تعالى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [سورة الزمر/ الآية 62]، ويجوز أن يضاف إلى السبب كقوله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [سورة الفلق/ الآية 1-2].

---

(١) محمد نعيم ياسين، الإيمان (أركانه، حقيقته، نواقضه)/ ص116.

احتجاج الكفار بالقدر:

احتج المشركون بالقدر على شركهم وكفرهم وقالوا إن هذا بقدر الله ومشيئته وإرادته، وإنه تعالى لو لم يشأ لم يقعوا فيه فأبطل الله حجتهم ودحضها بقوله ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 148-149]، وجوابه سبحانه للمحتجين بالقدر واضح كل الوضوح لقيامه على أمرين بديهيين مُسلّمَين لا يمادي فيهما إلا من استحب العمى على الهدى فاستحق الهلاك وهما:

الأول:- إن الله ﷻ أذاق الكافرين بأسه، وأنزل بهم عقابه، فلو لم يكونوا مختارين لما ارتكبوه من الجرائم والإثم والكفر والشرك، لما عذبهم الله، لأنه عادل لا يظلم أحداً.

والذي يحتج بقدر الله على الكفر والمعصية لا يعدو أحد اثنين: فأما أن يكون مؤمناً بوجود الله وإما أن يكون منكراً، فإن كان الأول لزمه الاعتقاد بعدل الله وتنزيهه عن الظلم، لأن الظلم نقص لا يليق بالخالق والله تعالى لا يعتريه نقص بحال من الأحوال، وأما الاحتجاج بقدر الله على معصيته مع ظهور عقابه سبحانه للعصاة فيه نسبة الظلم وهو أمر يتنافى مع الإيمان بالله ﷻ، وإنْ كان المحتج بالقدر منكراً لله فان احتجاجه بالقدر تناقض مع الإيمان لا يستحق الجواب(١).

الثاني:- إن المحتج بالقدر على كفره ومعصيته متقول على الله بغير علم، إذ كيف يصح للكافر أو العاصي أن يحتج بأن الله كتب عليه الكفر أو المعصية قبل صدور ذلك منه، وقدر الله وقوعه غيب لا يعلمه إلا الله ﷻ، مع أنه مخاطب قبل إقدامه على عصيان ربه بطاعته والتزام أمره، بعبارة أدق كمثل سارق يسرق ويقول أنا ذهبت لتنفيذ قدر الله، أطلع على اللوح المحفوظ والإجابة على المتذرعين بهذا القول بخييبهم بقوله تعالى ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 28].

---

(١) محمد نعيم ياسين، الإيمان (أركانه، حقيقته، نواقضه)/ ص119.

آثار الإيمان بالقدر في المسلم:

أ – لقد بني هذا الدين على التسليم لحكمة الله تعالى وإرادته، وعدم الأسئلة عن تفاصيل الحكمة الربانية في الأوامر والنواهي. فإن قدم الإسلام لا تثبت إلا على درجة التسليم فأول مراتب تعظيم الأمر التصديق به ثم العزم الجازم على امتثاله، ثم المسارعة إليه والمبادرة به[١].

ب –ولأهمية هذا الإيمان أو هذه العقيدة جاء الكثير من الأحاديث التي تؤكده، فعن عبادة بن الصامت ﷺ قال لابنه عند الموت: (إنك لن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ((***إن أول ما خلق الله القلم، قال له أكتب، فقال يا رب وما أكتب؟ قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة***)) يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول ((***من مات على غير هذا فليس مني***))[٢]، وكما في حديث ابن عباس عن النبي ﷺ يقول: ((***... واعلم إن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك بشيء إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف***))[٣]، فأية سعادة لهذه القلوب والنفوس التي تعلم أن الأمر كله بيده الله وأن قوى الأرض كلها لا تقف أمام هذا الطود العظيم الذي هو الإيمان بالقدر والصبر على ما قدره الله عليه ولذلك يقول النبي ﷺ ((***عجباً للمؤمن أن أمره كله خير وليس لأحد إلا للمؤمن، إنْ أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له ..***))[٤].

ج– إن الإنسان الذي ينعم بعقيدة القدر، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن الأمة لو اجتمعت لن تضره بشيء وإن اجتمعت لن تنفعه بشيء إلا بأمر الله تعالى وقدره، وأن النفس لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها، والإنسان المؤمن هو وحده الذي يتحرر من العبودية للعباد للدخول في عبودية رب العباد.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية بتحقيق جماعة من العلماء/ ص291.

(٢) رواه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في القدر، حديث رقم (4078).

(٣) رواه الترمذي، سنن الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله، حديث رقم (2440).

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كل خير، حديث رقم (5318).

د- إن هذه العقيدة لتنتزع كل مظهر للجبن من القلب الذي تعمره، فتدفع بصاحبها إلى جهاد الكفار والطغاة من دون أن يحسب لوسائلهم وأساليبهم أي حساب، لماذا ينشغل بالحساب لهم، وقد ضمن له خالقه وخالقهم أن يستوفي رزقه وأجله؟ ولماذا يجبن وهو يعلم أن المقدور به نازل لا محالة، وغير المقدور لن يحيط به أبداً[١].

هـ- إن النفس المؤمنة بقدر الله سبحانه لتنعم بنعمة أخرى لا تعد لها نعم الدنيا كلها، إنها لنعمة الرضا في كل حال لأن المؤمن يرى أن المقادير تجري بأمر الله ومشيئته وتدبيره، قال تعالى ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة/ الآية 216]، فالمؤمن من ينظر للمصيبة فيعلم أنها بقدر الله فيطمئن ويرضى لأنه يسمع حديث النبي في الصحيحين بقوله ﷺ ((***أي الناس أشد بلاءً؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة أبتلي على قدر ذلك، وإنْ كان فيه رقة هون عليه، فما يزال البلاء بالرجل حتى يدعه يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة***))[٢].

و- إعلم إن الرضا والصبر الذي يثمرهما الإيمان بالقدر إنما هما الرضا بالمقدور من المصائب والنوائب والصبر على طاعة الله، والصبر على معصيته وعلى أنواع المكاره[٣].

ز- ففي هذه العقيدة هدوء القلب وراحة البدن والنفس والأعصاب، ومفارقة الهم والحزن وانشراح الصدر والاطمئنان إلى رحمة الله وعدله وعلمه وحكمته فهو الملاذ، والمعاذ من الوسواس والهواجس.

---

(١) محمد نعيم ياسين، الإيمان (أركانه، حقيقته، نواقضه)/ ص125.

(٢) رواه الدارمي، سنن الدارمي، كتاب الرقائق، باب في أشد الناس بلاء، حديث رقم (2664).

(٣) انظر شرح النووي على صحيح مسلم ج3/ ص101.

المبحث الثاني
العبودية في مظاهر الإسلام وأثرها في سلوك المسلم

تمهيد:

إن الفرق بين العبودية والإسلام هو أن الإسلام متمثل بالأعمال الظاهرة وهي التلفظ بالشهادتين والصلاة ...الخ، وأما العبودية فهي أن تكون كل هذه الأعمال الظاهرة والأعمال القلبية المقصودة منها الباطنة يجب أن تصرف جميعها لله تعالى، والعبودية لله هي أن تعبد الله بقلبك ولسانك وجوارحك.

قبل الحديث عن مظاهر الإسلام وأثرها في سلوكه كأن تكون أخلاقه وأفعاله أو تصرفاته وتعامله مع الناس لابد من بيان ماهية الإسلام وتفسيره ووجوب الدخول فيه لأنه خاتم الديانات والرسالات التي أنزلها الله تعالى على عباده.

فالإسلام كما عرفه ابن منظور **هو استسلام العبد لله ظاهراً وباطناً، بفعل أوامره واجتناب نواهيه**(١) فيشمل الدين كله، قال الله تعالى ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [سورة المائدة/ الآية 3]، وقال ﷻ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 19].

فان الإسلام يفسر الاستسلام الظاهر الذي هو قول اللسان، وعمل الجوارح ويصدر من المؤمن كامل الإيمان وضعيف الإيمان، كما قال تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [سورة الحجرات/ الآية 14].

وجوب الدخول في الإسلام

أن ديننا الحنيف الذي جاء به رسول الله ﷺ من الواجب علينا الدخول فيه والسير على وفق منهجه وسبيله وترك كل ما سواه، قال تعالى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 85].

---

(١) لسان العرب، ج12/ ص293-294.

وقوله تعالى أيضاً ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 153/53]، والصراط هنا: هو الطريق الذي هو دين الإسلام (مستقيماً قوياً لا اعوجاج فيه فأمر باتباع طريقه الذي طرقه على لسان نبيه محمد ﷺ وقال مجاهد والسبل: البدع والشهوات، وهذا الطريق نهايته الجنة)(١)، وفي الصحيح عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، أن رسول الله ﷺ: قال: ***((ابغض الناس إلى الله ثلاثة، ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومن طلب دم امريءٍ بغير حق ليريق دمه))***(٢).

وفي الصحيح عن حذيفة رضي الله عنه قال: **(يا معشر القراء استقيموا، فان استقمتم فقد سبقتم سبقاً بعيداً، فان أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضللتم ضلالاً بعيداً)**(٣).

وما جاء في حرمة الخروج عن دعوى الإسلام ومفارقة المسلمين، قوله تعالى ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة الحج/ الآية 78].

وكما جاء في الحديث عن الحارث الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال: ***((أمركم بخمسٍ الله أمرني بهن: السمع، والطاعة، والجهاد، والهجرة، والجماعة، فانه من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلا أن يرجع، ومن ادعى دعوى الجاهلية فانه من جثا جهنم، فقال رجل: يا رسول الله وإنْ صلى وصام؟ قال: وإنّ صلى وصام فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين والمؤمنين عباد الله))***(٤).
تفسير الإسلام

---

(١) القرطبي، تفسير القرطبي، ج7/ ص137.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الديات، باب من طلب دم امريء بغير حق، حديث رقم (6374).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الاعتصام في الكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله، حديث رقم (6739).

(٤) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الأمثال عن رسول الله، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، حديث رقم (2790).

ويمكن لنا تفسير الإسلام بقوله تعالى ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 20]، وكما جاء في الحديث الصحيح عن عمر بن الخطاب ﷺ إن

رسول الله ﷺ قال: ((*الإسلام أن تشهد أن لا اله إلا الله، وان محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت ان استطعت إليه سبيلاً*))[١].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((*المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده*))[٢]، وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سأل رسول الله ﷺ عن الإسلام؟ فقال: ((*أن تسلم وجهك لله وأن تشهد أن لا اله إلا الله*))[٣]، وعن أبي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه أنه سأل رسول الله ﷺ ما الإسلام فقال؟ قال: **(وإنْ يسلم قلبك لله ﷻ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك).**

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: *((تجيء الأعمال يوم القيامة، فتجيء الصلاة فتقول: يا رب أنا الصلاة، فيقول انك على خير، ثم تجيء الصدقة، فتقول: يا رب أنا الصدقة، فيقول انك على خير، ثم يجيء الصيام، فيقول: يا رب أنا الصيام، فيقول إنك على خير، ثم تجيء الأعمال على ذلك، فيقول الله ﷻ إنك على خير، ثم يجيء الإسلام، فيقول: يا رب أنت السلام وأنا الإسلام، فيقول ﷻ إنك على خير بك اليوم آخذ وبك أعطي فقال الله ﷻ* ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٤]، وفي حديث عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ قال: ((*من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد*))[٥].

مظاهر العبودية في الإسلام وأثرها في سلوك المسلم

---

(١) أخرجه النسائي، سنن النسائي، كتاب الإيمان وشرائعه، باب نعت الإسلام، حديث رقم (4904).

(٢) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، حديث رقم (9).

(٣) أخرجه احمد في مسنده، كتب مسند الشاميين، باب حديث عمر بن عبسة، حديث رقم (16413).

(٤) أخرجه احمد في مسنده، كتب باقي مسند المكثرين، حديث رقم (8387).

(٥) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم (3243).

ونقصد بمظاهر العبودية في الإسلام هي أركان الإسلام الخمسة وهي كما يلي:

1. الشهادتان.
2. إقامة الصلاة.
3. إيتاء الزكاة.
4. صوم رمضان.
5. حج البيت من استطاع إليه سبيلاً.

وهذه الأركان جاءت بهذا الترتيب لحديث عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) عن أبيه أن النبي ﷺ قال: ((***الإسلام أن تشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً***)) (١).

المطلب الأول : الركن الأول: **الشهادتان**

بما ان شهادة ان محمداً رسول الله ﷺ تدخل في شهادة أن لا اله إلا الله حقيقة ومفهوماً، فكل ما ذكرنا سابقاً عن معنى الشهادة في المبحث الأول من الفص الثاني، الذي هو توحيد الله وما يتعلق بمعنى الشهادة وتفاصيلها يشمل الجملتين ولو لم يذكر إلا الجملة الأولى (**شهادة أن لا اله إلا الله**) غير أن الشهادة بان محمداً رسول الله قرنت بالشهادة الأولى لحكم عظيمة ومعانٍ جليلة سنذكرها لاحقاً.

بعث الله مجموعة كريمة من الرسل ابتداءً بآدم عليه السلام وختمت بمحمد (عليه الصلاة والسلام)، بعض هؤلاء الرسل والأنبياء جاء مصحوباً بكتاب من دون البعض ولكن قَلَّ أن تخلو من رسول أو نبي، يقول تعالى ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [سورة فاطر/ الآية 24]، والقرآن اكتفى بذكر خمسة وعشرين منهم مع التذكير بأن عددهم أكبر من ذلك بكثير ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة غافر/ الآية 78].

---

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، رقم الحديث 9.

والأنبياء هم السفراء الكرام بين الله تعالى والبشر، وهم صفوة الخلق، وقد قدموا خدمات للبشرية على جميع المستويات دفعت بهم نحو الخير والفضيلة ولو التزمت البشرية بما جاء به رسل الله لعاشت بخير وعافية ولابتعدت عن التعصب والعنصرية واضطهاد الآخرين[١]، ولكن كانت من أكبر الفضائل التي جاءت بها الرسل هي أن دعت إلى توحيد الله ونبذ الشرك ومحاربة دعوته، ولكن كانت خاتمة الديانات الإسلام الذي جاء به نبينا (عليه الصلاة والسلام) فضلاً عن دعوته لهذا الدين الذي هو عبوديته

وطاعته وإخلاص العبودية له وحده، ونبينا محمد (عليه الصلاة والسلام) دعا الناس إلى عبادة الله وبشر بالجنة من آمن وحذر بالنار من كفر، فآمن من آمن وهم قليل في مكة، ثم بسبب الأذى له ولأصحابه أمره الله بالهجرة إلى المدينة فهاجر إليها ومن آمن معه ممن استطاع الهجرة فصارت المدينة دار الهجرة والعاصمة الأولى للمسلمين وانتشر فيها دين الله[٢].

وبما أن رسول الله محمد ﷺ وهو خاتم الأنبياء والمرسلين كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة كما في قوله تعالى ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [سورة الأحزاب/ الآية 40]، وكما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ***((إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضوع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللَّبِنَة قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين))***[٣].

يشير ابن حجر في معنى هذا الحديث:

---

(١) نعمان السامرائي، الإسلام/ ص41.

(٢) عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت 1999)، أركان الإسلام إعداد ومراجعة د. محمد لقمان السلفي، دار الراعي للنشر الطبعة الأولى 1420هـ/ ص46.

(٣) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين، حديث رقم (3271).

ضرب الأمثال للتقريب للإفهام وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين، وأن الله ختم به المرسلين، وأكمل به شرائع الدين[1]. فأمة العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ، سلكوا مسلك من قبلهم بالعناد والكفر والضلال والتكذيب إلى أن بعث الله لهم الأنبياء والمرسلين وأوجب عليهم الإيمان بهم فلا بد من الإيمان بجميع النبيين وآخرهم محمد (عليه الصلاة والسلام)، فلابد مع شهادة أن لا اله إلا الله من الإيمان بأن محمداً رسول الله وتحقيق هذه الشهادة (فبالإيمان به ﷺ وأنه عبد الله ورسوله أرسله الله إلى الناس كافة إلى الجن والإنس: يدعوهم إلى توحيد الله والإيمان به واتباع ما جاء به رسول الله (عليه الصلاة والسلام) مع الإيمان بجميع الماضين من الرسل والأنبياء، ثم بعد ذلك الإيمان بشرائع الله التي شرعها لعباده على يد رسوله ﷺ والأخذ بها والاستمساك بها)[2].

---

(١) فتح الباري، ج6/ ص559.

(٢) ابن باز، أركان الإسلام/ ص50.

فشهادة أن محمداً رسول الله هو الحق الذي أوجبه علينا وما أمر به من عند ربه بما أمره به وبما شرعه والرضا بذلك، قال تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ * وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة القصص/ الآية 67-68]، وقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [سورة الأحزاب/ الآية 36]، يشير ابن كثير في معنى هذه الآية قصة زيد بن حارثة حينما انطلق الرسول ﷺ ليخطب على فتاة فدخل على زينب بنت جحش الأسدية (رضي الله عنها) وقال لها فخطبها فقالت لست بناكحته فقال ﷺ بل فأنكحيه قال يا رسول الله أو أمر في نفسي فبينما هم يتحدثان انزل الله هذه الآية فقال قد رضيت يا رسول الله منكحاً قال ﷺ نعم قالت إذاً لا أعصي رسول الله ﷺ أبداً قد أنكحته نفسي)(١).

ويتبين لنا مما سبق شدة اتباع الصحابيات الجليلات لطاعة النبي ﷺ واتباعهن له حتى في أمور النكاح فضلاً عن الصحابة الذين سجلوا أروع بطولات الشجاعة والجهاد في سبيل الله والدفاع عن دينه وباعوا دماءهم رخيصة أمام هذه الطاعة وتحقيق شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ تكون بتعظيمنا له وطاعتنا له ونهجنا الطريق الذي سلكه ودعا إليه.

مع المصطفى ﷺ

فحق على من عرف قدر الله وأراد تعظيمه أن يعظم ما عظمه الله تعالى قياماً بحقه من التوحيد والعبادة، وقياماً بحق كتابه وبحق رسوله ﷺ، ولا يخفى على كل مسلم صادق في إسلامه تلك المنزلة التي حباها الله تعالى لخير خلقه وصفوتِهِ منهم وخاتم أنبيائه ورسله حبيبنا محمد ﷺ، فنشير إلى جانب من جوانب تعظيمه وتعظيم السلف الصالح من الصحابة والتابعين إلى يوم الدين الذي تنشرح صدور المؤمنين الصادقين وتتطلع إليه نفوسهم، ويتمنون أن لو اكتحلت أعينهم برؤيته ﷺ وتشنفت

(١) تفسير القرآن العظيم، ج3/ ص551.

آذانهم لسماع صوته، وسنسرد هنا بعض النماذج المتعلقة بتحقيق شهادة أن محمداً رسول الله[١]:

أولاً: تعظيمه ﷺ:

المراد بالتعظيم، قال الله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [سورة الفتح/ الآية 8-9].

فذكر تعالى حقاً مشتركاً بينه وبين رسول الله ﷺ وهو الإيمان، وحقاً خاصاً به تعالى وهو التسبيح، وحقاً خاصاً بنبيه ﷺ وهو التعزير والتوقير.

وحاصل ما قيل في معناه أن (التعزير اسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه، والتوقير: اسم جامع لكل ما فيه سكينة وطمأنينة من الإجلال والإكرام وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرجه عن حد الوقار[٢].

وهذه المعاني هي المراد بلفظ التعظيم عند إطلاقه فمعناه في اللغة: التبجيل يقال: لفلان عظمة عند الناس: أي حرمة يعظم لها[٣]، ولفظ التعظيم وإنْ لم يرد في النصوص الشرعية، إلا أنه استعمل لتقريب المعنى إلى ذهن السامع بلفظ يؤدي المعنى المراد من (التعزير والتوقير)[٤].

---

(١) محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3/ ص146؛ وعبد الكريم زيدان، أصول الدعوة/ ص79

(٢) أبو العباس احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت 728هـ)، الصارم المسلول على شاتم الرسول، دار ابن حزم ط1، سنة 1417هـ/ ص422.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج4/ ص3005.

(٤) انظر، محمد التميمي، حقوق النبي ﷺ ، ج2/ ص422.

والتعظيم على منزلة من المحبة، لأن المحبوب لا يلزم أن يكون معظماً كالولد يحبه والده محبة تدعوه إلى تكريمه دون تعظيمه بخلاف محبة الولد لأبيه فإنها تدعو إلى تعظيمه. والرجل يعظم لما يتمتع به، من الصفات العلية، ولما يحصل من الخير بسببه أما المحبة فلا تحصل إلا بوصول خير من المحبوب إلى من يحبه(١).

ثانياً: مع المصطفى ﷺ سيرةً وخلقاً:

لقد حبا الله تعالى ووهب لنبينا محمد ﷺ من الخصائص العظيمة والصفات العلية والأخلاق السامية الرضية ما كان داعياً لكل مسلم يؤمن بالله أن يجله ويعظمه بقلبه ولسانه وجوارحه.

وقد أغاث به الله تعالى البشرية المتخبطة في ظلمات الشرك والغواية والجهل فكشف به الظلمة وأذهب الغمة وأصلح الأمة، وصار هو خير النبيين في الهدى لأول بني آدم وأخرهم(٢)، فهدى الله به من الضلالة وعلم به من الجهالة، وأرشد به من الغاوية، وفتح به أعيناً عميقاً وأذاناً صماً، وقلوباً غلفاً وكثر به بعد القلة، وأعز به بعد الذلة وأغنى به بعد العيلة(٣).

كيف لا يكون كذلك وقد عرفهم ربهم ومعبودهم ولم يدعُ لأمته حاجة في هذا التعريف، لا إلى من قبله ولا إلى من بعدهم بل كفاهم وشفاهم وأغناهم عن كل من تكلم في هذا الباب، قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة العنكبوت/ الآية 51]، وعرفهم الطريق الموصلة إلى ربهم ورضوانه ودار كرامته، ولم يدع ﷺ حسناً إلى أمر به ولا قبيحاً إلا نهى عنه. وأريد هنا أن استقصي جزءاً يسيراً من حقه ﷺ عن سيرته بقول ابن القيم فيقول: (ومما يحمد عليه ﷺ ما جبله الله عليه من مكارم الأخلاق وكرائم الشيم، فإن من نظر في أخلاقه وشيمه ﷺ علم أنها خير أخلاق الخلق وأكرم شمائل الخلق فإنه ﷺ كان أعظم الخلق، وأعظمهم أمانة، وأصدقهم حديثاً، وأجودهم وأسخاهم وأشدهم احتمالاً، وأعظمهم

---

(١) البيهقي، شعب الإيمان، ج2/ ص193.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ج10/ ص27.

(٣) أبو عبد الله محمد أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم الجوزية (ت 751هـ)، جلاء الإفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، دار العروبة، ط 2، الكويت، سنة 1407هـ - 1987م/ ص227.

عفواً ومغفرة وكان لا يزيد شدة الجهل عليه إلا حلماً كما روي عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أنه قال في صفة رسول الله ﷺ في التوراة: (**أنت عبدي ورسولي سميته المتوكل، ليس بفظٍ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله إلا الله ويفتح به أعيناً عمياً وأذاناً صماً وقلوباً غلفاً**)(١)، وأرحم الخلق وأرأفهم به وأعظم الخلق نفعاً في دينهم ودنياهم، وافصح خلق الله وأحسنهم تعبداً عن المعاني الكثيرة بالألفاظ الوجيزة الدالة على المراد، وأصبرهم في مواطن الصبر، واصدقهم في مواطن اللقاء، وأوفاهم بالعهد والذمة، وأعظمهم مكافأة على الجميل باضعافه، واشدهم تواضعاً، وأعظمهم إيثاراً على نفسه، واشد الخلق ذباً عن أصحابه وحماية لهم، ودفاعاً عنهم وأقوم الخلق بما يأمر به واتركهم لما نهى عنه، وأوصل الخلق لرحمه (٢)، وبدءاً سردنا سيرته لنبين كيفية اتباعه والسير على نهجه وتصديقه واتباعه كما سيأتي.

ثالثاً: تصديقه ﷺ والإيمان به واتباع سنته وطاعته:

ومن الدلائل عليه من القرآن في تبيين هذا الأمر والذي هو معنى شهادة أن محمداً رسول الله، قال تعالى ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [سورة التغابن/ الآية 8]، وقال ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ [سورة الفتح/ الآية 13].

وقد أمر عباده بطاعة نبيه فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [سورة الأنفال/ الآية 20]، وقد أمر الله عباده المؤمنين باتباع نبيه والاقتداء بسنته فقال ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 31]، وقال أيضاً ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 158]، ورغب في قبول حكمه، والتسليم لقضائه والرضا بأمره ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

---

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق، حديث رقم (1981).

(٢) ابن القيم، جلاء الإفهام/ ص182-183.

﴿يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء/ الآية 65]، وقد جعل الله عبده محمداً قدوة للمؤمنين وأسوة للمتآسين فقال عنه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب/ الآية 21]، وحذر من محالفته والخروج عن أمره فقال تعالى ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور/ الآية 63]، وقوله ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء/ الآية 115]، وهذه هو المطلوب في بحثنا هذا.

رابعاً: محبته ﷺ أكثر من المال والوالد والولد والناس أجمعين كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ عن انس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: ((***لا يؤمن أحدكم حتى أكون احب إليه من والده وولده والناس أجمعين***))(١)، وكما في حديث عمر للنبي ﷺ قال: (لأنت احب إلي من كل شيء إلا نفسي فقال النبي ﷺ: ((***لا والذي نفسي بيده حتى أكون احب إليك من نفسك***، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب اليّ من نفسي، فقال له النبي ﷺ: ***الآن يا عمر***))(٢)، وكما في حديث انس بن مالك ﷺ أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة فقال متى الساعة قال ***ماذا أعددت لها*** قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله فقال ***أنت مع من أحببت،*** قال أنس فما فرحنا بشيءٍ فرحنا بقول النبي ﷺ أنت مع من أحببت)(٣).

خامساً: الصلاة والسلام عليه:

---

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حب الرسول من الإيمان، حديث رقم (14).
(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي، حديث رقم (6142).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي)، حديث رقم (3412).

من الواجب علينا تجاه نبينا ﷺ أن نصلي عليه لقوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [سورة الأحزاب/ الآية 56]، ووجوب الصلاة على النبي ﷺ في مواضع وأعمال منها:

1. إذا ورد ذكر النبي ﷺ لقوله ﷺ: ((***البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليّ***))[١].
2. الصلاة عليه في المجالس لقوله ﷺ عن أبي هريرة قوله: ((***ما جلس قول مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة، فإنْ شاء عذبهم وإنْ شاء غفر لهم***))[٢].
3. الصلاة عليه حين سماع المؤذن لقوله ﷺ: ((***إذا سمعتم مؤذناً فقولوا مثلما يقول ثم صلوا عليّ فانه من صلى علي! صلاة صلى الله بها عليه عشراً ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة***))[٣]، إلى غير ذلك من الصلوات[٤].

المطلب الثاني: الركن الثاني: الصلاة.

الصلاة: لغة: الدعاء قال تعالى ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة/ الآية 103]، أي ادع لهم، وقال النبي

---

(١) رواه احمد، كتاب مسند أهل البيت، باب حديث الحسين بن علي، حديث رقم (1645)؛ والترمذي، حديث رقم (3469).

(٢) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب ما جاء في القوم يجلسون ولا يذكرون الله، حديث رقم (3302).

(٣) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن، لمن سمعه ثم يصلي عليه، حديث رقم (577).

(٤) سليمان العايد، (حق الرسول ﷺ على أمته)، مجلة البيان، العدد 15، ربيع الآخرة 1409هـ /1988/ صادرة عن المنتدى الإسلامي/ ص22.

ﷺ: ((*إذا دعا أحدكم فليجب فإن كان صائماً فليصلّ*))[١]. أي فاليدعو بالبركة والخير والمغفرة[٢].

والصلاة من الله حسن الثناء، ومن الملائكة الدعاء، قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [سورة الأحزاب/ الآية 56]، قال أبو العالية: (صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء، قال ابن عباس (يصلون: يُبَرِّكون)، وقيل إن صلاة الله الرحمة، صلاة الملائكة الاستغفار والصواب القول الأول)[٣]، قال تعالى ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 157]، أي عليهم ثناء من الله ورحمة)[٤]، فعطف الله الرحمة على الصلوات والعطف يقتضي المغايرة[٥]. فالصلاة من الله: الثناء، ومن المخلوقين: الملائكة، والإنس والجن: القيام والركوع، والسجود، والدعاء، والصلاة من الطير والهوام: التسبيح[٦].

والصلاة في الشرع: عبادة لله ذات أقوال وأفعال معلومة مخصصة، مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم، وسميت صلاة لاشتمالها على الدعاء[٧].

ويقول الدكتور نعمان في تعريف الصلاة: هي أقوال وأفعال –مخصوصة– مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم مع توفر النية [١]. فالصلاة كانت اسماً لكل دعاء

---

(١) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب النكاح، باب الأمر بإجابة الداعي إلى الدعوة، حديث رقم (1431).

(٢) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج3/ ص50؛ ابن منظرو، لسان العرب، ج14/ ص464؛ والتعريفات للجرجاني/ ص174.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3/ ص571.

(٤) م. ن، ج1/ ص135.

(٥) محمد بن صالح العثيمين، الشرح الممتع على زاد المستنقع، دار ابن الجوزي، الرياض، المكتبة الإسلامية الجامعة، ج2/ ص 228.

(٦) ابن منظور، لسان العرب، ج14/ ص465.

(٧) أبو محمد عبد الله بن احمد بن قدامة المقدسي (ت 620هـ)، المغني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1405هـ، ج3/ ص5.

صارت اسماً لكل مخصوص، أو كانت اسماً لدعاء فنقلت إلى الصلاة الشرعية لما بينها وبين الدعاء من المناسبة، والأمر في ذلك متقارب، فإذا أطلق اسم الصلاة في الشرع لم يفهم منه إلا الصلاة المشروعة(٢).

ومن المعلوم لدينا أن الصلاة هي الركن الثاني من أركان دين الإسلام، ومبانيه العظام، ولاحظ لمن ترك الصلاة في الإسلام، ولا عهد عند الله تعالى لمن تهاون بالصلاة(٣).

مشروعية الصلاة

من الملاحظ أنه لا يوجد دين يخلو من الصلاة بصورة من الصور. فهي محل إجماع من الديانات كافة، وهي تمثل ركناً مهماً في الاسلام، وحكمها واجب في الكتاب والسنة والاجماع، فدليلها من الكتاب قوله تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [سورة البينة/الآية 5]، وقوله تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [سورة النساء/ الآية 103].

وأما الدليل من السنة فلحديث معاذ ﷺ حينما بعثه النبي ﷺ إلى اليمن وقال له: ((***وأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة***))(٤)، ولحديث ابن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ انه قال: ((***بني الإسلام على خمس شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا***))(٥).

---

(١) نعمان عبد الرزاق السامرائي، الإسلام/ ص73.

(٢) أبو العباس محمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت 728)، شرح العمدة في الفقه، مكتبة العبيكان، الرياض، سنة 1412هـ، ط1، ج2/ ص30-32.

(٣) احمد بن محمد الحواشي، الصلاة الخاشعة تقديم عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، دار الحلية للنشر، الرياض، سنة 1424هـ/ ص5.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، حديث رقم (1395).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب دعائكم إيمانكم، برقم (8)؛ ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أركان الإسلام، حديث رقم (16).

وعن عبادة بن الصامت ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((***خمس صلوات كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهنّ لم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهداً أن يدخله الجنة*** ...))[١]، والآيات والأحاديث في فريضة الصلاة كثيرة.

فيتبين لنا مما سبق وجوب الصلاة وفريضتها في القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وإجماع أئمة المسلمين وعامتهم، وهذا يبين لنا أهمية الصلاة ولذلك أكد الشارع الحكيم عليها وحث عليها لعلاقتها بين العبد وربه ولأنها الصلة الوحيدة بينهما.

منزلة الصلاة في الإسلام

إن للصلاة منزلة عظيمة في الإسلام ومما يدل على أهميتها وعظم منزلتها ما يأتي:

1. الصلاة عماد الدين الذي لا يقوم الدين إلا به، ففي حديث معاذ ﷺ أن النبي ﷺ قال: ***((رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد))*** [٢]، فإذا سقط العمود سقط ما بني عليه.
2. أول ما يحاسب عليه العبد من عمله، فصلاح عمله وفساده بصلاح صلاته وفسادها، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ***((اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإنْ فسدت فقد خاب وخسر))***[٣].
وعن تميم الداري ﷺ مرفوعاً: ((**أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته، فإن كان أتممها كتبت له تامة، وإنْ لم يكن أتمها قال الله ﷻ لملائكته: انظروا هل تجدون لعبدي من تطوع فتكملون به فريضته، ثم الزكاة كذلك، ثم تؤخذ الأعمال على حساب ذلك**))[٤].
3. مدح الله القائمين بها ومن أمر بها أهله، فقال تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [سورة مريم/ الآيتان 54-55].

---

(١) أخرجه ابو داود، كتاب الصلاة، باب فيمن لم يوتر، حديث رقم (1420).

(٢) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم (2616).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، حديث رقم (378).

(٤) رواه أبو داود، سنن أبي داود، كناب الصلاة، باب قول النبي ﷺ كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه، حديث رقم (864، 866).

4. ذم الله المضيعين لها والمتكاسلين عنها، قال تعالى ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [سورة مريم/ الآية 59]، وقال ﷻ ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء/ الآية 142].

5. من عِظَمِ شأنها أنَّ الله لم يفرضها في الأرض بواسطة جبريل وإنما فرضها بغير واسطة ليلة الإسراء فوق سبع سماوات وفرضت خمسين صلاة وهذا يدل على محبة الله لها ثم خفف الله ﷻ هذه العبادة ففرضها خمس صلوات في اليوم والليلة وهي خمسين في الأجر والعمل والميزان وهذا يدل على عِظَمِ مكانتها[1].

6. افتتح الله أعمال المفلحين بالصلاة واختتمها بها، وهذا يؤكد أهميتها، قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [سورة المؤمنون/ الآية 1-9].

7. أمر الله النبي محمد ﷺ وأتباعه أن يأمروا بها أهليهم قال ﷻ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [سورة طه/ الآية 132]، وعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: ***((مروا أولادكم***

---

(١) سعيد بن وهف القحطاني، منزلة الصلاة في الإسلام، (المفهوم، الحكم، والخصائص، وحكم الترك والفضائل)، دار الخنساء، بغداد، اليرموك/ ص15-16.

بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم في المضاجع))[١].

8. أمر النائم والناسي بقضاء الصلاة، وهذا يؤكد أهميتها فعن انس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((***من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها***))[٢].
9. آخر وصية أوصى بها النبي ﷺ أمته، فعن أم سلمة (رضي الله عنها) أنها قالت: **كان من آخر وصايا النبي ﷺ: الصلاة وما ملكت أيمانكم حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره وما يكاد يفيض بها لسانه**[٣].
10. آخر ما يفقد من الدين، فإذا ذهب آخر الدين لم يبق شيء منه، عن أبي أمامة ﷺ مرفوعاً (**لينقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انقضت عرة تشبث الناس بالتي تليها وأولهن نقضاً الحكم وآخرهن الصلاة**) [٤]. وفي رواية **أخرى (أول ما يرفع من الناس الأمانة وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة، ورب مصلّ لا خلاق له عند الله تعالى)**[٥].

فيتبين لنا مما سبق أن للصلاة مكانة عظيمة في دين الإسلام فهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين وهي عنوان إسلام العبد ودلالته على إيمانه، كيف لا وهي

(١) رواه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، حديث رقم (495).

(٢) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب من نسي صلاة فليصليها إذا ذكرها، حديث رقم (597).

(٣) رواه احمد، مسند احمد، كتاب باقي مسند المكثرين، باب مسند انس بن مالك، حديث رقم (11725).

(٤) المصدر نفسه، كتاب باقي مسند الأنصار، باب حديث أبي أمامة الباهلي، حديث رقم (21139).

(٥) علي بن أبي بكر الهيثمي، (ت 807هـ)، مجمع الزوائد، درا الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت سنة 1407هـ، باب رفع الأمانة والحياء، ج7/ ص321.

عمود الاسلام، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((***لا دين لمن لا أمانة له ولا صلاة ولا زكاة***))(١)، ويمكن أن نجمل بعض خصائص الصلاة التي انفردت بها عن سائر الأعمال الصالحة ومنها(٢):

1- سمى الله الصلاة إيماناً بقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة البقرة/ الآية 143]، يعني صلاتكم إلى بيت المقدس، لأن الصلاة تصدق قوله وعمله.

2- خصها بالذكر تمييزاً لها من بين شرائع الإسلام قال تعالى ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [سورة العنكبوت/ الآية 45]، وتلاوته اتباعه والعمل بما فيه من جميع شرائع الدين كما قال (وأقم الصلاة) فخصها بالذكر تمييزاً لها، وقوله تعالى ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية 73]، خصها بالذكر مع دخولها في جميع الخيرات.

3- قرنت في القرآن الكريم بالكثير من العبادات ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 43]، وقال ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [سورة الكوثر/ الآية 2]، وقال ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام/ الآية 162]، وقرنت بالتصديق ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى * وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [سورة القيامة/ الآية 31-32].

4- أوجبها الله على كل حال ولم يعذر بها مريضاً، ولا خائفاً ولا مسافراً ولا غير ذلك، بل وقع التخفيف تارة في شروطها، وتارة في عددها، وتارة في أفعالها، ولم تسقط مع إثبات العقل، وكذلك اشراط الزينة باللباس واستقبال القبلة مما لم يشترط

---

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، باب النفقة من الحلال والحرام، ج10/ ص292.

(٢) سعيد القحطاني، منزلة الصلاة في الإسلام/ ص19.

في غيرها، قال تعالى ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 31].

5- استعمالها في جميع أعضاء الإنسان من القلب واللسان والجوارح وليس ذلك لغيرها من العبادات، ونهى أن يشتغل فيها بغيرها بالخطرة واللفظة والفكر.

6- وهي دين الله الذي يدين به أهل السماوات والأرض وهو مفتاح شرائع الأنبياء، ولم يبعث نبي إلا بالصلاة والتي هي الصلة بين العبد وربه.

يتبين لنا مما سبق ذكره أن الصلاة من أكثر العبادات التي توصل العبد بربه وتلصقه به ولذلك جعلت الصلاة قرة عين النبي (عليه الصلاة والسلام) في هذه الصلاة التي يكون فيها العبد أقرب ما يكون من ربه. فالمحبون يقولون نصلي فنستريح بصلاتنا

كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم ﷺ يقول: ((***يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها***))(١)، ولم يقل أرحنا منها، فعن انس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: ***((حبب اليّ النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة))***(٢).

فمن جعلت قرة عينه كيف يقر عينه بغيرها وكيف يطيق الصبر عنها، فقرة العين التي يطمئن القلب بالوصول إليها ومحض لذاته وسروره وبهجته إنما هو في الصلاة التي هي الصلة بالله وحضور بين يديه، ومناجاة له واقتراب منه فكيف لا تقر العين، وكيف تقر عين المحب بسواها، فالمحب راحته وقرة عينه في الصلاة ... ومما ينبغي أن يعلم أن الصلاة التي تقر بها العين ويستريح لها القلب هي التي تجمع ستة مشاهد(٣):

المشهد الأول: الإخلاص

يقول ابن القيم رحمه الله (**العمل بغير إخلاص ولا اقتدار كالمسافر يملأ جرابه رملاً يثقله ولا ينفعه إذا حملت على القلب هموم الدنيا وأثقالها وتهاونت بأورادها التي هي قوته وحياته كنت كالمسافر الذي يحمل طاقتها ولا يوفيها حقها فما أسرع ما تقف**

---

(١) رواه احمد في مسنده، كتاب باقي مسند الأنصار، باب أحاديث رجال من أصحاب النبي، حديث رقم (22009).

(٢) رواه النسائي، سنن النسائي، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، حديث رقم (3879).

(٣) احمد بن محمد الحواشي، الصلاة الخاشعة/ ص26.

به)[1]، وذلك بأن يكون الحامل لها والداعي إليها: رغبة العبد في الله ومحبته له وطلبه مرضاته والقرب منه والتودد إليه وامتثال أمره بحيث لا يكون الباعث له عليها حظاً من حظوظ الدنيا البتة بل يأتي بها ابتغاء وجه الله محبة لله وخوفاً من عذابه ورجاءً لمغفرته وثوابه.

المشهد الثاني: مشهد الصدق والنصح

وهو أن يفرغ قلبه لله فيها، ويتفرغ جهده في إقباله فيها على الله وجمع قلبه عليها وإيقاعها على أحسن الوجوه وأكملها ظاهراً وباطناً، فإن الصلاة لها ظاهر وباطن فظاهر الأفعال المشاهدة والأقوال المسموعة: وباطنها الخشوع والمراقبة وتفريغ القلب لله والإقبال بكليته على الله فيها، فلا يلتفت قلبه إلى غيره، فهذا منزلة الروح لها والأفعال بمنزلة البدن فإذا خلت من الروح كانت كبدن بلا روح.

المشهد الثالث: مشهد المتابعة والاقتداء

وهو أن يحرص كل الحرص على الاقتداء بصلاته بالنبي ﷺ فيصلي كما كان يصلي، ويعرض عما احدث الناس وأساؤوا في الصلاة من النقص والسرقة ولا نأخذ مما لم يفعله الرسول ولم يقله كما هو حال المسلمين اليوم الذين يقلدون أئمة المساجد الذين قد تَصدُر منهم أخطاء كثيرة لأن الله أمرنا أن نطيع رسول الله ﷺ ولا نطيع غيره ويحذرنا من ذلك، قال تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [سورة المائدة/ الآية 92]، ويأمرنا الله بالاقتداء بالنبي ﷺ فيقول ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب/ الآية 21].

المشهد الرابع: مشهد المراقبة.

وهذا له اتصال وثيق بعبودية العبد لربه وهو أن تعبد الله كأنك تراه لحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله عن الإحسان ((... ***أن تعبد الله كأنك تراه، فإنْ لم تكن***

---

(١) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم الجوزية (ت 751)، الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، سنة 1393هـ- 1973م، ج1/ ص49.

تراه فانه يراك))[1]، وهذا المشهد إنما ينشأ من كمال الإيمان بالله وأسمائه وصفاته حتى كأنه يرى الله فوق سماواته مستوياً على عرشه يتكلم بأمر ونهيه فيشهد بقلبه أنه حي وقيوم وسميع وبصير وعزيز وحكيم وآمر وناهٍ، يحب ويغضب، لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد، فانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، قال تعالى ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك/ الآية 14]، وهذا المشهد أصل أعمال القلوب كلها فإنه يوجب الإجلال والتعظيم والخشية والمحبة والإنابة والخضوع لله.

المشهد الخامس: شهود المنة

وهو أن يشهد العبد منة الله عليه في كونه أقامه في هذا المقام وأهله ووفقه لقيام قلبه وبدنه في خدمته فلولا الله لما كان شيء من ذلك، قال تعالى ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [سورة الحجرات/ الآية 17]، فالله سبحانه هو الذي يجعل المسلم مسلماً والمصلي مصلياً كما قال

تعالى على لسان الخليل ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 128]، فالمنة لله وحده في أن جعل عبده قائماً بطاعته وكان هذا من أعظم نعمه عليه، قال تعالى ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ وقال تعالى ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [سورة الحجرات/ الآية 7]. وهذا المشهد من أعظم المشاهد وأنفعها للعبد وكلما كان العبد موحداً كان حظه من هذا المشهد أتم[2].

المشهد السادس: رؤية التقصير

وهو إن العبد لو اجتهد في القيام بالأمر غاية الاجتهاد وبذل وسعه فهو مقصر، وحق الله سبحانه عليه أعظم، والذي ينبغي أن يقابله به الطاعة والعبودية فوق ذلك

---

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإسلام والإيمان والإحسان، حديث رقم (48).

(٢) احمد بن محمد الحواشي، الصلاة الخاشعة/ ص30.

بكثير وأن عظمته وجلاله سبحانه، يقتضي من العبودية ما يليق بهما، فالعمل لله وخدمته مستحق عليه بحكم كونه عبده فإذا أثابه عليه كان ذلك مجرد فضل ومنة وإحسان منه واليه لا يستحقه العبد ومن هنا كان قول النبي ﷺ ((***سددوا وقاربوا واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة***))(١).

وعن عائشة (رضي الله عنها) زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [سورة المؤمنون/ الآية 60]، قالت عائشة: **أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال:** ((***لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهو يخافون ألا يتقبل منهم أولئك لهم الخيرات وهم لها سابقون***))(٢).والحامل له على هذا أمران:

الأول:- شهود تقصيره ونقصانه.

الثاني:- صدق محبته لله ولطاعته. فإن المحب يتقرب إلى محبوبه بغاية إمكانه.

فلنحرص على إعطاء الصلاة حقها ظاهراً وباطناً فإن لها آثاراً عجيبة في دفع شرور الدنيا والآخرة:

فضيلة الصلاة في الكتاب والسنة وأثرها في الدنيا والآخرة:

1- إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، قال سبحانه ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت/ الآية 45].

2- إنها افضل الأعمال بعد الشهادتين لحديث عبد الله بن مسعود (رضي الله عنهما) قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل افضل؟ قال ***الصلاة لوقتها***، ..)(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، حديث رقم (5983).

(٢) أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة المؤمنون، حديث رقم (3099).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب وسمي النبي ﷺ الصلاة عملاً، حديث رقم (7534).

3- تغسل الخطايا لحديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ***((مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى ذلك من الدرن))***(١).

4- تكفر السيئات لحديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال ((***الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر***))(٢).

5- إن الصلاة تكون نور لصاحبها في الدنيا والآخرة لحديث عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال: ((***من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها، لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع هارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف***))(٣)، فإن الصلاة نور لأنها تصقل القلب كما تصقل المرآة ثم الذكر بعد ذلك بمنزلة مسح المرآة وقد قال تعالى﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾[سورة الشرح/ الآية 7-8]، قيل إذا فرغت من أشغال الدنيا فانصب في العبادة إلى ربك فارغب، أي ارغب إليه بعبادتك له(٤).

ويرفع الله بها الدرجات ويحط بها الخطايا لحديث ثوبان ﷺ مولى رسول الله ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: ((***عليك بكثرة السجود فانك لا تسجد لله سجدة إلا رفعك الله بها درجة وحط عنك بها خطيئة***))(٥)، والمشي إليها تكتب به الحسنات وترفع الدرجات وتحط الخطايا، ويعد الله لمن ذهب إليها نزلاً في الجنة كما في حديث أبي هريرة ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحو الخطايا وترفع الدرجات، حديث رقم (1072).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان، حديث رقم (233).

(٣) رواه احمد، مسند احمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند عبد الله بن عمرو، حديث رقم (6288).

(٤) أبو العباس احمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت 728 هـ)، الفتاوى الكبرى، دار المعرفة، بيروت، ط1 سنة 1386، ج2/ ص468.

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، حديث رقم (488).

قال: قال رسول الله ﷺ ((***من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداهما تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة***))[١]، ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله ((***من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله لــه نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح***))[٢]، وتزيد على صلاة في بيته سبعاً وعشرين درجة.

6- من أعظم الأسباب التي يحظى صاحبها بمرافقة النبي ﷺ في الجنة لحديث ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: ((***سَل فقلت***: أسألك مرافقتك في الجنة قال: ***أو غير ذلك قلت*** : هو ذاك قال: ***فأعني على نفسك بكثرة السجود***))[٣].

7- انتظارها رباط في سبيل الله وأجرها كأجر الحاج المحرم وأجر المعتمر كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((***ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا: بلى يا رسول الله قال: إسباغ الوضوء إلى المكاره وكثرة الخُطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط، فذلكم الرباط***))[٤]، وحديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((***من خرج من بيته متطهراً إلى صلاة مكتوبة فأجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج إلى تسبيح الضحى[٥] لا ينصبه [٦] إلا إياه فأجره كأجر المعتمر وصلاة على أثر***

---

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحي به الخطايا، حديث رقم (666).

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتب الأذان، باب فضل من غدا إلى المسجد أو راح، حديث رقم (622).

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، حديث رقم (489).

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، حديث رقم (251).

(٥) تسبيح الضحى، صلاة الضحى، وكل صلاة يتطوع بها فهي تسبيح وسبحة، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت 656هــ)، الترغيب والترهيب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، سنة 1417هــ، ج1/ ص292.

(٦) لا ينصبه: لا يتعبه إلى ذلك، والنصب: التعب، المنذري، الترغيب والترهيب، ج2/ ص292.

صلاة لا لغو بينهما كتب في عليين))[١]، وغير ذلك كثير لا يسع المجال لسردها في هذا المقام.

المطلب الثالث: الركن الثالث...الصيام

إن رمضان من مواسم الخيرات التي امتن الله تعالى بها على عباده، ليقوى إيمانهم وتزداد فيه تقواهم، وتتعمق صلتهم بربهم، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[سورة البقرة/ الآية 183]، وقد شرع الصيام للترقي في أعمال التقوى، فكان رمضان مضماراً للمتسابقين فيها والمتنافسين على أجورها فتحصيل التقوى بنياتهم وأعمالهم وهذا مقصد الصيام، ولما كانت أعمال شهر الصيام كثيرة وأصناف الطاعات متنوعة[٢]، فقد احتاج هذا إلى روح دافعة للاستمرار في القربات باستثمار الليالي والساعات في هذه الأيام المعدودة حتى نخرج منه بشحنة إيمانية تعيننا في عصر الفتن والابتلائات في السراء والضراء والصبر على ما يصيبنا، وكأنها أيام الصبر التي أخبرنا بها النبي ﷺ عن معقل بن يسار رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((***العبادة في الهرج كالهجرة اليّ***))[٣]، يقول النووي: (والمراد هنا الفتنة واُختلاط أمور الناس فيها وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون ويشغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا القلائل من الناس)[٤].

ورمضان مناسبة كبرى لتعويد النفس على العبادة مهما كانت ظروف الزمن، وتقلبات الأيام، فعسى أن ينال العابدون بتلك العبادة أجر المهاجرين الأولين إلى دار هجرة سيد الأولين والآخرين ﷺ.

---

(١) رواه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل المشي إلى الصلاة، حديث رقم (558).

(٢) فيصل بن علي البعداني (رمضان بين الواقع والواجب)، مجلة البيان، العدد 97، رمضان 1416–فبراير 1996/ ص30.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب فضل العبادة في الهرج، حديث رقم (5242).

(٤) النووي، شرح النووي لصحيح مسلم، ج18/ ص88.

صيامنا في رمضان

مع ضرورة اهتمام الصائمين بروح الصيام ومعانيه، فمن المهم أن لا يُترك الاعتناء بأحكامه وأدلته وما يعين على حسن الإتباع فيه، فكما يفتقد كثير من الناس الروح الدافعة لإحياء مقاصد تلك الفريضة فإن كثيراً منهم يفتقرون إلى معرفة الأحكام التي تُصحح تأديتها وتُقّوم كمالها وإتمامها. فالمسلم في عمره المحدود وأيامه القصيرة في هذه الحياة تعوضه من الله في مواسم الخيرات، وأعطاه من شرف الزمان والمكان ما يمكنه من استغلالها والعمل فيها للنجاة من أي تقصير أو زلة في حياته إذا وفق لاستغلالها والعمل فيها ومن تلك المواسم هذا الشهر العظيم الذي قيل عنه (إنه نداء رباني حبيب لعباده المؤمنين يذكرهم بحقيقتهم الأصيلة ثم يقرر بعد ذلك النداء: إن الصوم فريضة قديمة على المؤمنين بالله تعالى في كل دين.

التقوى في رمضان

تعد التقوى من ابرز أحكام الصيام لأنها كما قال القرطبي (أي لعلكم أن تجعلوا بقبول ما أمركم الله به وقاية بينكم وبين النار) [١]، كما قال علي بن أبي طالب ﷺ (كنا إذا حمي البأس ولقي القوم اتقينا برسول الله ﷺ [٢]، ويشير الطبري إلى معنى التقوى بقوله (وتأويل ذلك لعلكم تتقون بعبادتكم ربكم الذي خلقكم وطاعتكم إياه فيما أمركم به ونهاكم عنه وإفرادكم له بالعبادة لتتقوا سخطه وغضبه أن يَحِل بكم...وكان مجاهد يقول في تأويل قوله تعالى لعلكم تتقون أي تطيعون [٣]، ويقول الرازي في كيفية تحقيق هذه الحقيقة الإيمانية في الصوم (إن الصوم يورث التقوى لما فيه من انكسار الشهوة وانقماع الهوى فإنه يردع عن الشر والبطر والفواحش، ويهون لذات الدنيا ورياستها، وذلك لأن الصوم يكسر شهوة البطن والفرج، فمن أكثر منه هان عليه أمر هذين، وخفت عليه

مؤونتها، فكان ذلك رادعاً له عن ارتكاب المحارم، والفواحش، ومهوناً عليه أمر الرياسة في الدنيا، وذلك جامع لأسباب التقوى)[٤].

---

(١) تفسير القرطبي، ج1/ ص227.

(٢) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، كتاب قسم الفيء، ج 2/ ص155، حديث رقم (2633).

(٣) تفسير الطبري، ج1/ ص161.

(٤) التفسير الكبير، ج5/ ص70.

التربية على الصبر وقوة الإرادة في رمضان:

التربية على الصبر من ابرز مرامي الصيام حتى سمى النبي ﷺ شهر الصيام: شهر الصبر فقال عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ***((الصيام نصف الصبر))***[١]، فسماه ﷺ نصف الصبر لأهميته إذ في الصوم (تربية لقوة الإرادة على كبح جماح الشهوات وأنانية النفوس ليقوى صاحبه على ترك مألوفاته: أكلاً أو شرباً أو متاعاً، فيكون قوي الإرادة في الإقدام على أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ التي كان من أعظمها حمل الرسالة المحمدية والدفع بها إلى الأمام والتي تهاون الكثير من الدعاة اليوم في هذه الفتن التي يجب أن يكونوا فيها على اتم الاستعداد لها ولحملها، غير مبالٍ بما أمامه من كل مشقة وصعوبة ... والصوم يمثل ضرباً من ضروب الصبر الذي هو الثبات في القيام بالواجب في كل شأن من شؤون الحياة) [٢]، إذ يصبر فيه الإنسان نفسه على طاعة الله تعالى بالوقف عند حدوده فعلاً وتركاً.

قال تعالى بعد ذكره شيئاً من أحكام الصيام ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ﴾ [سورة البقرة/ الآية 187]، كما يُضبِطُها ويمنعها عن لذاتها طواعية وامتثالاً لأمر الله تعالى، وطلباً لثوابه، وفي ذلك من التربية على قوة العزيمة والإرادة ما يجعل الإنسان متحكماً في أهوائه وشهواته كما قال تعالى بعد آية المشاورة قوله ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 159]، وفرض الله الصيام على عباده تزكية لنفوسهم، وتربية لأبدانهم، قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة البقرة/ الآية 183]، أي هو من أجل تحصيل هذه الدرجة التي أرادها الله من كل عباده أن يصلوا اليها لأن الله تعالى يقول عن فضيلة هذه المنزلة ويبين محبته وقربهم منه بقوله سبحانه ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة

---

(١) رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الصيام، باب في الصوم زكاة الجسد، حديث رقم (1735).

(٢) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج22/ ص45.

التوبة/ الآية 7]، وقوله أيضاً ﴿ وَاتَّقُونِي يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة البقرة/ الآية 197]، لا كما يزعمه أهل الضلال والانحلال من أن الله فرضه ليشق على عباده ويكلفهم من الأوامر ما لا يطيقون، وإنما السر في ذلك كما قال تعالى ﴿ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾ [سورة المائدة/ الآية 94].

وإلا لو قال العبد: إني صائم وانزوى وخفي عن أعين الناس يأكل ويشرب ويستمتع ما شعر به أحد، لكن لا يغيب عمن لا تخفى عليه خافية، قال تعالى ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [سورة غافر/ الآية 19]، وقوله تعالى ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾ [سورة الحديد/ الآية 4]، فهذه الخشية والمراقبة بالغيب هي سر قوله تعالى (لعلكم تتقون).

وجوب صيام رمضان وحقيقته وفضله:

وهو واجب على المسلم العاقل البالغ القادر المقيم، وحقيقته هو الإمساك عن جميع المفطرات بنية التعبد لله من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

وفضله: هو من أجل العبادات وأزكاها لأنها تقوم العبد وتهذب أخلاقه وتصحح وتصلح علاقته بربه من خلال هذا الشهر المبارك الذي يسمى بشهر الصبر وشهر القرآن، قال تعالى ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ [سورة البقرة/ الآية 185].

وسمي شهر الصبر لأن فيه صبروا على أقدار الله المؤلمة أي على ما يقدره الله على عبده من الأقدار التي قد تكون سيئة في حسبانه ولكن فيها خيراً كثيراً كما قال تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة/ الآية 216]، يقول السعدي في تفسيره هذه الآية (أمرهم الله تعالى بالقتال وأخبرهم أنه مكروه للنفوس لما فيه من التعب والمشقة وحصول أنواع المخاوف والتعرض للمتالف، ومع هذا فهو خير محض لما فيه من الثواب العظيم والتحرز من العقاب الأليم والنصر على الأعداء

والظفر بالغنائم... ﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ وذلك مثل القعود عن الجهاد لطلب الراحة فإنه شر لأنه يعقب الخذلان وتسلط الأعداء على الإسلام وأهله، وحصـــول الذل والهوان، وفوات الأجر العظيم، وحصول العقاب)(١).

وكذلك الصبر على طاعة الله أي الصبر على المحافظة على الصلوات والصبر على المحافظة على قراءة القرآن الكريم وتدبر معانيه والصبر على إشغال النفس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذلك الصبر على استغلال النفحات التي تكون في العبادة مثل بعض النوافل وبعض الأيام التي يستحب فيها الصيام والصبر على إعطاء الزكاة من المال والصبر على الحج والعمرة وتأدية المناسك وكذلك المرابطة في سبيل الله، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [سورة آل عمران/ الآية 200]، وكذلك الصبر على المعاصي: ومن ذلك الصبر على اجتناب الموبقات وغض البصر عن الحرام فيكون قلبك إضافة إلى جوارحك كلها مسخرة لله وكذلك عن الكلام السيء والفاحش يكون عاقبته الخزي والندامة في الدنيا والآخرة كالكذب والغيبة والنميمة وقول الزور، كما قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات/ الآية 11-12]، وقال تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة/ الآية 33]، ويجب علينا الصبر على جميع المعاصي التي تؤدي بالمسلم إلى هذا المسلك الشائك الذي كان عاقبته النار وبئس القرار.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن/ ص96-97.

درجات الصوم

والصوم كما يقسمه أبو حامد الغزالي ثلاث درجات (صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص). أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة، وأما صوم الخصوص وهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام، وأما صوم خصوص الخصوص: فصوم القلب عـــن الهضم الدنية والأفكار الدنيوية والكف عما سوى الله ﷻ بالكلية، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله ﷻ واليوم الآخر، وبالفكر في الدنيا إلا دنيا تراد للدين فان ذلك من زاد الآخرة[١].

صيام العارفين هو الخضوع والاستسلام لله رب العالمين والخوف منه:

يربي الصيام المسلم على ضبط نفسه الأمارة بالسوء، ويمكنه من السيطرة عليها والإمساك بزمامها، بحيث لا يكون مستسلماً لها بل مستسلماً لأوامر ربه خاضعاً منقاداً لنواهيه، مؤثراً لمحابه سبحانه مقدماً لها على رغائب الجسد وشهواته[٢].

فالعارف بالله المحقق للعبادة هو الذي عرف أن الصيام يسرٌ بين العبد وربه لا يطلع عليه غيره، لأنه مركب من نية باطنة لا يطلع عليها إلا الله وعمل ظاهر، وترك لتناول الشهوات التي سيتخفى الإنسان بتناولها في العبادة، فعبادة الصيام عبادة خالصة بين العبد وربه، فلذلك فإنه يربي المسلم على مخافة الله تعالى ومراقبته كما في عبودية الإحسان الذي يجعل فيه العبد على دوام الخوف من الله تعالى ومراقبته والتطلع لثوابه، إذ بإمكانه أن يُظهر الصيام أمام الخلق وهو غير صائم أصلاً، سواء إنْ كان عن طريق تناول شيء من المفطرات، أو بمجرد فقدان النية، وإنْ أمسك عنها طوال النهار، وفي ذلك يتبين من ظهور صدق الإيمان، وكمال العبودية، وقوة المحبة لله تعالى، ورجاء ما عنده ما جعل جزاء الصيام عند الله تعالى أعظم من جزاء كل العبادات، كما قال تعالى في الحديث القدسي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ: ***((كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله ﷻ، إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به، يدع شهوته وطعامه من أجلي ...))***[٣]، يقول ابن القيم (**والعباد قد يطلعون منه**

---

(١) إحياء علوم الدين، ج1/ ص329.

(٢) فيصل علي البعداني (رمضان بين الواقع والواجب)، مجلة البيان، العدد (97)، رمضان 1416، صادرة عن المنتدى الإسلامي/ ص30.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، حديث رقم (1945).

على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده فهو أمر لا يطلع عليه بشر وذلك حقيقة الصوم)(١).

عبادة الصوم هي لم شعث القلوب وكاسرة للشهوات

لما كانت فضول الطعام والشراب والشهوة والكلام والمنام ومخالطة المنام مما يزيد شعثاً ويشتته في كل وادٍ، ويقطعه عن سيره إلى الله تعالى، أو يضعفه أو يعوقه ويوقفه.

اقتضت رحمة الله تعالى بعباده أن يشرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أنواع الشهوات، وشرع لهم من العبادات أثنائه من اعتكاف وقيام ودعاء وتلاوة قرآن ما يذهب فضول الكلام والمنام ومخالطه، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال ((***الصيام جنة وحصن حصين من النار***))(٢)، بل عده ﷺ حصناً للمؤمن، وذلك لكونه كاسراً للشهوة ومضعفاً لها كما في حديث عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قوله ((***خصاء أمتي الصيام والقيام***))(٣)، وكما في حديث النبي ﷺ قوله ((***يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء***))(٤).

ويكون الصيام مضيقاً على الشيطان مجاريه بتضييق مجاري الطعام والشراب، عن علي بن الحسين ... أن النبي ﷺ قال ((***إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم***))(٥)، فتسكن بذلك وساوس الشيطان. كما أن القلب في حال الصيام يتفرغ يكون اكثر تفرغاً للعبادة والتدبر في آيات الله تعالى ومخلوقاته، لأنه سكن واطمأن بقلبه وبدنه عن كل ما يشغله من الوساوس والأفكار ويكون اكثر ذكراً لله تعالى، قال تعالى ﴿الَّذِينَ

---

(١) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد، ج2/ ص29.

(٢) رواه احمد، مسند احمد، كتاب باقي مسند المكثرين، حديث رقم (8857).

(٣) رواه احمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث رقم (6323).

(٤) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة فليتزوج، حديث رقم (4677).

(٥) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، باب هل يدرأ المعتكف عن نفسه، حديث رقم (1898).

﴿... آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد/ الآية 28]، ويقول عن حال التفكر والمتفكرين في مخلوقاته سبحانه ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 191]، فيتبين لنا مما سبق ذكره أن للصائم آثاراً أثرت فيه من خلال صومه وما هي إلا روح الإيمان. ويجب على عباد الله أن يجتنبوا قدر ما يستطيعون من الآثام والمعاصي، لإن الإفراط في تناول الشهوات يسبب الغفلة، وربما يقسي القلب ويعمي عن الحق.

وعلى الرغم من أن الأصل في تشريع الصيام أن يقوي الإيمان ويكسب العبد التقوى التي تحجزه عن المعاصي والآثام كما قال تعالى ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [سورة التوبة/ الآية 124-125]، وهنا في هذه الآية يبين ابن كثير زيادة الإيمان ونقصانه عند السلف والخلف، وقد حكى الأئمة والعلماء وغير واحد الإجماع على أن الإيمان يزيد وينقص ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾، أي شكاً إلى شكهم وريباً إلى ريبهم)(١)، ويقول عبد الرحمن المحلي في تفسيره: فمنهم من يقول أي المنافقين من يقول لأصحابه استهزاءً أيكم زادته هذه إيماناً أي الذين آمنوا زادتهم تصديقاً وهم يفرحون بها) (٢)، وكذلك جاءت للصيام فوائد أخرى من ضمنها ما اتضح في عصرنا من تقويته للأجساد وأثره في صحتها بالوقاية من العلل والأمراض الجسمية والنفسية.

تعليق الناس الصيام بالتروك فقط

يعتقد كثير من الناس بأن الصيام جملة من التروك فقط كالطعام والشراب والجماع وغيرها، متناسين أو غافلين أن الله تعالى شرع الصيام معه جملة من الأعمال التي تتضافر وتتكدس وتتجمع في الصيام لتحقيق كم هائل من غايات الصوم وآثاره

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ج2/ ص404.

(٢) تفسير الجلالين/ ص264.

المرجوة منه ليكون على أتم الوجوه وأكملها وأجملها ولعل من أبرز تلك الأعمال التي دلت عليها النصوص:

1 - **قيام الليل:** كما في حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: ((***من قام ليلة القدر إيمانا واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه***))[١].

2 - **العمرة:** كما في حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: ((***فإن عمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي***))[٢].

3 - **تفطير الصائمين:** عن زيد بن خالد الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: ((***من فطر صائماً كان له مثل أجره لا ينقص من أجر الصائم شيئاً***))[٣].

4 - **قراءة القرآن وختمه:** عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ قال: ((***الصيام والقيام يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام أي ربّ منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه، قال فيشفعان***))[٤].

5 - **الصدقة:** عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: ((**كان النبيﷺ أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان**)) [٥]، فيستحب للمسلم الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداءً بالرسول ﷺ لحاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولتشاغل كثير منهم بالصيام والصلاة عن أرزاقهم ومكاسبهم.

6 - **الاعتكاف:** عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان[٦]، فعجباً للمسلمين كيف تركوا سنة الاعتكاف مع أن النبي ﷺ كانت فرضاً عليه ولم يتركها حتى قبض ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب تطوع قيام رمضان من الإيمان، حديث رقم (36).

(٢) المصدر نفسه، كتاب الحج، باب حج النساء، حديث رقم (1730).

(٣) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الصوم عن رسول الله، باب ما جاء في فضل من فطر صائماً، حديث رقم (735).

(٤) رواه احمد في مسنده، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب مسند عبد الله بن عمرو بن العاص، حديث رقم (6337).

(٥) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب أجود ما كان النبي يكون في رمضان، حديث رقم (1769).

(٦) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاعتكاف، باب الاعتكاف في العشر الأواخر، والاعتكاف في المساجد، حديث رقم (36).

7 – **الدعاء:** حيث ذكر الله تعالى في ثنايا آيات الصيام قوله ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [سورة البقرة/ الآية 186]، ليرغب الصائم في كثرة الدعاء.

8 – **التوبة:** شهر رمضان من الأشهر الكريمة الذي يعم بالسلام والأمان والاطمئنان ولذلك جعله الله سبحانه موسم التوبة والعودة إلى الله ﷻ، وذلك لعظيم جوده (تعالى) في كل وقت، وفي هذا الشهر خاصة حيث تصفد الشياطين(١).

وله سبحانه في كل ليلة من رمضان عتقاء من النار فضلاً عن تهيؤ الإنسان بالصوم وسائر العبادات لذلك روي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ((***رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له***))(٢).

9 – **الاجتهاد في العمل مطلقاً في العشر الأواخر:** عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: **(كان ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شدّ مئزره وأحيى ليله وأيقظ أهله)**(٣)، وقالت (رضي الله عنها) **أيضاً (كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره)**(٤).

والأفعال المشروعة في رمضان كثيرة، فالمفترض في حق المسلم أن يحرص على شغل وقته بما يعود عليه بالنفع أكثر عند لقاء الله ﷻ.

أثار المعاصي على الصيام

الذنوب سبب حرمان الله للعبد من الاستفادة من الصيام وتحقيقه التقوى فيه، قال تعالى ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [سورة الشورى/ الآية 30]، ولذا فإن الصوم ينقص ثوابه بالمعاصي وإنْ لم يبطل بها، فقد لا يحص الصائم على ثواب وأجر مع تحمله التعب بالجوع والعطش لأنه لم يصم الصيام

---

(١) رواه احمد، مسند احمد، كتاب مسند الكوفيين، باب حديث رجل، حديث رقم (18042).

(٢) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله، باب قول الرسول رغم انف رَجل، حديث رقم (3468).

(٣) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب العمل في العشر الأواخر من رمضان، حديث رقم (1884)

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الاعتكاف، باب الاجتهاد في العشر الأواخر من رمضان، حديث رقم (2009).

المطلوب كما أراد منه ربه. وقد وردت عدة أحاديث تبين ذلك المعنى وتجليه وتوضحه فمنها: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((***رُبّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش، ورُبّ قائم حظه من قيامه السهر***))[١]، وكما في الحديث المشهور الذي رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ((***من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه***))[٢]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ((***... والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم***))[٣]، فإنه كم من صائم عن الطعام مفطر بالكلام، دائب على القيام لكنه مؤذٍ للناس، فهو من لسانه وفعله مؤزور[*]، وعلى صيامه وقيامه غير مأجور، أين زاغ عن الهدى، ودال على سبيل الردى، بل أين من رانت الذنوب على قلبه، ولم يبادر بالتوبة من ذنبه، ولم يخف عذاب ربه، ويحك يا مسكين اغتنم شهر رمضان المتضمن بالرحمة والغفران، وانظر لنفسك يا مسكين، قبل أن تصل إلى حلقك السكين)[٤].

ويتضح لنا مما سبق ذكره أن الرفث هو الفحش وبذيء الكلام ورديئه، وما يترتب عليهما من إطلاق اللسان فيما لا يليق، كل ذلك يعطل الصيام عن أن يكون جنة أي وقاية وحماية من النار.

إن رمضان فرصة المسلم لكي تعود لسانك على عبوديته، فعلى لسانك عبوديات خاصة، تتوزع بين أداء وفروض وواجبات ومستحبات وترك محرمات ومكروهات. وقد ذكر ابن القيم هذه العبوديات وقسمها وبين كل ما يتعلق بها فقال: وأما عبوديات اللسان الخمس فواجبها: النطق بالشهادتين وتلاوة ما يلزم تلاوته من القرآن، وهو ما

---

(١) رواه احمد، مسند احمد، كتاب باقي مسند المكثرين، حديث رقم (8501).

(٢) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، حديث رقم (1770).

(٣) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، حديث رقم (1771).

(*) مؤزر: من الوزر وهو الذنب أو الإثم.

(٤) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في رمضان، حديث رقم (1770).

تتوقف صحة صلاته عليه وتلفظه بالأذكار الواجبة في الصلاة التي أمر الله بها رسوله، كما أمر بالتسبيح في الركوع والسجود وأمر أن يقول (ربنا ولك الحمد) بعد الاعتدال

وأمر بالتشهد والتكبير، ومن واجبه السلام، ومن واجبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجاهل وإرشاد الضال وأداء الشهادة المتعينة وصدق الحديث، وأما المستحب فتلاوة القرآن ودوام ذكر الله، والمذاكرة في العلم النافع وتوابع ذلك، وأما المحرم على اللسان فهو النطق بكل ما يبغضه الله ورسوله، كالنطق بالبدع المخالفة لما بعث الله به رسوله، والدعوة إليها وتحسينها وشهادة الزور فقد روي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ((***من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه***))(١)، وهذا أيضاً من مكروهات اللسان فالتكلم بما تركه خير من الكلام به، مع عدم العقوبة عليه كما بينا(٢)،والإكثار من الصيام كان هنا من سمات الصالحين كيف لا وهي علاقة وثيقة بين التقوى المراد تحقيقها وبين حفظ اللسان وإمساكه عن كلام الفاحش الموصل إلى هذه الفضيلة المرجوة.

الأعمال القلبية للصائم في رمضان

للقلب مسؤولية أمام الله، كمسؤولية السمع والبصر، فكما يسأل العبد منا على سمعه وبصره كذلك سيسأل عن قلبه، قال تعالى ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [سورة الإسراء/ الآية 36]، أي أن العبد سيسأل عنها وعما عمل فيها، وللقلب مسؤولية خاصة ومتميزة عن باقي الجوارح لأنه كالقائد لأتباعه كما وصفه رسول الله ﷺ بقوله ((***ألا وأن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب***))(٣).

وللقلب عبادة في رمضان كما لسائر الأركان، ولأنه سيد الأعضاء فإنه مخصوص بسيد العبادات وهو الإخلاص، وليس شيء ألصق بالإخلاص من العبادات

---

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، كتاب الريان، حديث رقم 1804.

(٢) مدارج السالكين، ج1/ ص114-115.

(٣) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، حديث رقم (50).

من الصيام، لأنه عبادة بين العبد وربه ولا يمكن أن يكون الصيام طاعة إلا بالإخلاص، ولعل هذا معنى قوله ﷺ المحكي عن ربه ﷻ ((*كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فانه لي وأنا أجزي به*))(١)، قال القرطبي: (**إنما خص الصوم بأنه له، وإنْ كانت العبادات**

كلها له لأمرين بايَنَ الصوم بهما سائر العبادات: أحدهما: إن الصوم يمنع ملاذ النفس وشهواتها ما لا تمنع منه سائر العبادات.

الثاني: إن الصوم سر بين العبد وربه، لا يظهر إلا له، فلذلك صار مختصاً به وما سواه من العبادات ظاهر، ربما فعله تصنعاً ورياءً، فلهذا صار أخص بالصوم من غيره)(٢).

إن على المرء أن يتحسس أحوال قلبه في رمضان ويقيس ذلك على ما في قلبه ملتمساً مواطن قوته ومواضع ضعفه، ليميز نفسه هل له عبودية واحدة في رمضان وأخرى في غيرها ملتمساً عبودية الإجلال في رمضان والإخلال في غيره، إن الأصل في عبوديتنا لله توجب إجلاله وتوقيره وتعظيمه في رمضان وغيره سواءً، وننمي هذا التوقير والإجلال لأن الصيام عبارة عن مراقبة الله والحياء منه في السر قبل العلن وتوقيره يكون بتوقير وتعظيم وإجلال كلامه ﷻ وكلام رسوله ﷺ وأوامرهما ونواهيهما وعظمة خلقه سبحانه ودقة صنعه فمن عرض عليه مشاهد الإبداع شاهد بقلبه عظمة الله التي تلتزم بالتوقير وتستوجب الإيمان والطاعة(٣)، وعن ابن عباس في تفسير قوله تعالى ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ [سورة نوح/ الآية 13]، أي لا تعظمون الله حق عظمته(2)، والتعظيم بالقلب وحق التعظيم بالقلب الطاعة بالجوارح(٤).

يقول ابن القيم (**أو أنهم عظموا الله وعرفوا حق عظمته وحدوده، أطاعوه، وشكروه، فطاعته سبحانه، واجتناب معاصيه، والحياء منه بحسب وقاره في القلب**)(٥).

---

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، حديث رقم (1945).

(٢) تفسير القرطبي، ج1/ ص274.

(٣) الطبري، تفسير الطبري، ج29/ ص95.

(٤) عبد العزيز مصطفى كامل، روح الصيام ومعانيه، ط 1، 1425هـ– 2004م، تصدر عن مجلة البيان، الرياض/ ص89.

(٥) الفوائد/ ص188-189.

ازدياد التنفل والعبادة في شهر رمضان

لا شك أن رمضان فرصة سانحة يكرمنا الله تعالى بها كل عام من أعوامنا، فإننا نكون في حالة تشوق إذا حضرنا مجلساً طيباً وحسسنا به بالفرح والسرور، ونستشعر في أثناء ذلك أنه لن يعود مرة أخرى فنشعر بضرورة اغتنام تلك الفرصة التي قد لا تتكرر، ولهذا فإن الصحابة (رضوان الله عليهم) لما استمعوا موعظة من النبي ﷺ

ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب (قالوا كأنها موعظة مودع) [١]، فلنتصور استقبال ضيف عزيز علينا سنضيفه ونتصور أنه بعد أيام قلائل سيذهب ولا يعود أبداً كيف سيكون حالنا معه فكيف بهذا الشهر المبارك، فلنخص هذا الشهر بمزيد من الاعتناء والاهتمام به، ولنخرج صيامنا ببعض الوقفات من إلى ما ألفناه من العادة إلى روح العبادة[٢]:

- نصوم رمضان في كل عام وهمّ أكثرنا أن يبريء نفسه الذمة ويؤدي هذه الفريضة على أي حال، فليكن همنا لهذا العام هو تحقيق معنى الصيام بقوله ﷺ ((***من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه***))[٣]، والمقصود إيماناً واحتساباً عسى الله أن يغفر ذنوبنا وهي كثيرة.
- نحرص في كل عام على ختمات عدة فليكن ختمنا لإحدى الختمات ختمة تفكر وتدبر ونية إقامة الحدود مع قراءة الحروف.
- في كل عام نتنقل بين المساجد لسماع صوت الشيخ والقاريء الأجمل صوتاً فليكن عامنا الذي ندركه نحو الصلاة الأكمل.
- يتزايد حرصنا على عدم تضييع صلاة الجماعة مع الإمام فليكن همنا هذا العام على عدم تفويت تكبيرة الإحرام.

---

(١) رواه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، حديث رقم (3991).

(٢) (رمضان واستقبال المودعين)، افتتاحية مجلة البيان، العدد 133، رمضان 1419هـ، تصدر عن المنتدى الإسلامي/ ص4.

(٣) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان، حديث رقم (37).

- يتزايد حرصنا في هذا الشهر على أهلنا بزيادة الأغذية والمطيبات فليتسع هذا العام في هذا الشهر لتغذية الأرواح والأنفس بغذاء الإيمان وزيادة التقوى ﴿وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ [سورة البقرة/ الآية 197].
- نقصد بكل عام التصدق لمساعدة المحتاجين فليكون همنا في هذا العام لمساعدة أنفسنا للتخلص من نار الخطيئة بجعل تلك الصدقة خالصة لتطفيء غضب الرب،
-

كما جاء في حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ ((*إن الصدقة تطفيء غضب الرب*))[1].

- نحرص في كل عام في رمضان على العمرة لفضلها فلنجعلها لعمرنا كله هذا العام نغسل بها ما مضى من ذنوبنا فقد يكون آخر عهدنا بالبيت ذلك الطواف.
- نحرص جميعاً على اكتساب العمل النافع في رمضان فليكن في هذا العام كتاب يهدى ونصيحة تسدى.
- لنفسك من دعائك النصيب الاوفى، وليكن دعائك هذا العام لملايين المسلمين المحتاجين لدعائك لتحظى بقبول الملائكة ولك بالمثل.
- لنكف عن الاعتكاف إلى الناس، ولنقف على الاعتكاف على النفس ومحاسبتها قبل الحساب المباشر.
- الجود محمود في رمضان وأنت أهله بالقليل والكثير فليمتد جودك بالإحسان لمن أساء، وصلة من قطع.
- نحب التعبد بتفطير الصائمين بحب المحمدة فلنخلص العبادة حتى لا تكون رياء، بل محمدة في الآخرة.
- لنا ولك أعداء فانتصر عليهم بالدعاء وإنّ كانوا كافرين، وانتصف منهم بالدعاء إن كانوا مسلمين، فكم من دعاء حول العداء إلى ولاء.
- إذا ودعك رمضان أو ودعته، فاستحفظه ربك، واستودعه بما عملت فيه، حتى لا يضيع فلا تدري، لعلك لا تلقاه بعد عامك هذا.

---

(١) أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الزكاة عن رسول الله، باب ما جاء في فضل الصدقة، حديث رقم (600).

- إذا لقيته في عام قابل بلغنا الله وإياكم شهوره، فعد مرة أخرى واستقبله استقبال المودعين.
- فهلا عقدنا العزم على أن يكون هذا الموسم بداية جديدة وصادقة خالصة للعودة إلى الله تعالى حقيقةً.

المطلب الرابع: الركن الرابع: الزكاة

يتميز الإسلام بمنهجية متفردة، إذ يعمل على تحقيق التوازن بين الحاجات المادية والروحية، ضمن تنظيم يعطي الحياة الدنيا دورها والآخرة دورها بغير إفراط ولا تفريط، قال تعالى ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [سورة القصص/ الآية 77]، وقال أيضاً ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 32].

يتميز دين الإسلام بأنه الدين الذي جعل في إهابه الواجبات التي ينبغي للفرد القيام بها تجاه خالقه، والواجبات التي عليه القيام بها تجاه أخيه الإنسان، فتنتظم الحياة الإنسانية، فلا يكون انفصال بين متطلبات الحياة الأخرى ومتطلبات الحياة الدنيا، وإنما هناك رابط يجمع بينهما(١).

من الشواهد التي تؤكد لنا حقيقة الارتباط بين عبادة الله وأداء الحقوق المالية تجاه المجتمع، ما نجده من اقتران الصلاة والزكاة في آيات القرآن الكريم، إذ نلاحظ أن الصلاة التي هي الشعيرة المحسوسة لتأكيد خضوع الإنسان لله تعالى تقرن دائماً بالزكاة، التي تمثل الجانب المالي لتنظيم احتياجات المجتمع، يقول تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 43]، ويقول سبحانه تعالى ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [سورة مريم/ الآية 31].

فالزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وهو الركن الذي لا يصبح الإنسان مسلماً حقاً إلا إذا أداه، فهي وصلة العقد، وهي الرابطة بين الصحة والاعتقاد والعبادة، فالصلاة والصيام عبادات بدنية، والزكاة تمثل جسر الإيمان الذي يربط بين ظواهر الاعتقاد ومؤشراته ودلائله وواقع الحياة، إذ يتحقق التلازم بين الاعتقاد والعبادة من

---

(١) د. محمد بن عبد الله الشيباني، آراء وتأملات في فقه الزكاة (1)، مجلة البيان، العدد (110)، شوال 1417هـ-1997م، تصدر عن المنتدى الإسلامي/ ص32.

جانب، والتكافل الاقتصادي لأفراد المجتمع من جانب آخر، فيتحقق بذلك مفهوم الإسلام الذي يقوم على أساس أن الدين لا ينفصل عن واقع الحياة، وأنه يعمد إلى إسعاد الناس في حياتهم الدنيا، كما يسعدهم في حياتهم الآخرة.

إن دور الزكاة في تحقيق التوازن الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي دور مهم، لكن واقع المجتمعات الإسلامية في هذا العصر لا يعطي لهذا الأمر أهمية فترك الأمر للأفراد في تأدية الزكاة، وغُير وجهها، واستبدلت الضرائب وغيرها من وسائل الجباية

بالزكوات، وأصبحت التنظيمات المالية الحالية لا تعطي أهمية في دور الزكاة في تحقيق الاستقرار الاقتصادي والتكافل الاجتماعي، وتحقيق ما ينادي به الاقتصاديون المعاصرون من إقامة دولة الرفاهية، فحلت الأنظمة المالية القائمة على النظام الربوي محل النظام المالي الإسلامي الذي يقوم على منهج مغاير للفكر الفلسفي الذي تقوم عليه التنظيمات المالية المطبقة حالياً، والمقتبسة من النظام الغربي(١).

المفهوم السائد لدى كثير من الناس أنها نوع من التصدق لا علاقة لها بتنظيم شؤون الدولة المالية، وليست جزءاً من التنظيم الاجتماعي، وبالتالي فإن الزكاة هي جزء من التراث الأخلاقي الذي لا يمكن أن يقوم عليه البناء المالي للمجتمع، وهذا المفهوم الخاطيء الذي يرجع في أساسه إلى عدم فهم حقيقة الزكاة، والجهل التام بالتراث الفقهي المالي، مما ينتج عن هذا المفهوم القاصر لدور الزكاة في المجتمعات الإسلامية.

إن الزكاة هي التنظيم المالي الوحيد في التشريعات المالية التي عرفها البشر المخصصة للإنفاق على احتياجات الأفراد الذي لا يجدون كفايتهم، ولم تقتصر الزكاة على نوع معين من الدخل،بل شملت كل مصادر الدخل كما أنها تميزت بشمولية المشاركين في دفعها، إذ ظلت الحد الأدنى إذا بلغه المال وجبت فيه الزكاة، مع ملاحظة طبيعة المال، فربطت وجوب الزكاة في بعضه على مرور الحول مثل النقدين والتجارة والأنعام، وبعضه الآخر في تاريخ تحققه مثل الزروع أو المعادن أو غيرها.

---

(١) محمد بن عبد الله الشريباني، المالية العامة على ضوء الشريعة الإسلامية ، دار عالم الكتب، الرياض 1995/ ص5.

إن الزكاة هي التنظيم المالي القادر على تحقيق التوازن الاقتصادي في المجتمع، والتقليل من التفاوت بين مختلف الأفراد والجماعات، وغرس روح التعاطف والمودة بين مختلف الأفراد، لذا: لابد من معرفة أحكامها وكيفية تحديد وعائها، ومقدارها بحسب الأموال التي تجب فيها وبحسب واقع الأنشطة الاقتصادية المعاصرة، والتي تعددت وتنوعت، وما صاحب ذلك من ازدياد حجم الثروات ووسائل تبادلها، مع بروز أشكال من الأعمال الاقتصادية لم تكن معروفة في الماضي، مما يوجب دراستها وبيان التخريج

الفقهي الملحق لها بنوع المال الذي ورد في النص، وبالتالي: مقدار زكاة نصاب زكاتها والأحكام المتعلقة بذلك[١].

مفهوم الزكاة وشمولها

إن الفهم العام للزكاة بأنها الركن الثالث من أركان الإسلام، فلذا يجب علينا تحديد معنى الزكاة لغةً، إذ يفيد لفظ الزكاة معنى النماء والزيادة، فأصل (الزكاة): من زكى الشيء، إذا نما وزاد وفي لسان العرب فإن الزكاة تعني الطهارة والنماء والبركة، ولقد وردت هذه المعاني في القرآن والسنة النبوية، وأما المفهوم المرتبط بالمال على وفق المدلول الشرعي فيوضحه ابن قدامة بقوله: (الزكاة من الزكاء والنماء والزيادة) سميت بذلك لأنها تثمر المال وتنميه، يقال: زكا الزرع إذا كثر ريعه، وزكت النفقة إذا بورك فيها، وهي في الشريعة: حق يجب في المال، فعند إطلاق لفظها في موارد الشريعة ينصرف إلى ذلك[٢].

ومن الألفاظ الدالة على الزكاة على وفق المفهوم الشرعي لفظة (الصدقة)، ولتداخل المعنى بين لفظي الصدقة والزكاة، حدد الإمام الماوردي معنى تطابق اللفظين، فيقول: (الصدقة: زكاة، والزكاة: صدقة، ويفترق الاسم، ويتفق المسمى، ولا يجب على المسلم في ماله حق سواها)[٣].

---

(١) محمد بن عبد الله الشيباني، آراء وتأملات في فقه الزكاة (1)، مجلة البيان، العدد (110)، شوال 1417هـ-1997م، تصدر عن المنتدى الإسلامي/ ص32.

(٢) ابن قدامة المقدسي، المغني، ج2/ ص572.

(٣) أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي (ت 450هـ)، الأحكام السلطانية، دار الفكر بيروت، لبنان سنة 1422هـ-2002م/ ص113.

ويؤكد هذا المفهوم (ورود لفظ الصدقة بمعنى الزكاة) ما جاء في القرآن الكريم من آيات الصدقة، وقصد بها الزكاة، كما في قوله تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [سورة التوبة/ الآية 103]، وقوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [سورة التوبة/ الآية 58].

لكن العرف صرف معنى الصدقة، فأصبحت عنواناً على التطوع، وما تجود به النفس على المتسولين وغيرهم، وأصبح لا يدرك مدلول الآيات القرآنية لدى عامة الناس عند تلاوتها، إذ ارتبط مفهوم الصدقة بالتطوع لا بالإلزام والوجوب.وقد أشار ابن كثير

إلى قوله تعالى ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [سورة التوبة/ الآية 103]، (أي أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يأخذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وهذا عام وإنْ عاد بعضهم الضمير في أموالهم إلى (الآية التي قبلها) وهم الذين اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً وآخر سيئاً، ولهذا اعتقد بعض مانعي الزكاة أن دفع الزكاة إلى الإمام لا يكون لأنه كان خاصاً بالرسول ﷺ واحتجوا بقوله (خذ من أموالهم صدقة) وقد رد عليهم هذا الفهم الصادق أبو بكر الصديق وسائر الصحابة (رضوان الله عليهم) وقاتلوهم حتى أدوا الزكاة كما كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ حتى قال الصديق (والله لو منعوني عناقاً وفي رواية عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها)[١]، وقوله (وصلّ عليهم) أي ادع لهم واستغفر لهم ... والله سميع عليم، يقول ابن عباس أي سميع لدعائك و(عليم) بمن يستحق ذلك منك ومن هو أهل له)[٢]. ويشير السعدي في تفسيره لهذه الآية بشكل أوضح وأدق فيقول: (قال تعالى لرسوله ومن قام مقامه آمراً له بما يطهر المؤمنين ويتمم إيمانهم: (خذ من أموالهم صدقة): وهي الزكاة المفروضة، (تطهرهم وتزكيهم بها)، أي تطهرهم من الأخلاق الرذيلة (وتزكيهم) أي تنميهم وتزيد من أخلاقهم الحسنة وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي، وتنمي أموالهم. (وصلِّ عليهم)، أي: ادع لهم، أي للمؤمنين عموماً

---

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتلهم، باب قتل من أبى قبول الفرائض، حديث رقم (6413).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ج2/ ص101.

وخصوصاً حينما يدفعون إليك زكاة أموالهم. (إن صلاتك سكن لهم) أي طمأنينة لقلوبهم واستبشار لهم (والله سميع): لدعائك سمع إجابة وقبول. (عليم بأحوال العباد ونياتهم، فيجازي كل عمل بعمله وعلى قدر نيته)(١).

إن ارتباط الزكاة بالعقيدة وكونها جزءاً أساساً لا يكتمل الإيمان إلا بها ... يدل على ما ورد من آيات عن الزكاة في العهد المكي، إذ لم تتكون بعد الدولة الإسلامية، ولم تتحدد أنواع الأموال والمقادير الواجب إخراجها، إنما كانت الإشارة إلى الزكاة في هذه الفترة لأنها جزء من الاعتقاد، مما يوضح ويؤكد مدى التلازم بين الإيمان بالله وإخلاص العبودية له، وبين الالتزام تجاه الجماعة المسلمة في الحياة الدنيا، ففي سورة الأعراف

أشار القرآن إلى هذه الحقيقة في قوله تعالى ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 156].

يتبين لنا أن هذه الآية جاءت في سياق الحديث عن بني إسرائيل وطلب موسى عليه السلام المغفرة من ربه، فكانت الإجابة بنفيها لأسباب من أهمها: إن المغفرة لا تعطى إلا لمن اتقى وآتى الزكاة، فغضب الله يحيق بأولئك الذين لا يعطون حق الله في أموالهم التي منحهم الله إياها، وهذا الارتباط بين الإيمان القلبي، والسلوك المادي، تؤكده سورة مريم حكاية عن عيسى عليه السلام في قوله ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [سورة مريم/ الآية 31]، وفي السورة نفسها حينما مدح الله نبيه ورسوله إسماعيل عليه السلام أشار إلى هذه الحقيقة بقوله ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [سورة مريم/ الآية 55]، وغير ذلك من الآيات التي تتحدث عن الزكاة في العهد المكي، والتي توضح أن الزكاة جزء أساس لاستكمال حقيقة الإيمان.

إن رسالة الإسلام هي إيجاد المجتمع المؤمن الذي يرعى أغنياءه وفقراءه، وتربية للفئة المؤمنة التي التحقت بالركب الإسلامي في مكة، بأن عقيدة الإسلام وهي الأعمال الظاهرة لا تفصل واقع الحياة عن العقيدة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان/ ص390-391.

وإن التكافل الاجتماعي أحد المقومات الأساسية للمجتمع الذي يريده الإسلام، كما أنه تأكيد للأجيال المسلمة ممن يدخل الإسلام بعد تكوين دولته، وقيام السلطة المسؤولة عن تنفيذ أحكام الله ، إذ إن الإسلام دين لا يؤدي دوره الفاعل في الحياة الإنسانية إذا لم يقم المال بدوره في تحقيق الحياة الآمنة المستقرة.

إن آيات القرآن الكريم التي نزلت في المدينة أعلنت بكل وضوح وجوب الزكاة في سورة البقرة جاءَ أمرُ الوجوب في قوله تعالى﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[سورة البقرة/ الآية 110] بعد الإشارة إلى الرغبة لدى أهل الكتاب في صرف المسلمين عن الإيمان في قوله تعالى﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾[سورة البقرة/ الآية 109]، وكأن الله ينبه المؤمنين بهذا التعقيب القرآني على أن الإيمان الذي يرغب الكفار في صرف المسلمين عنه تتمثل مظاهره في الصلاة والزكاة، فترك واحدة من هاتين العبادتين تحقيق لأُمنية الكافرين، كما نجد هذا المفهوم يظهر أكثر وضوحاً عند تحديد الإطار التنظيمي لجماعة الأمة المسلمة، بأنها تلك الجماعة الملتزمة بأداء الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن المشركين لا يمكن دخولهم تحت حظيرة الجماعة المسلمة الا إذا أدوا هاتين الشعيريتين، ويحدد في سورة التوبة أن الزكاة جزء من إطار العلاقة التي تبنى عليها الجماعة المسلمة، والتي تتميز عن بقية الجماعات والكيانات بقوله تعالى ﴿ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[سورة التوبة/ الآية 5] يتبين لنا في هذهِ الآية أنه حدد مفهوم الأخوة الإسلامية ودائرة بنائها، ومَنْ له الحق بالانتماء إليها ممن لا يكون منها، وذلك حينما تحدث عن المشركين وعهودهم وما تضمره قلوبهم وأن شرط دخولهم في الجماعة المسلمة هو إقامتهم هاتين الشعيريتين الكبيرتين في الإسلام، ويشير الطبري في معنى هذهِ الآية مبيناً توبة المشركين بقوله: فإن رجعوا عما نهاهم الله عنه من الشرك بالله واتخاذ الأنداد والآلهة وجحد نبوة محمد ﷺ إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له والإقرار بنبوة محمد

ﷺ وأدوا ما فرض الله عليهم من الصلاة بحدودها وأعطوا زكاة أموالهم التي أوجبها الله عليهم فدعوهم يتصرفون في أمصاركم وأن الله يتوب على من رجع إليه سبحانه وأناب(١).

وتتضح لنا مما سبق ذكره أهمية الزكاة ومهمتها في المجتمع الإسلامي، وأما تعطيل الزكاة والتهرب منها ومن أدائها فستكون علامة من علامات الانحراف في المجتمع المسلم، وبروز النفاق، ويؤكد القرآن هذا المفهوم مميزاً بين المؤمنين والمنافقين قال تعالى ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ

وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: الآية 71].

أما المنافقون فيصفهم رب العزة أنهم أولئك القابضون على أيديهم، فهم لا ينفقون، مُخالفين لكل ما فيه خير وصلاح يقول تعالى ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [سورة التوبة/ الآية 67]. فالزكاة تجب على كل مسلم بالغ عاقل، حُر، مالك نصاب الزكاة وهي العبادة المالية الاجتماعية المهمة وهي الفريضة الثانية وقد قرنها القرآن بالصلاة في عشرات المواضع، وذكرها تارة بلفظ الزكاة، وتارة بلفظ النفقة وقد وصف الله بها المتقين في مطلع سورة البقرة فقال: ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة البقرة/ الآية 3-5]، وفي معناها البسيط- معرفة الفقير بجزء من المال وهي عبادة قديمة عُرفت في الرسالات

---

(١) تفسير الطبري ج1: ص77-78.

السماوية السابقة، وذكرها الله في وصاياه لرسله إلى أممهم فيقول عن الخليل إبراهيم عليه السلام وولده إسحاق ويعقوب ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[سورة الأنبياء/ الآية 73]، ويمتدح إسماعيل فيقول ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[سورة مريم/ الآية 55]، وما كان لهذهِ الديانات لتنسى هذا الجانب الخلقي من رسالتها: وهو جانب البر بالفقراء والإحسان بالمساكين)[1].

ويشير ابن القيم إلى تفاوت الناس في الزكاة فيقول (إنه فاوت بين مقادير الواجب بحسب سعي أرباب الأموال في تحصيلها وسهولة ذلك ومشقته فأوجب الخمس فيما صادفه الإنسان مجموعاً محصلاً من الأموال وهو الركاز ولم يعتبر له حولاً بل أوجب فيه الخمس متى ظفر به، وأوجب نصفه وهو العشر فيما كانت مشقة تحصيله

وتعبه وكلفته فوق ذلك، وذلك في الثمار والزروع التي يباشر حرث أرضها وسقيها وبذورها ويتولى الله سقيها من عنده بلا كلفة من العبد ولا شراء ماء ولا إثارة بئر ودولاب، وأوجب نصف العشر فيما تولى العبد سقيه بالكلفة والدوالي والنواضح..) [2] إلى غير ذلك، وهذا يبين حكمة الشارع الحكيم في تعيين فروض الزكاة، وهذه الزكاة تؤدي بالمسلم إلى حقيقة عبوديته لله والخوف منه حين يؤديها، لانه من لم يؤدها فإنه يحصل له الإثم في الدنيا والعقاب والنكال والمؤاخذة في الآخرة. والزكاة هي طهارة للمجتمع كله -أغنياؤه وفقراؤه- وتركها من عوامل الهدم والتفرقة والصراع والفتن الهوج ولعل هذا كل ماتهدي إليه الآية ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾[التوبة: 103] ثم هي طهارة للمال فإن تعلق حق الغير بالمال يجعله ملوثاً لا يطهر إلا بإخراجه منها وكذلك الدرهم الذي أستحقه الفقير في المال رهن بتلويثه كله، فعن

---

(1) يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام/ ص248-250.

(2) زاد المعاد ج2: ص6-7.

جابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: *(إذا أديت زكاة مالك فقد أذهبت عنك شرهُ)*(١).

فالمال مال الله ﷻ وقد استخلف تعالى عباده فيه ليرى كيف يعملون ثم هو سائلهم إذا قدموا بين يديه: من اين جمعوه وفيما أنفقوه، فمن جمعه من حلال وأحسن الاستخلاف فيه، فصرفه في طاعة الله وطلب مرضاته ثم على حسن تصرفه وكان ذلك من أسباب سعادته ومن جمعه من حرام أو أساء الاستخلاف فيه، فصرفه فيما لا يحل عوقب، وكان ذلك من أسباب شقاوته إلا أن يتغمده الله برحمة منه، كما في الحديث عن عبدالله بن مسعود ﷺ عن النبيﷺ قال: ***((لا تزول قدم ابن آدم حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وماذا عمل فيما علم))***(٢).

ومن هنا كان لزاماً على العبد إن أراد فلاحاً أن يراعي محبوب الله في ماله، بحيث يوطن نفسه على الا يرى من وجه رغب الإسلام في الإنفاق فيه إلا بادر بقدر

إستطاعته ولا يرى من طريق حرم الإسلام النفقة فيه إلا توقف وأمتنع، وإن من أعظم ما شرع الله النفقة فيه وحث عباده على أجرة الصدقة وتطلق على الفرض والنفل إلا أنها في الشرع جاء بلفظ الزكاة في الفرض ولفظ الصدقة في النفل) (٣) والتي شرعت لغرضين جليلين:

الأول: سد خُلة المسلمين وحاجتهم.

الثاني: معونة الإسلام وتأييده(٤).

فضائل الزكاة وآثارها

---

(١) محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي، النيسابوري (ت 311) صحيح بن خزيمة، المكتب الإسلامي بيروت 1390هـ-1970م/ كتاب الزكاة، باب ذكر الدليل على أن لا واجب في الزكاة حديث رقم (2258).

(٢) أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، حديث رقم (2340).

(٣) الراغب الاصفهاني، المفردات/ ص480.

(٤) الطبري، جامع البيان ج10: ص163.

جاءت الكثير من النصوص والآثار تبين فضائل هذهِ العبادة الجليلة وآثارها ومن أبرزها:

1- علو شأنها ورفعة منزلة صاحبها:- الصدقة من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله عز وجل كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: ((***من أفضل العمل: إدخال السرور على المؤمن: يقضي عنه ديناً، يقضي له حاجة، ينفس له كربة***))[1] وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه **(إن الأعمال تتباهى فتقول الصدقة: أنا أفضلكم)** [2].

2- وقايتها للمتصدق من البلايا والكروب:- إن البلاء لا يتخطى الصدقة ودلت على ذلك النصوص وثبت ذلك بالواقع والتجربة كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ ((***وفعل المعروف يقي مصارع السوء***))[3] وحديث رافع بن خديج مرفوعاً: ((***الصدقة تسد سبعين باباً من السوء***))[4] وهذا يدلل على استحباب الصدقة عند المخاوف لاستدفاع البلاء المحذور)[5].

3- عظم أجرها ومضاعفة ثوابها:- يربي الصدقات، ويضاعف لأصحابها المثوبات ويعلي الدرجات قال تعالى ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [سورة الحديد/ الآية 18]، وقوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [سورة البقرة/ الآية 245].

4- إطفاؤها الخطايا وتكفيرها الذنوب:- جعل الله الصدقة سبباً لغفران الذنوب وإذهابها للسيئات ودلَّ عليها القرآن والسنة فمنها: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ [سورة هود/ الآية 114] وكونها سبباً لدخول الجنة ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾

---

(1) البيهقي، شعب الايمان ج6: ص123، حديث رقم 7679.

(2) رواه ابن خزيمة، صحيح بن خزيمة ج4: ص95، حديث رقم (2433).

(3) البيهقي، شعب الايمان ج3: ص244، حديث رقم (3442).

(4) أخرجه البخاري، صحيح البخاري (1044).

(5) ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام/ ج2: ص141.

[سورة آل عمران/ الآية 133-134]، وكما في حديث حذيفة بن اليمانﷺ عن النبي ﷺ وفيه **(فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والمعروف)**(١).

5- مباركتها للمال وزيادتها الرزق:- تحفظ الصدقة المال من الآفات والمهلكات والمفاسد وتحل فيه البركة في إخلاف الله لصاحبها على ماهو أنفع له وأكثر وأطيب، قال تعالى ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سورة سبأ/ الآية 39] أشار ابن عاشور في تفسيره: للترغيب والوعد بزيادة أن ما يخلفه أفضل مما أنفقه المنفق)(٢).

6- إنها دليل صدق الإيمان وقوة اليقين وحسن الظن برب العالمين:- المال ميل بالقلوب عن الله لأن النفوس جبلت على حبه والشح به، فإذا سمحت النفس بالتصدق به وإنفاقه في مرضاة الله ﷻ كان ذلك برهاناً على صحة إيمان العبد وتصديقه بموعود الله ووعيده، وعظيم محبته له إذا قدم رضاه سبحانه على المال الذي فُطر على حبه (٣)، ويدل هذا كما في حديث أبي مالك الأشعري عن النبي ﷺ: ((**.*والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها*))**(٤)، أنها دليل على إيمان فاعلها، فأن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقدها، فمن تصدق إستدل بصدقته على صدق إيمانه)(٥).

7- تخليتها النفس من الرذائل وتحليتها لها بالفضائل:- تطهر الصدقة النفس من الرذائل وتُنَقِيها من الآفات، وتقيها من كثير من دواعي الشيطان ورجسه، ومن ذلك: أنها تبعد العبد من صفة البخل وتخلصه من داء الشح قال تعالى ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحشر/ الآية 9]، ويذهب عنها داء العُجب والكِبر كما دعا النبي ﷺ على صاحبها بالتعاسة والنكاسة بقوله (***تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم***

---

(١) أخرجه البخاري صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة تكفر الخطيئة، حديث رقم (1345).

(٢) التحرير والتنوير ج12: ص220.

(٣) القرطبي، جامع البيان ج8: ص249.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، حديث رقم (328).

(٥) النووي، شرح النووي لصحيح مسلم، ج3: ص101.

تعس وإنتكس))[1] وفي المقابل تهذب النفس وتزكيها على معالي الأخلاق وفضائلها ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً . . ﴾ [سورة التوبة/ الآية 103]، وغير ذلك كثير لا يسع المجال لذكره.

المطلب الخامس: الركن الخامس: الحج

تُعد العبادات من أعظم ما يتقرب به إلى الله تعالى، ومن أيسر وأوسع وأجلُّ الطاعات التي ينال بها العبد محبة الله ﷻ ومرضاته إذ روي عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ((***إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب الـيَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضتُ عليه وما يزال عبدي يتقرب الـيَّ بالنوافل حتى أحبه..***))[2] وتتجلى أهمية العبادات وعظمتها في ارتباطها بحياة المسلمين زماناً ومكاناً وأشخاصاً فهي لم تنتزع من كيانهم يوماً ما، كما أنها لم تغب عن حياتهم برغم ما عرفته الأمة الإسلامية من أزمات قاسية، وفترات جهل عصيبة، وتخلف فكري حاد، وركود اقتصادي مُضْنٍ وتبعية وتمزق كبيرين من قبل الأعداء.

وليس هذا غريباً على أمة يحمل تابعوها دينهم في قلوبهم ويعتقدون فيه الخلاص لمشكلاتهم، مهما حصل الانحراف، ومهما تقهقرت النفوس إلى الوراء ومهما أثرت الغفلة. وقد سبق للرسول ﷺ أن أخبر بحصول مثل هذهِ الفتن للأمة، تظهر على شكل هزات تُصدِعْ أركان أصحاب الدين، وتطيح بشرائعه من واقع الناس، لكن تبقى العبادات الركن الأقوى من آخر ما ينتقض منها، فعن أبي أمامة الباهلي ﷺ عن رسول الله ﷺ قال

((***لُيَنقضنَّ عرى الإسلام عروة عروة فكلما إنتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها وأولهن نقضاً الحكم وأخرهن الصلاة***))[3].

---

(1) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، حديث رقم (2673).

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب التواضع، حديث رقم (6021).

(3) رواه أحمد في مسنده، كتاب مسند الأنصار، باب حديث أبي أمامة الباهلي العَدَوي حديث رقم (21139).

وليتحقق الأثر الذي تولده العبادات، سواء الإيمانية منها أو الأخلاقية أو الاجتماعية، لذا يجب أن يؤديها العبد بذاته وصفته، ليحيا في رحابها بنفسه، ويستشعر في أثنائها قدرة الخالق وجلاله وعظمته، ويتذوق حلاوة معانيها مع كل حركة أو كلمة أو خطوة أو نفقة.

هكذا أراد الخالق للعبادات أن تكون، تباشر بالذات، وتسكب فيها العبرات، وتشد إليها الرحال، والعبادة كما هو معلوم-أنواع-منها ماهو مالي محض كالزكاة، ومنها ماهو بدني كالصلاة والصيام، ومنها ماهو قولي وقلبي مثل شهادة التوحيد التي تذكر باللسان ويُقرُ بها بالقلب ومنها ما يجمع كل ذلك كالحج.

منذ أن أمر الله خليله إبراهيم عليه السلام أن يهتف بالناس داعياً إلى حج البيت. تتواصل جموع الحجيج من البشر جيلاً بعد جيل شاهدة على دعوة الأنبياء بالصدق وملبية نداء الله عز وجل إنها لمناسبة جليلة وإنه لموسم عظيم أن يقف عشرات الألوف من المسلمين من شتى البلدان والأصقاع على صعيد واحد على هذهِ الأرض المباركة التي جعلها الله قبلة للعالمين[1].

فالحج ركن من أركان الإسلام الخمسة، عبادة مقصدها الامتثال لله ولأوامره والوفاء بحقه تعالى، وهو شحنة تربوية كبيرة يتزود بها المسلم لتحقيق الخشية، واستنفار مشاعر الأخوة، وإيقاظ شعلة الحماسة الدينية والغيرة على حرمات الله والعزم على الطاعة، والندم على المعصية وحب لله ورسوله.

وهو فريضة تدريب على السلام لأنه رحلة سلام في شهر سلام إلى أرض سلام، وتدريب على المساواة والوحدة، فلا عنصرية ولا شتات، بل وحدة في المشاعر والشعائر وفي القول والعمل.

أجمع العلماء على أن فريضة الحج تجب مرة في العمر لمن إستطاع إليه سبيلاً لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [سورة آل عمران/ الآية 97] ولحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ***(يأأيها الناس قد فرض عليكم***

([1]) (وأذن في الناس بالحج)، (إفتتاحية المجلة)، مجلة البيان، العدد السابع، ذو الحجة 1407هـ، أغسطس 1987م/ ص4.

الحج فحجوا) **فقال رجل: أكل عام يارسول الله، حتى قالها ثلاثاً فقال النبي ﷺ** ***(لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم..)***[١].

والحج من أوضح عبادات الإسلام التي يتجلى فيها اتباع النبي ﷺ والتأسي به، والملحوظ في واقع الناس اليوم سيطرة الحديث عن الأحكام وانشغالهم بتعدد الأخطاء التي بكثرة أخطاء الناس يقعون فيه تقليداً وما يصح به النسك أو يبطل، ومع أهمية هذا الجانب وضرورته نتيجة تفشي الجهل ودوران صحة العمل أو بطلانه على ذلك، إلا أنه أدى إلى نسيان الكثير من جوانب التأسي بالنبي ﷺ، وإغفال أعداد غفيرة من الحجيج لمعانٍ كثيرة راعاها في أثناء أدائه لنسكه.

ثم إن الحج مظهر من مظاهر وحدة المسلمين، وفيه تذكير بالحشر يوم المعاد، مع ما فيه من التمرين على الصبر والمصابرة وجهاد النفس، والجهاد لمواجهة الأعداء، بل هو من أفضل الأعمال، يقول الرسول ﷺ حينما سُئل عن أي الأعمال أفضل فقال: ***(إيمان بالله وجهاد في سبيل الله وحج مبرور)***[٢]. وعن عائشة رضي الله عنها قالت يارسول الله تُرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد قال ***(لا لكن الجهاد حج مبرور)***[٣].

فيتضح لنا من ذلك أن الحج شعيرة لها أركانها وواجباتها وشروطها، فما أحوجنا إلى تفهم حكمتها ومعرفة حدودها والاستفادة القصوى منها، وأنها فرصة لتجديد العهد مع الله وحسبنا الوعد الإلهي لمن أحسنها وأتقنها بأركانها وشروطها أن يكون جزاؤه الجنة لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (***(العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة)***)[٤].

وفي ظل هذا الغياب أصبح المرء يرى في الحج الكثير من المظاهر التي يقع فيها كثير من طلبة العلم الحريصين على تطبيق السنة فضلاً عن غيرهم، وهي غير

([١]) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، حديث رقم (2380)؛ وأحمد في كتاب باقي مسند المكثرين حديث رقم (10199).

([٢]) رواه أحمد، مسند أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار، باب حديث الشفاء بنت عبدالله، حديث رقم (25846).

([٣]) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضل الجهاد والسير، حديث رقم (2576).

([٤]) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها، حديث رقم (1650).

متفقة مع هديهِ ﷺ، ولذا جاءت هذهِ المقالة لتحاول إعطاء توصيف أشمل وصـــورة أدق عن أحواله ﷺ في الحج لعل في ذلك مزيد عون للمتأسين به ﷺ، والسائرين على نهجه. ونظراً لكثرة الحديث عن صفة نسكه ﷺ، ورغبة في تقريب الموضوع ولم شتاته للقاريء فسيكون في ثلاثة محاور رئيسة وهي: [١]

الأول: أحوال النبي ﷺ مع ربه في الحج.

الثاني: أحوال النبي ﷺ مع أمته في الحج.

الثالث: أحوال النبي ﷺ مع أهله في الحج.

الأول: أحوال النبي ﷺ مع ربه في الحج:-

لم يشغل النبي ﷺ تعليم الحجيج وقيادتهم والعناية بأهل بيته ورعاية زوجاته، عن الصلة بربه والانكسار بين يديه والتضرع له سبحانه وقد أخذ صوراً وأشكالاً شتى من أبرزها:-

1 - **تحقيق التوحيد والعناية به:** ويتجلى هذا التحقيق من خلال أعماله ﷺ في الحج ومن ذلك التلبية وهو شعار الحج الذي تضمن إفراد الله وحده لا شريك له بالعمل، وكان ذكره ﷺ في جميع مناسك الحج، كما في حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) **(إن تلبية رسول الله ﷺ لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك)**[٢]، ومنها عنايتهُ ﷺ بإخلاص العمل وسؤاله ربه أن يجنبه الرياء والسمعة كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً قوله **(اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة)** [٣]، و منها دعاؤهُ ﷺ كما في حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال **(فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى**

2 - **أى البيت، فأستقبل القبلة فوحَّدَ الله وكَبَّره، وقال: لا إله إلا الله وحده.. قال مثل هذا ثلاث مرات.. حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا..)** [٤].

---

(١) فيصل بن علي البعداني (أحوال النبي ﷺ في الحج)، مجلة البيان، العدد (160)، ذو الحجة (1421هـ) صادرة عن المنتدى الإسلامي/ ص12.

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب التلبية، حديث رقم (1448).

(٣) رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الحج على الرحل، حديث رقم (2890).

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، حديث رقم (1218).

أى البيت، فأستقبل القبلة فوحَّدَ الله وكَبَّره، وقال: لا إله إلا الله وحده.. قال مثل هذا ثلاث مرات.. حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا..) [١].

2- إظهار البراءة من المشركين وتعمد مخالفتهم: وذلك يظهر جلياً على حرص النبي ﷺ على مخالفة المشركين، والسير على سنة أبينا إبراهيم عليه السلام في كثير من شعائر الحج وأحكامه، ووصل الأمر غايته حين تبرأ النبي ﷺ من أعمال المشركين في خطبته يوم عرفة، وأخبر أن كل شيء من أمر الجاهلية فهو موضوع تحت قدميه، وقد كان المشركون يرددونها وكان النبي ﷺ يخالفهم فيها مثل التلبية إذ كانوا يقولون فيها: ألا شريكاً لك تملكه وما ملك، فأخلص النبي ﷺ فيها التوحيد ونبذ الشرك وتبرأ منه.

3- كثرة التضرع والمناجاة والدعاء: والدعاء كما هو معلوم منزلة رفيعة في عبودية العبد لربهِ إذ هو: (إظهار غاية التذلل والافتقار إلى الله والاستكانة له) ولذا قال النبي ﷺ عن النعمان بن بشير في تفسيره قوله تعالى ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[سورة غافر:الآية60] قال: **(الدعاء هو العبادة)** [٢]، وقد كان للنبي ﷺ أوفر الحظ والنصيب، فقد دعا ربه في الطواف[٣]، وعند الوقوف، وعلى الصفا والمروة وأطال في الدعاء يوم عرفة وهو على ناقته رافعاً يديه إلى صدره كأستطعام المسكين، منذ أن استقر في مقامه الذي وقف فيه بعد الصلاة إلى أن غربت الشمس، وفي مزدلفة في المشعر الحرام، منذ أن صلى الفجر إلى أن أسفر جداً قبل أن تطلع الشمس [٤]، وفي أيام التشريق بعد رمي ا لجمرتين الاولبين كان يستقبل القبله ويقوم طويلا يدعو ويرفع يديه (4) وكما في حديث

---

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، حديث رقم (1218).

(٢) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة البقرة، حديث رقم (2969).

(٣) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الحج من رسول الله، باب ما جاء في الكلام في الطواف، حديث رقم (883).

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، حديث رقم (1218).

عائشة (رضي الله عنها) أن النبي ﷺ: قال ***(إنما جعل الطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله)***[١].

4- الخشوع والسكينة: يدرك حضور القلب وخشوعه بسكون الجوارح ووقارها وخضوعها، إذ الظاهر عنوان الباطن[٢]، وقد جمع النبي ﷺ في حجة بين الأمرين فكان حاضر القلب غير متشاغل بشيء عن نسكه، خاضعاً لربه مكثراً من التضرع والمناجاة، ذليلاً ومنكسراً بين يدي مولاه، يسير سيراً ليناً بسكينة ووقار ويؤدي نسكه بتؤدة وإطمئنان يدل على ذلك حديث جابر ﷺ قال: أفاض رسول الله ﷺ وعليه السكينة) [٣]، وفي حديث ابن عباس يوم عرفة: **(إنه ﷺ سمع وراءه زجراً شديداً وضرباً وصوتاً شديداً للإبل فأشار بسوطه إليهم وقال: أيها الناس: عليكم بالسكينة فإن البر ليس بالإيضاح)**[٤].

5- حث الله عبادهُ على التزود من التقوى والتسابق بالخيرات ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [سورة البقرة/ الآية 197]،وقد كان هديه ﷺ **و** ديدنه فيه، ومن ذلك المجيء بمستحبات النسك كالاغتسال للإحرام[٥]، والتطيب عند الإهلال به وعند الخروج منه [٦]،

([١]) رواه أحمد، مسند أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار، باب باقي مسند الأنصار، حديث رقم (23929).

([٢]) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ج2: ص264.

([٣]) أخرجه النسائي، سنن النسائي، كتاب مناسك الحج، باب الأمر بالسكينة في الإفاضة من عرفة، حديث رقم (2971).

([٤]) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب أمر النبي بالسكينة عند الإفاضة وإشارته إليهم، حديث رقم (1559).

([٥]) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة البقرة، حديث رقم (2890).

([٦]) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب أمر النبي بالسكينة، عند الإفاضة وإشارته إليهم، حديث رقم (1559).

والإكثار من التلبية والجهر بها حتى رمي جمرة العقبة [١]، والذكر عند استلام الركنين ورمي الجمار [٢]، وبدء البيت بالطواف [٣] والرمل فيه [٤]، وغيرها من السنن.

6- **التوازن والاعتدال:** إن خير ما تجلى من خُلُقِهِ ﷺ في الحج هو التوازن، وكراهية الإفراط والتفريط ومنها: [٥]

أ - اعتداله ﷺ وموازنته بين العناية بنفسه من جهة ومن خلال قوة صلته بربه من جهة، وبين التعليم لامته وقيادتها، والحنو على أهل بيته من جهة أخرى.

ب - اعتداله ﷺ وموازنته بين كل من حقوق روحه وجسده، إذ في ذلك الجو الإيماني المهيب الذي قد يدفع الكثيرين إلى التفريط في حق الجسد والإفراط في حق الروح، فنجده ﷺ معتنياً بجسده غاية العناية، إذ صعد يوم التروية إلى منى ليقرب من عرفة، ونام ليلة عرفة ومزدلفة، وأفطر يوم عرفه، وركب في تنقلاته بين المشاعر [٦].

الثاني: أحوال النبي ﷺ مع أمته في الحج:-

لقد كان رسول الله ﷺ أمره عجب وعجابُ، إذ قام بتعليم الناس وقيادتهم في آنٍ واحد، وكانت كل أحواله ﷺ التي قام بها مع أمته دال على عظمته وعلو مكانته ومرتبته في نفوس أصحابه (رضوان الله عليهم) ولعل من أبرز أعماله ووظائفه مع أمته في الحج هي:-

1- **التعليم:** بعث الله رسول الله ﷺ أنه كان معلماً ميسراً لحديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه **(.... قال لا تسألني إمرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني معنتاً ولا متعنتاً ولكن بعثني معلمًا ميسراً)** [٧]، فشهد له الناس بأنه ما رأى الخلق (معلماً أحسن تعليماً منه) [٨]،

([١]) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الركوب والارتداف في الحج، حديث رقم (1443).

([٢]) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب أمر النبي بالسكينة عند الإفاضة، حديث رقم (1559).

([٣]) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله، باب ومن سورة البقرة، حديث رقم (2891).

([٤]) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب الرمل في الطواف، حديث رقم (221).

([٥]) فيصل بن علي البعداني، (أحوال النبي ﷺ في الحج، مجلة البيان، العدد (160)، ذو الحجة 1421هـ-2001م/ ص12.

([٦]) المصدر السابق، أحوال النبي ﷺ في الحج/ ص12.

([٧]) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب طلاق الثلاث، حديث رقم (1478).

منه)[1]، ومن تأمل حجه ﷺ أنه هو ذلك المعلم الموصوف بعينه، إذ أمر ﷺ أن يؤذن قبل الحج في الناس، بأنه ﷺ يريد الحج، فقد ناس كثير يريد الإتمام به والأخذ عنه.

وحرص ﷺ على البلاغ وإقامة الحجة على الخلق فحفزهم على التعلم، وشحذ هممهم وشد انتباههم إلى ما يقول ويفعل بتنويع أساليب الخطاب وطرق التعليم، وأمره لهم بأخذ المناسك عنه لإحتمال أن تكون حجته الأخيرة عن جابر رضي الله عنه **(رأيت النبي ﷺ**

يرمي على راحلته يوم النحر ويقول لتأخذوا عني مناسككم , فاني لاأدري لعلي لاأحج بعد حجتي هذهِ)[2]، ومطالبته إياهم بالشهادة له بالبلاغ، إذ مراراً ما خاطبهم بعد أن يتم **يرمي على راحلته يوم النحر ويقول لتأخذوا عني مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج** تعليمهم قائلاً **((ألا هل بلغت))**[3] فيشهد الناس له بذلك قائلين: **(نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت)**[4]، ولم يقتصر ﷺ على البلاغ والتعليم بنفسه، بل اتخذ من يبلغ عنه وأرسل الرسل لذلك.

وأبرز الأمور التي أهتم النبي ﷺ بتعليم الناس إياها هي أحكام المناسك التي جمع فيها بين البيان والتطبيق العملي، ومن ذلك بيان منزلة أركان الإسلام العظام كما في حديث أبي أمامة يقول سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع فقال ***((اعبدوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا ذا أمركم تدخلوا جنة ربكم))***[5].

2- الإفتاء: وكان هذا هو جُلَّ عمل النبيﷺ في تعليمه للناس والإجابة عن استفساراتهم وتبين المشكل من الأحكام كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه قال : **(جاءت**

---

(1) رواه أحمد، مسند أحمد، كتاب باقي مسند الانصار، باب حديث معاوية بن الحكم السلمي حديث رقم (22644).

(2) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب ولتأخذوا مناسككم، حديث رقم (1297).

(3) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الخطبة أيام منى، حديث رقم (1625).

(4) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، حديث رقم (2137)؛ وابن ماجه في سننه، كتاب المناسك، باب حجة رسول الله حديث رقم (3065).

(5) رواه أحمد، مسند أحمد، كتاب في مسند الأنصار، باب حديث أبي أمامة الباهلي، حديث رقم (559).

امرأة من خثعم عام حجة الوداع قالت يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يستوي على الراحلة فهل يقضي عنه أن أحُجَّ عنه قال نعم)[١] ولا يسأل عن التقديم والتأخير في يوم النحر إلا قال (إفعل ولا حرج)[٢].

ويتبين مما سبق ذكره في إفتائه في موسم الحج أمور من أوضحها: وقوفه ﷺ وبروزه إليهم ليروه ويسألوه، وجنوحه إلى التيسير في فتاويه والتخفيف على ذوي الحاجات. ومنها حرصهُ في فتاويه على إقناع الناس كما في حديث عبدالله بن عباس قال:- **(قال رجل يارسول الله: إن أبي مات ولم يحج أفأحُجُّ عنه قال أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضِيَهُ قال نعم قال فدين الله أحقٌّ)**[٣].

3- **الوعظ:** كان للنبي ﷺ في الوعظ إمام الواعظين، إذ بعثه مبشراً ونذيراً قال تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [سورة الأحزاب/ الآية 45-46]، فأرشد أمته إلى الخير ورغَبها فيه، ونهاها عن الشر، ورهبها منه.

وفي الحج كان للوعظ والتوجيه ميدان فسيح ووجود ظاهر حتى أن النبي ﷺ أعاد التذكير ببعض القواعد والأمور المهمة، من غير ما تكلُف أكثر من مرة، وقد تناول وعظه ﷺ موضوعات عدة، إذ قال ﷺ مبيناً زهده في الدنيا بعرفات قبل الغروب ((***أيها الناس: إنه لم يبق من دنياكم فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه***))[٤]، ومنها كان يأمرهم بالتقوى والترغيب في ترك الفسوق والعصيان كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول: ((***من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه***))[٥]، ومنها التحذير من الغلو كما في حديث ابن عباس أن

---

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب من لا يستطيع الثبوت على الراحلة، حديث رقم (1721).

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الفتيا وهو واقف على الدابة وغيرها، حديث رقم (81).

(٣) أخرجه النسائي، سنن النسائي، كتاب مناسك الحج، باب تشبيه قضاء الحج بقضاء الدين، حديث رقم (2591).

(٤) رواه احمد، مسند أحمد، كتاب مسند المكثرين من الصحابة، باب باقي مسند الأنصار، حديث رقم (5897).

(٥) رواه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، حديث رقم (1424).

النبيﷺ قال: ((**_.... وإياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين_**))[١].

3 - **توحيد الأمة، وتحذيرها من الفتن ودواعي الافتراق:** للحج بما يحمل في طياته من وحدة الأمة في الشعور والمشاعر وتأدية المناسك والتوحيد في الطاعات فرصة سانحة لتوحيد الأمة الإسلامية وتحذيرها من الفتن ودواعي الفرقة، وقد أهتم ﷺ وأولاه عنايته، وتسويته ﷺ بين أفراد الأمة يقول في حديث أبي نضرة **(يأأيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا**

لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى..)[٢] وكان يأمرهم بلزوم جماعة المسلمين والنصح للأئمة كما في حديث جبير بن مطعم عن أبيه عن النبي ﷺ: ((**_..ثلاث لا يُغِلُّ عليهنَّ قلب مؤمن إخلاص العَمَلِ لله والنصيحة لولاة المسلمين ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تُحيط من ورائهم_**))[٣].

5- **التربية على الاتباع وتوحيد مصدر التلقي:** فالحج آية في الانقياد والاتباع ومدرسة في التسليم والاستسلام، ربى النبي ﷺ أصحابه (رضوان الله عليهم) على توحيد متابعته، وغرس في نفوسهم ضرورة التأسي به لحديث مالك بن أنس أنه بلغه **(أن رسول الله ﷺ قال** ((**_تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نَبيِّهِ_**))[٤].

ومن مظاهر تربيته ﷺ في الحج لأصحابه ﷺ المتابعة والاقتصار في الأخذ والتلقي على نصوص الوحي كثيرة فمن أبرزها مطالبته ﷺ الحجيج في مواقف ومواطن عدة خلال الموسم بالتأسي به واتباعه في كل صغيرة وكبيرة وتحفيزهم على

---

(١) أخرجه النسائي، سنن النسائي، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، حديث رقم (3007).

(٢) رواه أحمد، مسند أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار، باب حديث رجل من أصحاب النبي، حديث رقم (22391).

(٣) رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر، حديث رقم (3047).

(٤) رواه مالك، موطأ مالك كتاب الجامع، باب النهي عن القول بالقدر، حديث رقم (1395).

طاعته وتحفيز هممهم بأن تكون هذهِ آخر حجةٍ له إذ قال ﷺ مراراً ((... ***لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذهِ***))(١).

6- القيادة الناجحة والمعاملة الحسنة: إتسم النبيﷺ وجمله الله بمكارم الأخلاق وزينهُ بأحسن الآداب، فأمتلك بسبب ذلك مقومات القيادة الناجحة، وله الأساليب المثلى للمعاملة الحسنة، فاندفعت القلوب إليه، وتدافع عليه الناس حين بلغهم عزمه على الحج كل يريد السير في رعايته وتحت لوائه فحج معه أكثر من مائة ألف إنسان كل يريد أن يأتم به ويعمل مثل عمله(٢) ومن أبرز أعماله التي قاد فيها الجموع الغفيرة من الحجيج وإبراز تعامله الفذ فيها ومن أبرز أخلاقه:

أ- جعلهﷺ للناس قدوة حسنة: حيث ما أمرهم بأمر إلا وكان أسبقهم إليه وما نهاهم عن أمر إلا ونهاهم عنهُ ولان خلق الرسولﷺ كان القرآن(٣) وعاب الله ﷻ على بعض عباده قول الخير والدعوة إليه وترك فعله قال تعالى ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة/ الآية 44].

ب- تواضعه ﷺ مع الناس: وقد يكون التواضع سيد الأخلاق لأنه من أسباب رفعة العبد عند ربه كما قال تعالى ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء/ الآيـة 215]، ولحديث أبي هريرة ﷺ مرفوعاً **(وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)** (٤) ويتجلى خلق التواضع في رسول الله ﷺ في رفضه أن يُخَصَّ بماءٍ لم تُجعَلْ فيه الا يدي وقوله حين عرض عليه ذلك ((***لا حاجة لي فيه إسقوني مما يشرب منه الناس***))(٥)

---

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر، حديث رقم (2286).

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، حديث رقم (2137).

(٣) رواه أحمد، مسند أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار، باب باقي المسند السابق، حديث رقم (24139).

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب إستحباب العفو والتواضع، حديث رقم (4689).

(٥) رواه أحمد، مسند أحمد، كتاب ومن مسند بني هاشم، باب بداية مسند عبدالله بن عباس، حديث رقم (1744).

وكان يردف ﷺ أسامة بن زيد (رضي الله عنهما) من عرفة إلى مزدلفة أمام الخلق وهو من الموالي(١)، فكسب ﷺ بهذا التواضع قلوب الناس وثقتهم، ونال أقصى غايات حبهم لهُﷺ.

ج- رحمته ﷺ بالناس: الإسلام دين الرحمة، وشريعته مبنية على العطف والشفقة في أصولها وفروعها(٢)، ومن المعلوم أنه ﷺ إنما بعث رحمة للعالمين قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية 107]، وكما أخبرﷺ في حديث أبي صالح

قال كان النبي يناديهم ((*يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة*))(٣) ومن جوانب رحمته في في قيادة الناس متجلية وواضحة، وإلزامه ﷺ لمن لم يسق الهدي من أصحابه بالحل الكامل من الاحرام، والذي يتضمن إتيان النساء ولبس الثياب ومس الطيب (٤) رحمة بالأمة وتخفيفاً عنها، وكذلك جمعه ﷺ لصلاتي المغرب والعشاء في عرفات(٥).

د- صبره ﷺ على الناس: جمع رسول اللهﷺ أنواع الصبر الثلاثة في آن واحد، إذ كان أبرَّ أصحابه وأعظمهم صبراً في امتثال الأوامر وفعل القربات حتى يؤديها باطمئنان وإخبات وخشوع بين يدي مولاه، كما كان أتقاهم لله، وأعلمهم به، وأغضبهم له، وأحفظهم لحدوده وأبعدهم عن انتهاك حرماته.

ومن وظائفه كان حريصاً على تحقيق كمال عبوديته لله في التذلل والانكسار والخضوع بين يدي الله، وكان قائداً للناس وراعياً لهم ومسؤولاً عنهم، وكان ﷺ

---

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الركوب والارتداف في الحج، حديث رقم (1443).

(٢) الدكتور عبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت 1376هـ)، الرياض النضرة، دار ابن الجوزي، ط 2 سنة 1425هـ، الرياض/ص61-65.

(٣) رواه الدارمي، سنن الدارمي، كتاب المقدمة، باب كيف كان أول شأن النبي، حديث رقم (15).

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الاحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع، حديث رقم (2127).

(٥) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب الإفاضة من عرفات إلى مزدلفة، حديث رقم (2258).

معلمـــاً ومرشداً ومربياً لهم على الخير، وكان صابراً على الناس وتحمله لمشقة قيادتهم دون ملل أو سخط أو غضب أو تضجر فهذا أمر يبهر العقل، ويكفي هذا التدليل لتصور صبره وإدراك حاله في الموسم، وواقع من حج بهم[١].

أحوال النبي ﷺ مع أهله في الحج:-

لقد كان نبينا محمد ﷺ من أرعى الخلق لأقاربه وأكثرهم إحساناً إلى أهله، فشهد له بذلك القريب والبعيد، والصغير والكبير، فوصفه واصفهم بأنه ﷺ: ***(أبر الناس وأوصل الناس)***[٢]، وكما في حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت **قال رسول الله** ﷺ ***((خيرُكم خيرُكُم لأهله، وأنا خيركم لأهلي))***[٣].

وفي الحج تجلى بره لأهله، وصلته ﷺ لرحمه، وإحسانه لأقاربه في صور شتى ومشاهد مختلفة ومن أبرز هذه الأحوال والصفات هي:-

1- تعليمهم أحكام النسك: كان رسول الله ﷺ يعلم أهل بيته مناسك الحج وأحكامه ليصح تقربهم إلى ربهم، وتصح منهم عبادتهم لحديث أم سلمة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**... ياآل محمد أهلوا بعمرة في حج**) [٤] وكما في حديث عائشة (رضي الله عنها) قوله ﷺ: ***((إقضي ما يقضي الحاج غير أن لا تطوفي***

([١]) فيصل بن علي البعداني، أحوال النبي ﷺ في الحج، مجلة البيان، العدد (160)، صادرة عن المنتدى الإسلامي، ذو الحجة 1421-مارس 2001/ ص12.

([٢]) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ترك إستعمال آل النبي على الصدقة، حديث رقم (1784).

([٣]) رواه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب المناقب عن رسول الله، باب فضل أزواج النبي، حديث رقم (3830).

([٤]) رواه أحمد، مسند أحمد، كتاب باقي مسند الأنصار، باب حديث أم سلمة زوج النبي، حديث رقم (25337).

بالبيت))[١]، ومن رحمته بأهله في حديث ابن عباس ﷺ **(أن النبي ﷺ قدِم ضعفة أهله وقال لا ترموا الجمرة حتى تطلع الشمس)**[٢].

2- الرفق بأهله والتيسير على ضعيفهم وصاحب الحاجة منهم:- فقد كان نبي الله ﷺ في الحج رفيقاً بآل بيته رحيماً بهم يختار الأيسر لهم ويعطف على صاحب الحاجة منهم والشواهد كثيرة، من ذلك: حين أختار الأيسر لزوجاته وكما في حديث حفصة (رضي الله عنها) **(أن النبيﷺ أمر أزواجه أن يحللن عام حجة الوداع)**[٣] وقولهﷺ لضباعة بنت الزبير لما دخل عليها وهي وجعة قال ((***حجي وإشتراطي، وقولي اللهم محلي حيث حبستني***))[٤].

3- إزالة ما عليهم من المنكر: وذلك من خلال حِرص النبيﷺ على تنقية آل بيته (رضوان الله عليهم من المعاصي، وتصفية أعمالهم من المنكرات؛ فكان إذا وقع أحدهم في منكر أنكر عليه وصرفه عنه كما في حديث عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) قال كان الفضل رديف النبيﷺ فجاءت إمرأة من خثعم فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه فجعل النبيﷺ وجه الفضل إلى الشق الآخر..) [٥].

4- تشجيعهم على الخير وحثهم عليه: كان النبيﷺ يحث آل بيته ﷺ على فعل الطاعات ويشجعهم على التزود من الخيرات، ومن ذلك أنه حينما **(أتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم فقال انزعوا بني عبدالمطلب فلولا أن يبلغكم الناس على سقايتكم لنَزَعْتُ معكم..)**[٦].

([١]) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب كيف كان بدء الحيض، حديث رقم (285).

([٢]) أخرجه الترمذي، سنن الترمذي، كتاب الحج عن رسول الله، باب ما جاء في تقديم الضعفة من جمع بليل، حديث رقم (817).

([٣]) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، حديث رقم (4047).

([٤]) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الاكفاء في الدين، حديث رقم (4699).

([٥])أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الحج عن رسول الله، حديث رقم (1722).

([٦]) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، حديث رقم (2137).

5- وقايتهم من الفتن: الفتن تزيغ القلوب وتفسد العقول، وحين تجتمع في مثل هذا الموسم الأعداد الغفيرة من الذكور والإناث فإن الفرصة تكون مهيأة لمثل هذهِ الفتن، ولذلك نجد النبي ﷺ يخاف على آل بيته (رضوان الله عليهم) ويحرص على حمايتهم وحفظهم من الفتن ولذلك كان الركبان يمرون بنا ونحن مع رسول الله ﷺ محرمات فإذا حاذوا بنا سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها فإذا جاوزنا كشفناه) [1] وكما في حديث أم سلمة (رضي الله عنها) قالت شكوت إلى رسول الله ﷺ أني اشتكي قال ***(طوفي من وراء الناس وأنت راكبة)*** [2].

6- الاستعانة بهم وإستعمالهم: استعان النبي ﷺ بآل بيته ﷺ، واستنابهم وإستعملهم في بعض أمره، ومن شواهد ذلك:- ما رواه ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: ((***القطْ لي حصى، فلقطت له سبع حصيات***)) [3]، ومنها إعطاؤه ﷺ لعلي ﷺ ما بقي من بدنه لينحرها، وأمره ﷺ بأن يقوم على بدنه، وبأن يتصدق على الناس بلحومها وجلودها وأجلتها، فعن علي بن أبي طالب **(أن النبي ﷺ أمره أن يقوم على بدنه وأن يَقسِم بدنه كلها لحُومَهَا وجلودها وجِلالها ولا يعطي في جزارتها شيئاً)** [4]، ومنها إستقاؤه ﷺ من بني عمه حين جاء إليهم وهو يسقون الناس من زمزم، فقال لعمه العباس ﷺ: **(إسقني، فشرب منه)** [5].

وكل ما سبق له ﷺ مقتطفات من أحواله ﷺ في الحج مع ربه ومع أمته ومع أهلِ بيته ﷺ قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة القلم/ الآية 4].

---

(1) رواه أبو داود، سنن أبي داود، كتاب المناسك، باب المحرمة تغطي وجهها، حديث رقم (1562).

(2) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب إدخال البعير في المسجد للعله، حديث رقم (444).

(3) رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر الرمي، حديث رقم (3020).

(4) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، باب يتصدق بجلود الهدي، حديث رقم (1602).

(5) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي، حديث رقم (2137).

الخاتمة

أحمد الله ﷻ واشكره على توفيقه لي لكتابة هذه الرسالة وعلى منّه وعونه لي على إتمامها.

واختم بحثي بعرض أهم النتائج التي توصلت إليها من خلاله:

1 - اتضح للباحث من خلال فصله بين العبادة والعبودية في القرآن الكريم أمر في غاية الأهمية وذلك أن العبادة هي الأعمال الظاهرة التي يحبها الله ورسوله وأمر الناس بها وشرعها لنا وأما العبودية فهي أن يكون العبد بكل جوارحه وأقواله وأفعاله وأخلاقه وتعامله مع الناس ومع ربه عابداً لربه مسدداً خطاه على ما يرضي الله، وكذلك بينا التعبد بما يخص المكلفين، وتوزعها في أكثر آيات القرآن الكريم والسنة النبوية وكذلك وقفنا عند إخلاص التوحيد وما يضاده وتمييزه عن العبادة التي أسسها وشعارها في التوجه إلى رب الأرض والسماوات.

2 - وتبين لي أن العبودية لله تعالى وكيف نصرفها لله تعالى وحده دون غيره من الأنداد والشركاء من خلال القرآن الكريم وظهر من خلال خوضي في أكثر من عشرة أنواع للعبودية لله تعالى وحده، وجوبها وفريضتها على العباد.

3 - وتبين لي طبيعة هذه العبودية في السنة النبوية وكيف حثنا عليها نبينا محمد ﷺ ورغبنا فيها ودعانا إليها ومن خلال التوسع والتطويل في الشروح والتكرار على هذه العبودية نفسها لأهميتها كما برزتها عند العلماء من أهمل العلم والدراية.

4 - واستنتجت شروط العبودية التي لا تصح العبادة لله تعالى إلا بها، لأن التوحيد هو ركن الدين الأعظم الذي من أجله أنزلت الكتب وأرسلت الرسل، وطاعة الرسول هي السبيل الموصل إلى رضوان الله ومحبته وجنته ودار قراره.

5 - وكذلك الأركان التي يقوم عليها الدين التي لا تنفع المؤمن في الدنيا والآخرة حتى يستكملها ويتمها على أحسن الوجوه.

6 - وظهر لي أن لعبودية النبي ﷺ ميزة خاصة في القرآن الكريم، اذ جاء بصفة التشريف الصريحة بلفظ (عبده) التي تدل على كمال التشريف والتعظيم وتوزعت منها الأغراض القرآنية والمقاصد التي جاءت العبودية تمهيداً لها، فمرة لأجل الإقرار بفضله، ومكانه في الإسراء والمعراج، ومرة بمكانته بنزول الوحي عليه، ومرة أخرى بتشريفه بالعبودية والإخلاص لله ﷻ وهذا كله بحسب السياق القرآني الذي ورد فيه.

7 - إن مقام الخوف الذي هو من مقامات الدين الكبرى التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، هو الذي يجعله يداوم المراقبة مع الله تعالى في كل عمل يقوم به أو ينوي فعله، وكذلك محبة الله تعالى ودينه وشرعه والاحتكام إليه والرضا به وتقديمه على كل قول وفعل، وربطها بعدم تمام الإيمان إلا بهذين العملين الجليلين، اللّذين هما كالجناحين اللذين يطير بهما المسلم إلى بارئه وخالقه، والرجاء الذي لابد للعبد منه وهو رجاء رحمة الله التي تكون مع فعله للأعمال الصالحة والمداومة عليها وهذه الثلاثة سميتها أركان العبودية لله تعالى.

8 - وضحت أركان الإسلام وعلاقتها بالعبودية وكيف توجه العبد لكي يكون عابداً حقيقةً ومصلحاً لنفسه أولاً مع ربه وثانياً مع الناس.

9 - ما ينبغي أن يكون عليه حال المسلم في عباداته كلها وكيف يجب أن يكون حاله مع ربه في صلاته واهتمامه بها، وصيامه وما يفعله فيه، وكيفية تأدية زكاته وحاله عند دفعها، وكذلك حال حج النبي ﷺ وكيف يجب أن تكون حجته في حاله مع ربه وأمته وأهله.

10 - وبنيت أركان الإيمان وكيف يجب أن يكون المؤمن في حال إيمانه مع ربه، وكيفية الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وأهمية الإيمان باليوم الآخر والإيمان بالقضاء والقدر خيرهما وشرهما وما هي آثار الإيمان بكل منهما.

وختاماً...نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يرزقنا العبودية الحقة لله رب العالمين, والحمد لله رب العالمين.

التسلسل	الآيات القرآنية	أسم السورة	رقم الآية
1)	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	الفاتحة	5
2)	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾	البقرة	21
3)	﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾	البقرة	83
4)	﴿ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ ﴾	البقرة	133
5)	﴿ وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾	البقرة	221
6)	﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾	آل عمران	51
7)	﴿ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ ﴾	آل عمران	64
8)	﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾	النساء	36
9)	﴿ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ﴾	النساء	172
10)	﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ﴾	المائدة	72
11)	﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾	المائدة	76
12)	﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴾	المائدة	117
13)	﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ﴾	الأنعام	56
14)	﴿ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾	الأنعام	88

التسلسل	الآيات القرآنية	أسم السورة	رقم الآية
15)	﴿ فَقَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾	الأعراف	59
16)	﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾	الأعراف	65
17)	﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ﴾	التوبة	31
18)	﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾	التوبة	104
19)	﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ ﴾	التوبة	112
20)	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	يونس	104
21)	﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾	هود	2
22)	﴿ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾	هود	26
23)	﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾	هود	87
24)	﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾	هود	123
25)	﴿ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾	يوسف	24
26)	﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾	يوسف	40
27)	﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ ﴾	الرعد	36
28)	﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾	إبراهيم	11

التسلسل	الآيات القرآنية	أسم السورة	رقم الآية
(29	﴿ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾	الحجر	39-40
(30	﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾	الحجر	99
(31	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾	النحل	36
(32	﴿ وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾	النحل	114
(33	﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ﴾	الإسراء	1
(34	﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾	الإسراء	23
(35	﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾	الكهف	110
(36	﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴾	الكهف	1
(37	﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴾	مريم	30
(38	﴿ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ﴾	مريم	65
(39	﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَانِ عَبْدًا ﴾	مريم	93
(40	﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴾	طه	14
(41	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾	الأنبياء	25
(42	﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا . . وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾	الأنبياء	73
(43	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾	الحج	11

التسلسل	الآيات القرآنية	أسم السورة	رقم الآية
44)	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	الحج	77
45)	﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا . . يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾	النور	55
46)	﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾	الفرقان	1
47)	﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾	النمل	91
48)	﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾	العنكبوت	16
49)	﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾	العنكبوت	17
50)	﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾	العنكبوت	56
51)	﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾	فاطر	28
52)	﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	يس	22
53)	﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾	يس	61
54)	﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ*أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾	الصافات	41-40
55)	﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ*إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾	الصافات	74-73
56)	﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ*إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾	الصافات	122-121
57)	﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ*إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾	الصافات	128-127
58)	﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ*إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾	الصافات	160-159

التسلسل	الآيات القرآنية	أسم السورة	رقم الآية
59)	﴿لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ* لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾	الصافات	169-168
60)	﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ* إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ﴾	الصافات	172-171
61)	﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾	ص	30
62)			
63)	﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾	الزمر	14
64)	﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾	الزمر	17
65)	﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾	الزمر	64
66)	﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾	الزمر	66
67)	﴿وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	فصلت	37
68)	﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾	الزخرف	81
69)	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	الذاريات	56
70)	﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾	النجم	62
71)	﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾	الجن	19
72)	﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً* فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾	الفجر	29-28
73)	﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾	البينة	5
74)	﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾	الكافرون	4



1. **إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط**، دار الأمواج، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط38، بيروت (د.ت).
2. **ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير، (ت 606هـ)**، النهاية في غريب الحديث، تحقيق طاهر احمد الراوي ومحمود الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت(د.ت).
3. **احمد بن حنبل الشيباني (ت 241هـ)، مسند احمد**، ط2، سنة 1982م.
4. **احمد بن رضا، معجم متن اللغة**، دار مكتبة الحياة، بيروت، سنة 1377هـ.
5. **الأشقر، عمر سليمان الأشقر، العقيدة في الله**، دار النفائس للنشر التوزيع سنة 1990م.
6. **الآلوسي أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الآلوسي (ت 1270هـ)**، روح **المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الفكر، بيروت، 1978م.
7. **الباجوري، إبراهيم الباجوري، شرح جوهرة التوحيد**، ط2، سنة 1978م.
8. **ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله المشهور بابن باز، أركان الإسلام** ، إعداد ومراجعة د.محمد لقمان السلفي، دار الراعي، ط1، سنة 1420هـ.
9. **البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت 256هـ(صحيح البخاري** ، دار الجيل، بيروت، سنة 1991م.
10. **البروسوي، إسماعيل حقي البروسوي (ت 1137ه)**، **روح البيان في تفسير** ، دار الفكر، بيروت–لبنان، سنة 1989.
11. **البستاني، أبو عبد الله البستاني اللبناني، البستان معجم لغوي** ، المطبعة الأمريكانية، بيروت–لبنان سنة 1927م (د.ت).
12. **البستاني، بطرس البستاني، محيط المحيط**، ط2، سنة 1973م.

13. **البغوي، عبد الدايم أبو العطا البغوي، أهداف الفلسفة الإسلامية،** دار الفكر، بيروت–لبنان، (د.ت).
14. **البقاعي، أبو الحسن برهان الدين بن عمر البقاعي (ت 885هـ)، نظم الدر في تناسب الآيات والسور،** بيروت–لبنان سنة 1985م.
15. **البيضاوي، أبو سعيد ناصر الدين سعيد عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي (685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،** ط1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان سنة 1408هـ.
16. **الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى السلمي الترمذي (ت 279هـ)، سنن الترمذي،** دار إحياء التراث العربي، بيروت، سنة 1987م.
17. **التفتازاني، سعد الدين عمر بن عبد الله التفتازاني (ت 793هـ)، شرح النسفي،** بيروت–لبنان، سنة 1989م.
18. **ابن تيمية، احمد بن عبد الحليم المعروف بابن تيمية الحراني (ت 728هـ(الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،** دار العاصمة، الرياض ط1، سنة 1414هـ.
19. **.................... ، دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية (مختارات)،** الطبعة الثانية، دمشق، سنة 1404هـ.
20. **.................... ، الزهد والورع والعبادة،** مكتبة المنار، الطبعة الاولى، الاردن، سنة 1407هـ.
21. **....................، شرح العقيدة الأصفهانية،** الرياض، ط1، سنة 1415هـ.
22. **.................... ، الصارم المسلول عل شاتم الرسول ،** دار ابن حزم، ط 1، سنة 1417هـ.
23. **.................... ، مجموع الفتاوى،** ط1، الرياض، سنة 1381هـ.
24. **الجرجاني، علي بن محمد بن علي السيد الزين أبو الحسن الحسيني الشريف الجرجاني (ت 826هـ)، التعريفات،** بيروت، سنة 1969م.
25. **الجوهري، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،** تحقيق احمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، ط2، 1973م–1404هـ.
26. **الجويني، عبد الملك الجويني إمام الحرمين، لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة،** تحقيق الدكتورة فوقية محمود، ط1، 1385هـ–1965م (د.ت).

27. **حسن محمد أيوب، تبسيط العقائد الإسلامية**، مكتبة الثقافة العربية، سنة ط2 القاهرة 1391هـ-1971.
28. **الحلبي، أبو العباس شهاب الدين بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي، (ت 756هـ)، الدر المصون في علم الكتاب المكنون،** ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، سنة 1414هـ-1994م.
29. **الحلبي، احمد بن يوسف بن عبد الدايم، المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (معجم لغوي في تفسير القرآن الكريم)**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت-لبنان، 1417هـ-1996م.
30. **الحنبلي، الشيخ سعيد بن حجي الحنبلي، (ت 1299هـ)، الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى**، ط1، دار ابن حزم سنة 1995م.
31. **ابن حيان الأندلسي، أبو عبد الله الغرناطي (ت 754هـ)، التفسير الكبير المسمى بـــ(البحر المحيط)**، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.
32. **خالد محمد حامد وآخرون، دمعة على التوحيد** ، كتاب يصدر عن المنتدى الإسلامي لمجلة البيان، الطبعة الثالثة، الرياض مطابع أضواء البيان، سنة 1422هـ-2002م.
33. **ابن خزيمة، محمد بن اسحق بن خزيمة أبو بكرالسلمي النيسابوري (ت 311هـ(، صحيح بن خزيمة**، المكتب الإسلامي، بيروت سنة 1390هـ.
34. **الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت 255ه)، سنن الدارمي،** ط1، دار الكتاب العربي، بيروت الطبعة الأولى، سنة 1407هـ-1970م.
35. **الدمشقي، القاضي علي بن علي بن أبي العز الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية،** مؤسسة الرسالة، ط2، سنة 1984م.
36. **الرازي، فخر الدين الرازي، (ت 606هـ)، اساس التقديس** ، تحقيق مصطفى البابي الحلبي، ط1، بغداد، سنة 1354هـ-1935م.
37. **الرازي، فخر الدين الرازي (ت 606هـ)، التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)،** دار إحياء التراث، الطبعة الأولى، بيروت، سنة 1995م.
38. **الرازي، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي (ت 666هـ)، مختار الصحاح** ، مكتبة لبنان، 1415هـ-1995.
39. **الزبيدي، محمد مرتضى الزبيدي (ت817هـ)، تاج العروس، شرح القاموس**، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، (د. ت).

40. **الزرقاني، محمد بن عبد الباي بن يوسف الزرقاني (1122هـ)، شرح الزرقاني**، الطبعة الأولى، بيروت، سنة 1411هـ-1991م.
41. **الزمخشري، أبو القاسم حار الله محمود عمر (538هـ)، أساس البلاغة** ، دار صادر، بيروت-لبنان، سنة 1399هـ-1979م.
42. **........................ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت.
43. **الزنداني، عبد المجيد الزنداني، توحيد الخالق** ، بغداد، منشورات مكتبة المثنى، بغداد.
44. **زيد بن عبد العزيز بن فياض، الروضة الندية (شرح العقيدة الواسطية)**، المطبعة اليوسفية، ط2، سنة 1388هـ-1968م.
45. **السامرائي، نعمان عبد الرزاق، كتاب الإسلام، (عقيدة، عبادة، أخلاق، تشريع)**، ط1، سنة 1425هـ-2004م.
46. **السباعي، الدكتور مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي** ، دار القومية، للطباعة.
47. **السبكي، محمود محمد خطاب السبكي، إتحاف الكائنات ببيان مذهب السلف والخلف في المتشابهات**، ط1، مطبعة الاستقامة، بغداد، سنة 1350هـ , (د.ت).
48. **السعدي، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت 1376ه) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، دار ابن الجوزي، ط1 الرياض، سنة 1425هـ.
49. **السعدي، عبد الملك، شرح**، النسفية، دار الأنبار، الطبعة الرابعة سنة 1420هـ-1999م.
50. **السلمان، عبد العزيز محمد السلمان، الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية**، ط4، الرياض، سمة 1930م.
51. **سيد قطب، (ت 1959م)، في ظلال القرآن**، راد إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط7، سنة 1971م.
52. **ابن سيده، علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي (ت 458هـ)، المخصص**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق، بيروت-لبنان.
53. **السيوطي، جلال الدين (ت 911هـ)، وعبد الرحمن بن أبي بكر المحلي، تفسير الجلالين**، ط1، دار الحديث القاهرة.

54. .... **الدر المنثور، في تفسير المأثور** ، دار الفكر، بيروت، ط 1، سنة 1403هـ-1983م.

55. .... **شرح سنن ابن ماجه**، للإمام أبي الحسن الحنفي المعروف بالسندي، دار الجيل بيروت 1990م.

56. .... **غرائب القرآن ورغائب الفرقان، مطبوع ضمن تفسير (جامع البيان في تفسير القرآن للطبري)** ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بغداد ط 2، سنة 1392هـ-1972م.

57. **الشاطبي، أبو اسحق الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي، الغرناطي المالكي (ت 790هـ) ، الموافقات،** (مطبعة صبيح التجارية الكبرى).

58. **الشرباصي، احمد الشرباصي، موسوعة أخلاق القرآن** ، دار الرائد العربي، بيروت (سنة 1401هـ-1981م)، الطبعة الأولى.

59. **شلبي، احمد شلبي، المجتمع الإسلامي**، مكتبة النهضة العربية، ط4، سنة 1974م.

60. **الشنقيطي، محمد أمين الشنقيطي، منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات** ، ط2، دار إحياء التراث، بغداد.

61. **الشوكاني، محمد بن علي الشوكاني، (ت 1250هـ)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول**، منشورات محمود علي بيضون ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1419هـ-1999م.

62. .... **التحف إلى مذاهب السلف**، ط2، مطبعة الإمام، مصر-القاهرة.

63. .... **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير** ، دار ابن حزم، ط1،صنعاء، سنة 1412هـ-200م.

64. **الشيباني، عبد الملك، قصة معاذ بن جبل ﷺ**، ط1، سنة 1987م.

65. **الشيباني، محمد بن عبد الله الشيباني، المالية العامة علا ضوء الشريعة الإسلامية**، دار عالم الكتب، الرياض، سنة 1995م.

66. **الصابوني، محمد بن علي الصابوني، تفسير الصابوني دار القرآن الكريم** ، ط1، سنة 1410هـ-1981م، الرياض.

67. **الأصفهاني، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، (502هـ)، المفردات في غريب القرآن**، دار المعرفة، بيروت سنة 1987م.

68. **الصلابي، الدكتور محمد علي الصلابي، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (شخصيته وعصره)**، دار المعرفة، بيروت، سنة 2005م.
69. **الطائي، كمال الطائي، رسالة في التوحيد والفرق المعاصرة** ، مطبعة سلمان الأعظمي، ط2، بغداد سنة 1392هـ-1972م.
70. **طبارة، عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي** ، ط10، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان 1973م.
71. **الطبراني، أبو القاسم سليمان بن احمد المشهور بالطبراني، (ت 360هـ)، المعجم الأوسط**، دار الفكر بيروت-لبنان، سنة 1980م.
72. **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر بيروت، سنة 2001م.
73. **طنطاوي، محمد يد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم (تفسير سورتي الفاتحة والبقرة)**، الطبعة الأولى، منشور جامعة بن غازي القاهرة 1394هـ-1974م.
74. **ابن عادل الحنبلي، أبو حفص عمر بن علي (ت 880هـ)، اللباب في علوم الكتاب**، ط1، بيروت، سنة 1989م.
75. **ابن عاشور، الشيخ محمد الطاهر المعروف بابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير**، ط2، الدار التونسية، سنة 1973م.
76. **عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ (ت 1285هـ)، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، مراجعة وتعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، مكتبة الإيمان، المنصورة، سنة 2003م.
77. **عبد السلام أبو الفضل بن محمد بن عبد الكريم، الدين والعبودية لابن تيمية** ، المكتبة الإسلامية، ط4، سنة 2002.
78. **عبد القادر عيسى حقائق عن التصوف** ، مطبعة الرمادي، مطبعة النواعير، ط 5، سنة 1413هـ-1992م.
79. **عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة دار الوفاء** ، بغداد، ط3، سنة 1987م، مؤسسة الرسالة.
80. **العثيمين، محمد بن صالح بن العثيمين الوهيبي التميمي، (ت 1420هـ)، شرح العقيدة الواسطية**، دار النبلاء، ط1، سنة 1424هـ.

81. **العثيمين، محمد بن صالح بن العثيمين، شرح أصول الإيمان**، ط2، الرياض، سنة 1990م.
82. **العسقلاني أبو الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني (852هـ)، فتح الباري، شرح صحيح البخاري**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ومحي الدين الخطيب، ط 1، بيروت–لبنان، سنة 1379هـ.
83. **العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (ت 395هـ)، الفروق في اللغة** ، دار الآفاق الحديثة، بيروت، ط5، سنة 1981م.
84. **العظيم أبادي، أبو عبد الرحمن شرف الحق محمد الشرف الصديقي العظيم أبادي (ت قبل 1322هـ)، عون المعبود في شرح سنن أبي داود**، ط2، بيروت، سنة 1415.
85. **عفيفي، طه بن عبد الله عفيفي (شرح وتعليق) من وصايا الرسول** ﷺ، دار التراث العربي، القاهرة، سنة 1401هـ–1981م.
86. **علي زهران، نداء القرآن الكريم**، مطبعة الأهرام التجارية، مصر(د.ت).
87. **العمادي، أبو السعود محمد العمادي (ت 951هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، القاهرة، سنة 1984م.
88. **أبو عوانه، يعقوب بن اسحق الاسفرايئني (ت 316هـ)، مسند أبي عوانه** ، دار المعرفة، بيروت.
89. **العيسوى، عبد الرحمن العيسوى، لماذا أنا مسلم**، بيروت، ط4، 1989م.
90. **الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد المشهور بالغزالي (ت 505هـ)، المستصفى من علوم الأصول**، دار العلوم الحديثة، بيروت–لبنان، سنة 1996م.
91. **الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد المشهور بالغزالي (ت 505هـ)، اعتنى به وضبطه وخرج أحاديثه محمد الدالي بلطه**، ط1، بيروت سنة 1421هـ–2001م.
92. **ابن فارس، أبو الحسن محمد بن فارس (ت 395هـ)، معجم مقاييس اللغة** ، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، مصر سنة 1979م.
93. **الفوزان، صالح بن فوزان الفوزان، شرح العقيدة الواسطية لابن تيمية**، الرياض.
94. **الفوزان، صالح بن الفوزان، عقيدة التوحيد وما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك**، دار العاصمة، الرياض، سنة 1424هـ.

95. **الفيروز أبادي أبو اسحق، الإشارة إلى مناهب أهل الحق** ، ط4، سنة 1419هـ-1988م، (د.ت).
96. **الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب بن طاهر الفيروزأبادي (ت 1290هـ)، (تنوير المقياس في تفسير ابن عباس)**، دار الفكر، بيروت-لبنان، سنة 1987م.
97. **القاري، الشيخ ملا علي بن سلطان بن محمد القاري، شرح ملا علي القاري على الفقه الأكبر لأبي حنيفة**، ط2، سنة 1375هـ- 1955م.
98. **القاسمي، جمال الدين، محاسن التأويل**، دار الفكر، بيروت، ط2، سنة 1398هـ-1978م.
99. **القرافي، شهاب الدين القرافي، تنقيح الفصول**، المطبعة المنيرية القاهرة 1306هـ.
100. **القرطبي، أبو عبدالله أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي (ت 671هـ)، تفسير القرطبي**، تحقيق أحمد بن عبدالعليم البردوني، الطبعة الثانية سنة 1372هـ.
101. **القرضاوي، يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام**، مكتبة وهبه، ط5، القاهرة سنة 1985م.
102. **القشيري، أبو القاسم عبدالكريم بن قاسم القشيري (ت465هـ)، الرسالة القشيرية في علم التصوف**، دار التربية، نيسابور، سنة 1981م.
103. **القحطاني، سعد بن محمد، مختصر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تقديم ناصر بن عبدالكريم العقل** ، دار اشبيليا،ط 2، سنة 1419هـ-1999م.
104. **القحطاني، سعيد بن وهف القحطاني، منزلة الصلاة في الإسلام (المفهوم، الحكم، الخصائص)**، دار الخنساء، الرياض، سنة 2001م.
105. **القنوجي، أبو الطيب صديق بن حسن بن علي القنوجي (ت1250هـ), فتح البيان في مقاصد القرآن**، دار الفكر، بيروت، سنة 1981م.
106. **ابن القيم الجوزية،أبو عبدالله شمس محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت 751هـ(إعلام الموقعين**، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1987م.
107. .... **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، دار المعرفة، بيروت-لبنان، سنة 1987م.
108. .... **إقتضاء الصراط المستقيم**، دار الفكر، بيروت، سنة 1995م.

109. **ابن القيم الجوزية، أبو عبدالله شمس الدين، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت751هـ)، بدائع الفوائد**، تحقيق عبدالعزيز عطا وآخرون، مكة المكرمة، سنة 1416هـ.

110. .... **التفسير القيم**، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

111. .... **جلاء الإفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام** ، دار العروبة، ط2، سنة 1407هـ-1987م.

112. ....**روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1412-1992م.

113. **ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ت751هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد الطبعة الرابعة عشر** ، بيروت مكتبة المنار الإسلامية، سنة1410هـ- 1990م.

114. .... **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة** ، دار العاصمة، الرياض 1408هـ-1987م (د.ت).

115. .... **الطب النبوي**، دار الفكر بيروت 1988م.

116. .... **طريق الهجرتين**، دار الفكر، بيروت، سنة 1987م.

117. .... **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين** ، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1985م.

118. .... عقيدة الفرقة الناجية، بيروت.

119. .... **الفوائد**، دار الكتب العلمية، سنة 1393هـ- 1973م، بيروت.

120. .... **مدارج السالكين في منازل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾**، ط2، سنة 1973م، دار الحديث-القاهرة.

121. .... **مفتاح دار السعادة**، دار الفكر، بيروت، ط2، سنة 1985م.

122. .... **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، بغداد، 1405هـ-1985م.

123. **الكاشاني، المولى محسن الملقب بالفيض الكاشاني (ت 91هـ)، تفسير الصافي** ، منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت-لبنان.

124. **ابن كثير،عماد الدين أبوالفداء إسماعيل المعروف بابن كثير الدمشقي (ت774ه)؛** تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفا،ط1، دار البيان الحديثة، بيروت سنة 1425هـ.

125. **الكلبي، أبو القاسم محمد بن أحمد الجزي الكلبي (ت 741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1415هـ- 1995م.

126. **مالك بن أنس، أبو عبدالله الاصبحي (ت179هـ)، موطأ مالك**، دار إحياء التراث العربي، مصر.

127. **الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي المعروف بالماوردي (ت405هـ)، الأحكام السلطانية**، بيروت، دار الفكر سنة 1422هـ- 200م لبنان.

128. **الماوردي،أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب، الماوردي البصري، (ت 450هـ)، النكت والعيون في تفسير الماوردي** ، مراجعة وتعليق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة 2004م.

129. **محمد نعيم ياسين، الايمان (أركانه، حقيقته، نواقضهُ)**، دار الفرقان، عمان 1985.

130. **محمد رشيد رضا (ت1935م)، تفسير القرآن الكريم المشهور بتفسير المنار (منشورات علي بيضون)**، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت-لبنان، سنة 1995م.

131. **محمد محمود حجازي، التفسير الواضح** ، دار الكتاب العربي، الطبعة العاشرة، بيروت 1982م.

132. **محمد بن عبدالرحمن بن عبدالرحيم (ت1353هـ) ، تحفة بشرح جامع الترمذي** ، ط1، دار الفكر، بيروت-لبنان 1980م.

133. **محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس**، دار الشروق، بيروت، 1982م.

134. **محمد سعيد رمضان، كبرى اليقينيات الكونية**، دار الفكر، بيروت، سنة 1389هـ-1969م.

135. **محمد قطب، منهج التربية الإسلامية**، دار الشروق، ط5، بيروت، سنة 1403هـ-1958م.

136. **محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه مع فوائد نحوية هامة** ، طبعة مزيدة بإشراف اللجنة بدار الرشيد، دار الرشيد، دمشق، بيروت، ط 4، 1418هـ-1998م.

137. **مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، سنة 1984م.
138. **المروزي،أبو عبدالله محمد بن نصر بن الحجاج المشهور بالمروزي (ت294هـ)**، تعظيم قدر الصلاة، ط1، المدينة المنورة.
139. **المعتزلي، يحيى بن حمزة، المعالم الدينية في العقائد الإلهية، تحقيق سيد مختار** ، دار الفكر المعاصر، بيروت، سنة 1408هـ-1988م.
140. **ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المشهور بابن المنظور (ت711هـ)، لسان العرب**، دار صادر، بيروت للطباعة والنشر 1376هـ-1956م.
141. **المناوي، عبد الرؤف، فيض القدير**، دار النشر، مصر سنة 1356هـ، ط1.
142. **المودودي، أبو الأعلى، مبادئ الإسلام**، نشر مكتبة الشباب المسلم، بغداد، ط3، سنة 1381هـ- 1961م.
143. **المودودي، أبو الأعلى، المصطلحات الأربعة في القرآن الكريم** ، دار دمشق، 1955م.
144. **الميداني، عبدالرحمن بن حبنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها**، الطبعة الثانية منقحة ومزيدة، دار العلم دمشق-بيروت (د.ت).
145. **الأندلسي، أبو محمد بن عبدالحق بن عطية (ت 546هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ط1، قطر، سنة 1402هـ- 1982م.
146. **نديم مرعشلي واسامة مرعشلي، الصحاح في اللغة والعلوم** ، دار الحضارة العربية ط1، بيروت، سنة 1974م.
147. **النسائي، أحمد بن شعيب أبو عبدالرحمن النسائي (ت303هـ)، السنن الكبرى للنسائي**، ط1، بيروت، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار الكتب العلمية بيروت 1411هـ-1991م.
148. **النورسي، سعيد النورسي، المعجزات الاحمدية**، ط2، سنة 1411هـ-1990م.
149. **النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي (ت 676هـ)، شرح النووي على صحيح مسلم** ، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392هـ.

150. **النيسابوري، أبوعبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين**، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، ط 1، دار الكتاب العربي، بيروت 1411هـ- 1991م.

151. **الهراس، محمد خليل، دعوة التوحيد** ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة 1406هـ.

152. **الهيثمي، علي بن أبي بكر (ت807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، دار الريان للتراث، القاهرة، بيروت، سنة 1407هـ-1988م.

153. **الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، كتاب أسباب النزول (ت468هـ)** بيروت سنة 1975م.

154. **الوادآشي، عمر بن علي بن أحمد الوادآشي الأندلسي (ت804هـ)، تحفة المحتاج إلى أدلة المنهاج**، دار حواء-مكة المكرمة، ط1، سنة 1406هـ.

155. **وهبي سليمان غاوجي، أركان الإيمان** ، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة، سنة 1399هـ- 1979م.

156. **اليازجي، إبراهيم البازجي، نجعة الرائد وشرعه الوارد في المترادف والمتوارد**، مكتبة بيروت-لبنان.

157. **الدكتور يوسف حامد العالم، المقاصد العامة للشريعة الإسلامية**، الطبعة الثانية، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي 1415هـ-1994م.

الكتب التي ليس لها مؤلف.

الكتب التي ليس لها مؤلف

158. **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، ط2، م جمع اللغة العربية، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، القاهرة، 1390هـ- 1970م.

159. **شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق مجموعة من العلماء، المكتب الإسلامي** ، ط4، سنة 1391هـ.

الرسائل الجامعية والأطاريح

160. **أسيد عبد السلام الكبيسي، آيات الطاعة في القرآن الكريم (دراسة وتحليل)** رسالة ماجستير تقدم بها إلى جامعة بغداد، كلية العلوم الإسلامية سنة 2002م.

161. **إسماعيل رديف يوسف العبيدي، العقيدة الإسلامية بين القرآن الكريم والمنهج العلمي المعاصر**، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة بغداد كلية العلوم الإسلامية سنة 1998م.

162. **عمار يونس عبدالرحمن، نماذج من العبودية في القرآن الكريم** بحث مقدم إلى كلية الأئمة والخطباء والدعاة وهو جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير بإشراف الدكتور أحمد حربي، رمضان 1421هـ، كانون الأول 2000م.

163. **علي حسين العيساوي، الإيمان (ماهيته حقيقته عند فرق المتكلمين)** أطروحة دكتوراه، مقدمة إلى جامعة بغداد كلية العلوم الإسلامية، طبعة بغداد، سنة 1998م.

164. **علي محمد ناصح الفقيهي، منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان** ، رسالة ماجستير قدمت إلى جامعة الملك عبد العزيز، فرع مكة المكرمة جامعة أم القرى حالياً سنة 1395هـ.

البحوث والمقالات

165. **د. شاكر محمود عبدا لمنعم الهيتي، " شواهد من أدب الصحابة وحبهم للنبي ﷺ"**، مجلة الروضة، عدد خاص بمناسبة المولد النبوي، بغداد، 1425هـ.

166. **فيصل بن علي البعداني "رمضان بين الواقع والواجب"** ، مجلة البيان، العدد (97) رمضان، سنة 1416هـ فبراير 1996م.

167. **فيصل بن علي البعداني، "أحوال النبيﷺ في الحج"**، مجلة البيان، العدد (160) ذو الحجة سنة 1422هـ، صادرة عن المنتدى الإسلامي.
168. **محمد بن عبدالله الشيباني، "آراء وتأملات في فقه الزكاة"** ، مجلة البيان، العدد (110)، شوال 1417هـ-1997م، صادرة عن المنتدى الإسلامي.
169. **محمد نمر عبدالفتاح الخطيب " العبادة والعباد"** ، مجلة الإمام الأعظم، العدد الرابع، مطبعة الإرشاد، سنة 1987م.
170. **(وأذن بالناس بالحج) (إفتتاحية المجلة)** ، مجلة البيان، العدد السابع، ذو الحجة 1407هـ-1987م، صادرة عن المنتدى الإسلامي.

بحمد الله